الشيخ علي الدقر

رجل أحيا الله به أمة

نزار أباظة



آفاق معرفة متجددة

www.fikr.com

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

شباب لعصر المعرفة

2010=1431

١ - أسست عام ١٩٥٧ (١٣٧٦هـ)

٢ - رسالتها :

العمل في مجال الإبداع الفكري والثقافي؛ من خلال طباعة الكتب، والأقراص المغنطة، والوسائط المتعددة وأية أوعية أخرى للكلمة، ونشرها وتوزيعها، وإقامة الندوات والحوارات وورش العمل، بغية تحقيق ربح تجاري مجزٍ يعينها على تحقيق رسالتها ورؤاها الثقافية.

٣ - رؤيتها :

- تزويد المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
- كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار وضرورات التعدد.
- تغذية شعلة الفكر بوقود التجديد المستمر.
- مد الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي في المجتمع.
- إطلاق طاقات الطفولة ، سبيلاً للارتقاء ، واطراد التقدم الإنساني.
- الاستعانة بنخبة من المفكرين، إضافة إلى أجهزتها الخاصة للتحرير والأبحاث والترجمة.
- إعداد خطط النشر ، والإعلان عنها: فصلياً وسنوياً ولآماد أطول.

٤ - خدماتها :

- بنك القارئ النهم (الأول من نوعه في الوطن العربي) .
- تمنح جائزة سنوية للرواية ، وتكرم مؤلفيها وقراءها .
- ريادة في مجال النشر الألكتروني :
  - أول موقع متجدد بالعربية لناشر عربي على الانترنت: www.fikr.com
  - موقع (فرات) لتجارة الكتب والبرامج الألكترونية : www.furat.com
  - موقع تفاعلي رائد للأطفال (عالم زمزم) : www.zamzamworld.com
- إشراف مباشر على موقعي:
  - الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : www.bouti.com
  - الدكتور وهبة الزحيلي: www.zuhayli.com

٥ - **منشوراتها :** تجاوزت مطلع عام ٢٠١٠م (٢٢٠٠) عنواناً، تغطي معظم فروع المعرفة .

٦ - **جوائزها :** حازت على جائزة أفضل ناشر عربي للعام ٢٠٠٢ ، من الهيئة المصرية العامة للكتاب.

نالت أربع جوائز من مؤسسة التقدم العلمي في الكويت ، عن كتبها :

- الجراحة التنظيرية ؛ مينيرو-ج وآخرين ، ٢٠٠٠م
- هروبي إلى الحرية ؛ علي عزت بيغوفتش ٢٠٠٢م
- موجز تاريخ الكون ؛ د. هـاني رزق ٢٠٠٣م
- الجينوم البشري ؛ د. هـاني رزق ٢٠٠٨م

للمزيد من المعلومات زوروا موقعنا على الانترنت: www.fikr.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ علي الدقر

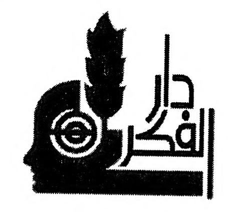
رجل أحيا الله به أمة

الشيخ علي الدقر رجل أحيا الله به أمة / نزار أباظة
.- دمشق: دار الفكر ٢٠١٠ .- ٢٣٢ ص ؛
٢٥سم.
ISBN: 978-9933-10-145-9
١-٩٢٢ : الدقر، علي أ ٢- العنوان ٣- أباظة
مكتبة الأسد

نزار أباظة

الشيخ علي الدقر

رجل أحيا الله به أمة



آفاق معرفة متجددة



دار الفكر - دمشق - برامكة
٠٠٩٦٣ ٩٤٧ ٩٧ ٣٠٠١
٠٠٩٦٣ ١١ ٣٠٠١
http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

الشيخ علي الدقر

رجل أحيا الله به أمة

د. نزار أباظة

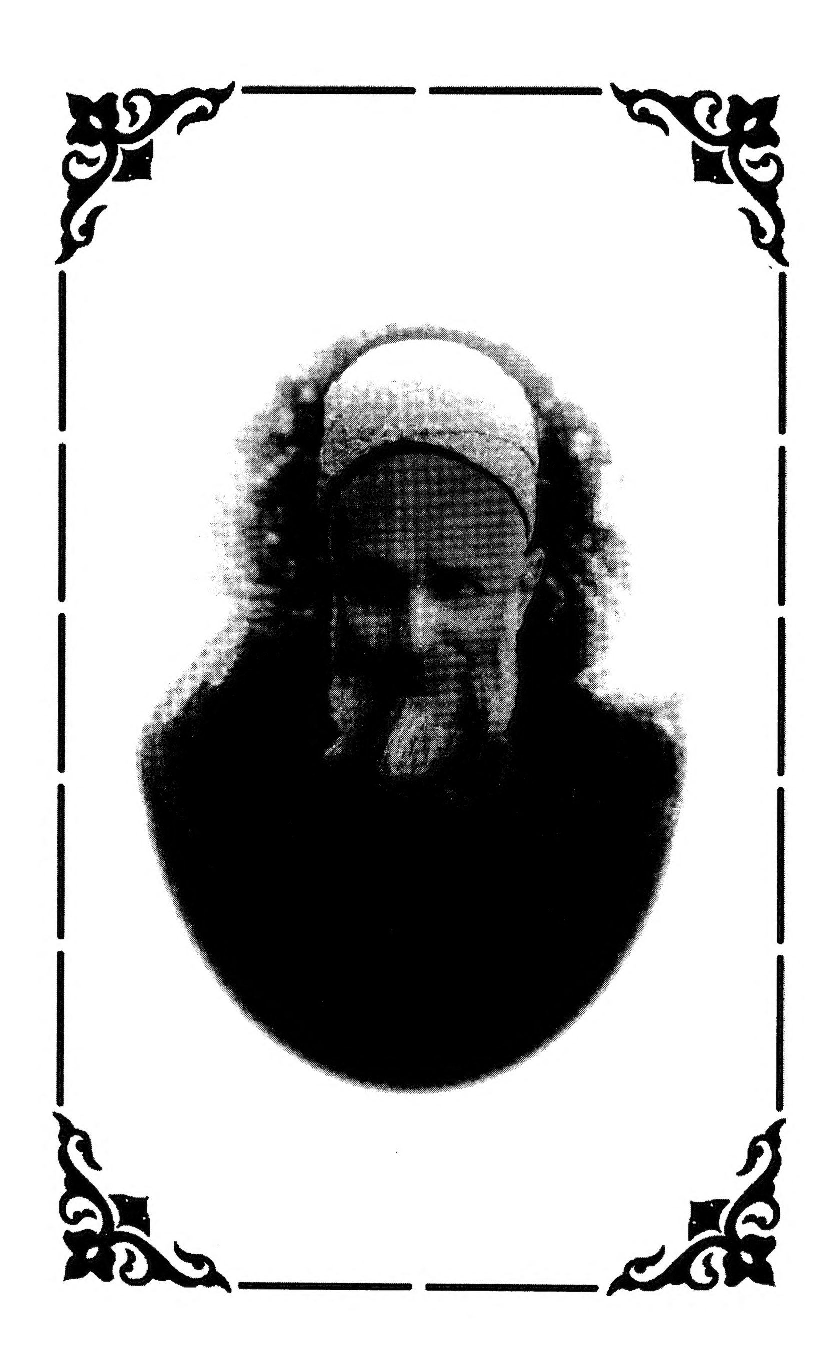
الرقم الاصطلاحي: ٢٢٣٦,٠١١

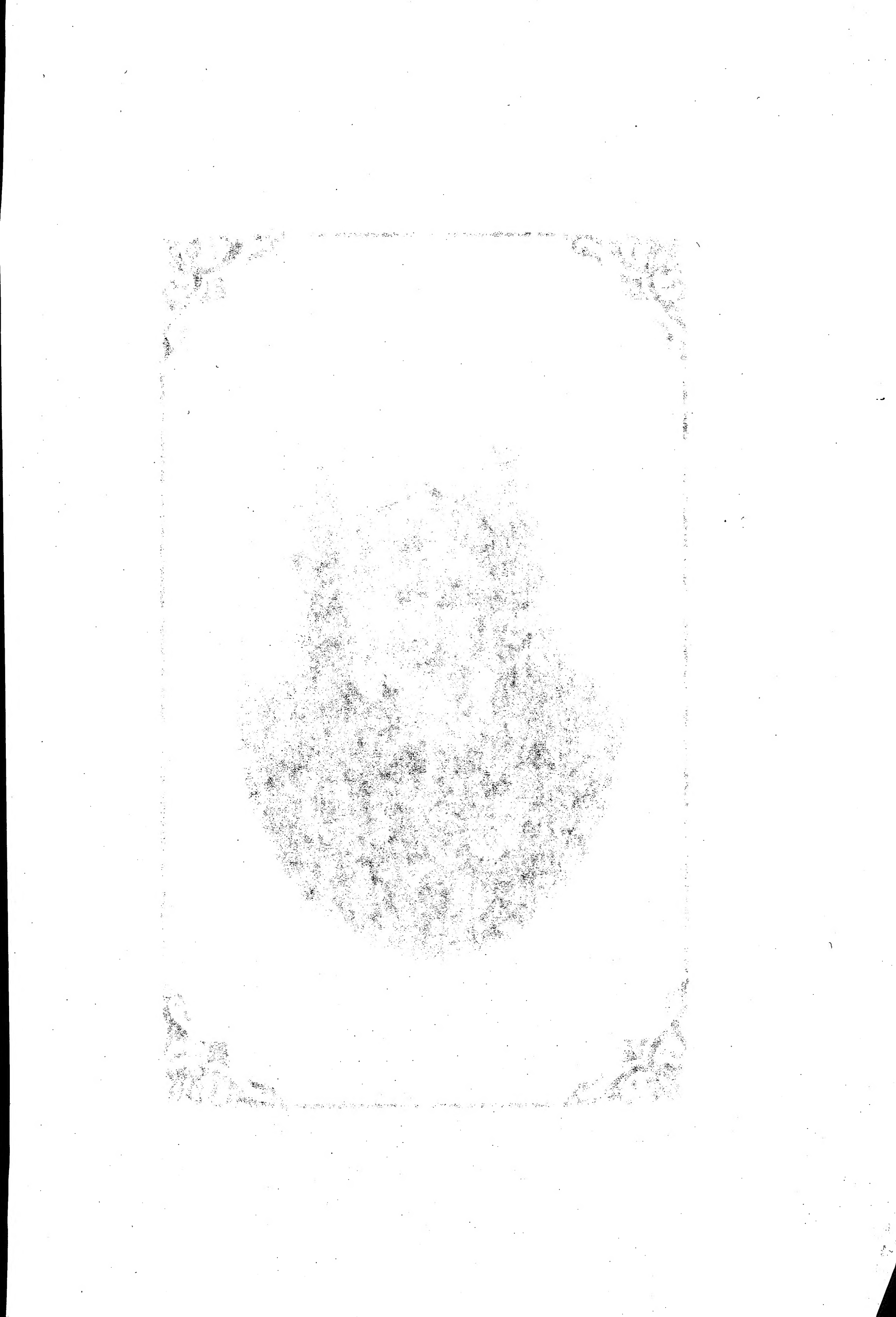
الرقم الدولي: ISBN:978-9933-10-145-9

التصنيف الموضوعي: ٩٢٩ (تراجم وسير)

٢٣٢ ص، ١٧ × ٢٥ سم

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م





إهداء

إلى روح الشيخ علي الدقر رحمه الله

وأولاده وطلابه ومحبيه

وإلى كل من سار على دربه



الرجل الذي هزّ دمشق هزّة لم تعرف مثلها من مئتي سنة،

وصرخ في أرجائها صرخة الإيمان،

فتجاوبت أصداؤها في أقطار الشام

واستجاب لها الناس يعودون إلى دين الله أفواجاً،

يبتدرون المساجد،

ويستبقون إلى حلقاته

علي الطنطاوي

الباب الثاني

الجمعية الغراء لتعليم أبناء الفقراء

المحتوى

الباب الثالث

نهضات من ثمرات النهضة الأولى

الشيخ علي الدقر من الذاكرة

الأستاذ محمد عدنان سالم

جنازة صامتة تتهادى وسط حشد كبير من الرجال والولدان، ورذاذ مطر خفيف، كأنه دموع السماء تنثرها فوق رؤوس المشيعين.. تلك هي الصورة التي ما زالت تقفز إلى ذهني كلما ذكر اسم الشيخ علي الدقر، ولما استقر في ذاكرتي؛ طفلاً يتأهب لامتحانات الشهادة الابتدائية لعام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م، وكانت تلك الشهادة يومها تمنح على رأس خمس سنوات من الدراسة الجادة، إثر امتحانات تحريرية وأخرى شفهية، يمثُل الطالب ذو الاثني عشر عاماً فيها أمام لجنة من كبار المتخصصين في كل فنٍّ؛ لا يسألونه ماذا حفظ من الكتاب المدرسي، بقدر ما يحاولون أن يتعرفوا ماذا وعى من المادة الدراسية خارج الكتاب المقرر، ليقرروا بعد ذلك ما إذا كان قد خرج من التعليم الأساسي بحصيلة تشهد له بأنه قد أصبح راشداً ومؤهلاً لمتابعة دراسته في المراحل التالية.

كانت (سعادة الأبناء) التابعة للجمعية الغرَّاء التي أسسها الشيخ علي الدقر في جامع تنكز بدمشق، هي المدرسة التي احتضنت طفولتي وإخوتي، والتي كنا نباهي بها لداتنا من أبناء الأقرباء والجيران، لما كانت تحظى به من سمعة تسابق بها المدارس التبشيرية كالفرير والفرنسيسكان.

لم يكن نظام معلم الصف - الذي يعلم كل شيء - مطبقاً في أيامنا، بل كنا نتلقى كل مادة من كبار أساتذتها المتخصصين؛ فمعلم للحساب (الرياضيات)، وآخر للإملاء، وثالث للقواعد، ورابع للقراءة، وخامس للقرآن، وسادس لدروس الدين، وسابع للغة الفرنسية، ومدربون للخط وللرسم وللرياضة البدنية، ومشرفون على حصص المكتبة، ونشاطات المطالعة الحرة والخطابة، وأكثر ما كان يسعدنا أن يتم اختيار أحدنا لإلقاء كلمة أمام ندوة أوليائنا في لقائهم الدوري المنتظم شهرياً.. ولم يكن كل ذلك متاحاً لطلبة المدارس الرسمية.. حتى تدريس اللغة الفرنسية كان يبدأ عندنا في سعادة الأبناء من السنة الثالثة قبل سنة من بدء تدريسها في المدارس الرسمية.

وعلى الرغم من كل هذا الرقيّ لمناهج التعليم في سعادة الأبناء الذي كان بتوجيه وتخطيط من مؤسسها الشيخ علي الدقر، فإننا لم نسعد بلقائه في المدرسة، إذ كان المرض قد أقعده في بيته.. بضع مرات فقط كان والدي يصطحبني فيها لزيارته، فأراه شيخاً جليلاً مضطجعاً على أريكة؛ يتحدث إلى زواره من تلاميذه الذين غدوا كبار علماء دمشق، ومن محبيه ومريديه من أعيانها ودعاتها، وكان تقبيل يد الشيخ وطلب دعائه حين يتاح لي، يشعرني بسعادة غامرة، هي كل ما أذكره من مجلسه المهيب.

بعد اجتيازي امتحانات الشهادة الابتدائية بنجاح، قام والدي بإجراءات تسجيلي في (التجهيز الأولى) كما كانت تسمى آنذاك، ثم أطلقوا عليها اسم ثانوية جودت الهاشمي فيما بعد، وكان يشار إليها بالبنان، إذ خرَّجت معظم النخب التي كانت تقارع الاستعمار الفرنسي، وتتأهب لإدارة الدولة والمجتمع بعد رحيله، ثم خلا والدي

بي ليضع في يدي وثيقة تسجيلي في تلك الثانوية، وليسرّ إلي بسرٍّ ظلّ دفيناً في صدره كل هذه الأعوام؛ قال: كنت - عندما رزقني الله تعالى بك - قد دعوتُ الشيخ علي الدقر وتلاميذه لعقيقتك، وكان يوماً مباركاً مشهوداً؛ علت فيه الأصوات بالمدائح النبوية، والكلمات الإرشادية، والأدعية الربانية، ولفرط تأثري بمشهد طلبة العلم المعممين قلت للشيخ عند وداعه: أشهدك أني قد نذرتُ ولدي هذا للعلم الشرعي، فكان هذا نذري الذي يلزمني ولا يلزمك، فإن شئت أن تمضيه لي فأنت بالخيار، وهذه وثيقة تسجيلك في التعليم العام بيدك.

قلت لوالدي على الفور: بل أنفذه، وأعُدُّ نذرك نذري، فلم أرَ بعد ذلك - في حياتي - أكثر بركة ونجاحاً من هذا الخيار، وفقني الله تعالى فيه للجمع بين الحسنيين وزيادة، إذ حصلت على الشهادة الثانوية في التعليم العام قبل سنة من تخرجي في معهد العلوم الشرعية، وانتسبت للجامعة، فكنت في الوقت ذاته طالباً في السنة الأولى من كلية الحقوق، وطالباً في السنة الأخيرة من المعهد الشرعي. وأفاء عليَّ تعليمي الشرعي ملكةً في علوم العربية والدين، مازالت تطبع ثقافتي، وتمدني بفكرٍ يسَّر لي الله فيه أن أبصر مستقبل أمتي بعينين، إحداهما مفتوحة على التراث تستدعيه وتدرك عمقه وجذوره، وأخرى متطلعة إلى مستجدات العلوم وآفاق المستقبل؛ تحللها وتصهرها في بوتقة التراث ومعاييره الراسخة.

ولقارئي هنا أن يتساءل: هل أنا أكتب له مقدمة لسيرة الشيخ علي الدقر، أم أكتب سيرة ذاتية لأحد تلامذته؟!

لا بأس فما أنا إلا فسيلة من غرس الشيخ، تنتمي إلى الجيل الذي

لم يتح له أن يتلقى مباشرة عنه، فأكرمه الله تعالى بالتلقي عن تلامذته من الجيل الأول.. الجيل المبارك الذي لم ينهل من الشيخ علي الدقر علمه فقط، بل نهل منه أخلاقه وإخلاصه وحرقته وتفانيه وزهده وإيثاره، وبذل - بدوره - جهده في رفد تلامذته بذلك كله.

ولم أدرك حجم هذا الجيل إلا بعد خوضي معترك الحياة العلمية، فما توجهت إلى بلد من البلدان المجاورة في سورية وخارجها إلا وجدت فيها غراساً من غرس الشيخ، تنشر العلم، وتنشر معه الفضيلة والأخلاق لمرضاة الله ونهضة المجتمع، تدريساً على المقاعد، وخطابة على المنابر، ومشياً في إصلاح الناس وإصلاح ذات بينهم.

وثمة أمر آخر لم أكتشفه إلا بأَخَرَةٍ، وبعد تعدد مدارس العلم الشرعي، هو إتقان التحدث باللغة العربية الفصيحة، حتى صرت أحدد المدرسة التي تخرج بها المتحدث، فإن كان متقناً لها ملتزماً بقواعدها في حديثه، نسبتُه إلى مدارس الشيخ علي الدقر، فلا يخيب ظني، لما أعرف من كَلَفِ هذه المدارس باللغة العربية، تعدها مدخلاً لسائر العلوم، لا يصح الدخول إليها إلا من بابها.

عجبت لهذا العدد الكبير من تلامذة الشيخ الذين تفرقوا في الأمصار، في بقاع لبنان والأردن وحوران، كيف اكتشفوه وكيف اجتمعوا عليه، ثم علمت أن الشيخ هو الذي اكتشفهم.

لقد أرّق الشيخ ما رآه من إدبار أهل المدن عن العلم الشرعيِّ، وأشعره ذلك بخطر خلو مقاعد الدرس الديني ومنابره من الأكفياء المؤهلين لشغلها، فكان اجتذاب طلبة العلم هاجسه الذي يبذل له ماله وراحته، ويجوب القرى والأرياف بحثاً عنهم، فلا يعود منها إلا

بجفنة تلو حفنة، يوفر لهم المأوى والزاد، يبذل لذلك من ماله، ومن أموال الخيرين الذين التفوا حوله.. يدرِّسهم في المساجد، ومنها تخرج الجيل الأول، متشبعاً بروحانية المساجد، متمثلاً رسالتها، ثم كانت الجمعية الغراء بمدارسها المتعددة للبنين والبنات، تسير على المناهج التي رسمها لها.

يعيش كثير من صلحاء الناس حياته، لا يُفيض من صلاحه إلا على أهله ومن يحيط به من الأصدقاء، ومن هؤلاء أناسٌ نشروا دعوة الإسلام في الآفاق من دون قصد لذلك سوى أنهم قدموا في حياتهم وتعاملهم مع الناس نموذجاً يدفع الناس للاقتداء بهم.

لكن الشيخ علي الدقر ومن تخرج بمدرسته أضافوا إلى النموذج حُرقة، جعلتهم دعاة حالٍ ومقالٍ؛ نذروا أنفسهم لهداية الناس متمثلين قول المصطفى ﷺ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم»[1]، فكانوا من الفئة التي حازت قصب السبق من عباد الله المصطفين الأخيار: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٥/ ٣٢].

محمد عدنان سالم

٢/ ١٠/ ١٤٢٩هـ = ٢/ ١٠/ ٢٠٠٨م

(١)رواه البخاري برقم ٢٩٤٢، ومسلم برقم ٢٤٠٦.

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين على نعمة الظاهرة والباطنة، والصلاة والسلام على رسول الهداية محمد ﷺ.

وبعد:

فأنا واحد من المدينين لسيدي الداعية المربي الشيخ علي الدقر مؤسس الجمعية الغراء، أعلى الله منزلته في الفردوس الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً؛ مدين له بطريق تلامذته الذين قرأت عليهم، فساروا على نهجه، وتابعوا مسيرته وظلوا أوفياء له، رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة.

أذكر منهم من كان لهم عليّ فضل مباشر في التربية والتوجيه والعلم، وبما أفاضوا على روحي من روحانيتهم، سيدي الشيخ عبد الرحمن الطيبي الزعبي، وسيدي الشيخ أحمد نصيب المحاميد، وسيدي الشيخ خالد الجباوي أنزل الله عليهم شآبيب رحماته ورضوانه.

ثم تهيأت لي جلسات لزمتها مع معلّم من نوع آخر، هو المفكر الأستاذ محمد عدنان سالم شيخ الناشرين بدمشق مدّ الله في عمره وأمتعه بسربال العافية، وهو بعد من تلاميذ مدارس الجمعية الغراء، الذين نشؤوا على تربيتها وتأثروا بما غرست فيهم من أفكار صافية، فعملتُ بمعيته زمناً وما زلت، وأخذت عنه فكراً نيراً، وتأدبت بآدابه، نفعني الله بها في أسلوب تفكيري.

وهو - حفظه الله - وإن كان مجلسه مجلس علم في إصدار الكتب ونشرها، إلا أنه كثيراً ما كان يخلطه بأحاديث تطول في موضوعات هامة ودقيقة حول التراث، ومسائل الحداثة، وقضايا الساعة وآراء المفكرين المعاصرين والمحدثين.. فتهيأ لي بصحبته ما لم يتهيأ لكثيرين، فخلطت التراث بالمعاصرة، والقديم بالجديد، والأصالة بالجِدّة.. مما يستلزم مني مداومة الشكر حتى آخر العمر(١).

كان هؤلاء الأعلام على ذروة الإخلاص، لم يطلبوا دنيا لذاتها، ولم يسعوا إليها، دأبوا على نشر العلم بصدق، ما وسعهم الجهد، فكان كل واحد منهم مدرسةً في العلم والزهد والعمل والتصوف والاستقامة، كما كان لكل منهم طعم خاص ومشرب متميز، مع أنهم متحوا من معين واحد.

وكان هؤلاء الشيوخ فهموا حقيقة الإسلام على أنه دين الوسط والاعتدال، البعيد عن الغلو والشطط والمصادمة والمجافاة والتنفير، وعلى أنه شريعة نزلت للتطبيق في الدنيا من أجل حياة هانئة، وللفوز في الآخرة برضوان الله تعالى.

ولم يكن شيوخي هؤلاء وحدهم في طريقهم الذي اختاروه لأنفسهم، بل كان زملاؤهم في الطلب آخرون على نهجهم من تلاميذ الشيخ علي الدقر، وربما كان بعضهم أبعد أثراً منهم. تشرفت بهم، وإن لم أكن في حلقاتهم، من أمثال سادتي الشيخ عبد الكريم الرفاعي، وقد كنا نزوره أحياناً بصحبة شيخنا الشيخ عبد الرحمن، وكذلك الشيخ نايف العباس، جار أستاذنا الشيخ خالد جباوي في

---

(١)والحق أني استفدت بصحبة آخرين لا مجال لذكرهم هنا؛ لأنني قصرت هذا الكتاب على ما يتعلق بالشيخ علي الدقر رحمه الله، وبمن انتفع بمدرسته.

غرفته بجامع باب المصلى، وهو من بلده، والشيخ حسن حبنكة الميداني الذي قامت الميدان لأجله قومة رجل واحد، وتلاميذه كثيرون.. وقائمة من أعلام التقى ونجوم الهدى، أشرنا إليهم في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري[١].

ولقد تساءلت وأنا أستعرض سيرة هؤلاء الهداة رحمهم الله جميعاً: أي مورد ذلك الذي صدروا عنه؟ ما سره؟ ما شأنه؟ أهو العلم الذي رفع أقدارهم؟ أم الإخلاص الذي غلّف أعمالهم؟ أم الزمن المواتي؟ أم الأسلوب الموفق؟.. أم كل أولئك معاً؟!

إن نهضة سيدي الشيخ علي الدقر - أعلى الله منزلته في الفردوس - بالنجاح الذي أصابته في مدى سنوات قصار، والاستمرار الذي استمرته على تراخي عقود متتابعة لأمرٌ يلفت النظر، ويحتاج إلى وقفة متأنية تجسد هذا السر الذي ما تزال آثاره باقية إلى اليوم، ويحتاج إلى قلم يؤرخ له، فلا يُنسى.

وحينما شرعت بالكتابة - بعدما أَجَلْتُ الموضوع في خاطري، وكنت عزمت عليه من زمان طويل - اجتمعت إلي مصادر قليلة، كتبتْ عن نهضة الشيخ، وعن الجمعية. مصادر تحتاج - على أهميتها - إلى روافد أخرى تغذيها، لأنها تضع بين يدي المؤرخ أسئلة شتى عن تفاصيل ضرورية، ليُكمل بها صورة ناقصة من صور العرض، أو يصحح أخرى شوهتها الأيام..

ولهذا وجدتني أجمع إلى هاتيك النثارات التي وقعت عليها مما

---

(١) صدر بالمشاركة مع الأخ الصديق الدكتور محمد مطيع الحافظ، من منشورات دار الفكر، وكان اسمه في طبعته الأولى تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري.

كُتب، أحاديث كان شيوخنا - جزاهم الله عنا أوفر الجزاء - يتحدثون بها عرضاً في مجالسهم، وبين طلابهم. يذكرون تلك الأيام التي انقضت بالوفاء لها.

ووقعتُ مع تلك الأحاديث على بقايا من حقائق تحتاج إلى تنسيق وجمع وترتيب.. وإلى خيط بعد ذلك ناظم.

رتبت ذلك كله، ثم استعنت بما عند ناس كبار، وعت ذواكرهم أحداثاً مهمة أفدت منها، ليكون هذا البحث. وربما كانت تلك المشافهات من أهم ما في هذا الكتاب من معلومات.

وقد توضع على رأس القائمة من أسماء الذين رفدوني بالمهم من المعلومات الصديق الأستاذ منذر الدقر، قدم لي أشياء كثيرة كانت لباباً في الموضوع، ولم يدخر وسعاً فيما قدّم، وقد فتح صدره لي بما حفظ من أخبار وما نقله من معلومات عن أبيه أحد أعمدة النهضة، الشيخ أحمد الدقر.

ثم كانت جلسات مفيدة مع الأستاذ فاروق الطباع(١)، فأكمل تفاصيل دقيقة نقلها كذلك عن رجال من آل الطباع الذين كانوا يكتنفون شيخ النهضة ويكونون معه. وأعانني بوثائق هامة جلّت لي جوانب الموضوع، وأجابني عن أسئلة اعتملت في نفسي من خلال البحث فأضاء الصورة وزادها وضوحاً.

فمن هو الشيخ علي الدقر؟

(١)الأستاذ فاروق الطباع سبط الشيخ علي الدقر، ونشأ في كنفهم وتعلم في مدارس الجمعية والتقى بعلمائها ورجالاتها، وهو أول الشباب عضوية في الهيئة العامة للجمعية منذ عام ١٩٦٣ وتدرج فيها حتى أصبح رئيساً لها.

وماذا كان وراء نهضته؟

ما سر نجاحه؟

وما كانت أعماله؟

هذا الكتاب يضيء صفحات من تلك الأيام الحافلة بالعطاء، أقدمها وفاء لأولئك الشيوخ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وعاشوا حياة مبرورة، وماتوا راضين مرضيين.. رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة.

والحمد لله رب العالمين

نزار أباظة

دمشق ٥ صفر الخير ١٤٣٠هـ

٣١ كانون الثاني ٢٠٠٩م

الحياة العامة بدمشق

خلال النصف الأول من القرن العشرين

أتى على دمشق منذ نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أحداث صعبة، ونزلت بها مصائب أثرت فيها تأثيراً سيئاً، فأحلّت بالناس ضيقاً شديداً، وفتكت بهم.. فابتلاهم الله بنقص من الأموال والأنفس والثمرات.. وعاشت المدينة عيش الصابرين حقبة مديدة من الزمان.

تسلّط عليها في الحكم أواخر أيام الأتراك حزب الاتحاد والترقي الذي أذلّ العباد، وحارب العربية، وطغى وبغى.. وعلق المشانق وتعقب الناس على الهفوات. وعلى عهده ذاك قامت الحرب العالمية الأولى التي استنزفت خيرات البلد، وأفقرت أهله، وجندت شبابه في معارك بعيدة قضوا فيها.. ثم جنى الحزب بعد ذلك خسراناً مبيناً في نتائج الحرب التي انسحب على أثرها من بلاد الشام نهائياً.. وحوّل الإمبراطورية المهابة الجانب إلى دولة لم يعد يحسب لها عدوها حساباً.

ورافق ذلك العهد الأسود ويلات وخيمة، فقد اكتسح البلاد موجات من الجراد أتت على الأخضر واليابس، وتفاقمت من وراء ذلك مجاعة فظيعة، هلك بسببها ناس كثيرون لقوا حتفهم.

ولم تنعم البلاد بالحرية إلا قليلاً مع مجيء الحكم العربي عام

١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م حتى جاءها بلاء الاستعمار الفرنسي عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م. ولم يتقبل السوريون هيمنة الانتداب، فثاروا ثورتهم الشاملة، وبذلوا من أجلها أموالهم وراحتهم ودماءهم، وبقوا يجابهون مراوغة الفرنسيين حتى جلا هؤلاء عن البلاد بعد ست وعشرين سنة من الجهاد المستمر.

قام بالثورة ناس كثيرون من الشرفاء، وكان المحرّض عليها والداعي لها أهل العلم والصلاح، على رأسهم محدّث الشام وشيخها الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر والشيخ هاشم الخطيب، كان لهم تخطيطهم وأثرهم في جميع المحافظات السورية لتقوم قومة رجل واحد.

على أن الحركة الوطنية كانت حاضرة أيام الاحتلال تجابه الظلم، وتماحك الفرنسيين من خلال العمل السياسي والتحريض الشعبي.. فتألفت أحزاب وطنية جاهدت بإخلاص. كما قامت نزعات، اقتصر بعضها على أفكار هجينة، لم تلق قبولاً شعبياً، أو ربما دعا فريق منها إلى دعوات ضيقة إقليمية.

استقطبت الأحزاب كلها طبقة معينة من الشعب، وشريحة منه، أو شرائح بذاتها، إلا أن دعوة علماء الشريعة جمعت إليها قاعدة جماهيرية واسعة، وأدت واجباً عظيماً في تخريج علماء انتشروا في البلاد، ونشروا علم الشريعة واللغة العربية، وارتقوا بكثير من الطلاب، وقدموا إليهم مع العلم تهذيباً وهدياً، وأخلاقاً تعرفُ الحلال والحرام.. وربطوهم بتاريخهم القديم ولغتهم. وغدا لكل عالم حلقته الخاصة وطلابه الذين يأخذون عنه العلم، ثم يتصدرون للتدريس في حياة شيخهم أو بعد وفاته، وعلى طريقته.

وحين جلا الفرنسيون عام ١٩٤٦م قام في البلاد حكم ديمقراطي اعتمد على أساس الانتخابات سنوات قليلة، تصارع خلالها الحزبيون من مختلف النزعات، وكان فيهم مخلصون للبلد.. لكن هؤلاء كلهم فوجئوا ببدعة ليست لها سابقة.. بدعة أول انقلاب عسكري، قام به حسني الزعيم عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م، فأطاح بالحكومة الشرعية، واستبد بالسلطة، وفعل المضحكات، إذ لم يكن أهلاً لحكم ولا لسلطان.. ولكنه سنّ سنة الانقلابات السيئة التي عانت منها البلاد، وأخرت نهضتها بكل جوانبها.

ومنذ أيام الانتداب الأولى عمل الفرنسيون على استنزاف الذهب والفضة من البلاد، وفرضوا عليها التعامل بالليرة الورقية، وكانت قبلُ لا تعرفها إلا قليلاً[١]، فتأثر الاقتصاد، وضعف رصيد المصرف المركزي، وقلّ ما بأيدي الناس من خيرات، وعاش كثير من الدمشقيين على الكفاف، بل دون الكفاف، وانتشرت البطالة. وكان همُّ رب الأسرة تأمين لقمة العيش لعياله.. وشاع الفقر.

ولم يكن في دمشق من المدارس ما ينبغي أن يكون.. وكان القليل القليل من الناس من يصل إلى الثقافة الجامعية[٢] إلى جانب ذلك أدى العلماء دورهم في نشر العلم كما أشرنا آنفاً.

---

(١)انظر كتاب (قصة الليرة السورية) للدكتور عبد الرحمن عطار.

(٢)هذه الندرة تخرجت في الثانوية الرسمية الوحيدة (مكتب عنبر) والمدارس الإعدادية (الرشدية) القليلة، وبالمدارس الخاصة للمرحلة ما قبل الجامعية وأهمها المدرسة الكاملية للشيخ كامل القصاب والمدرسة المحسنية للشيخ محسن الأمين، والكلية العلمية الوطنية لآل العائدي.. وببعض المدارس التبشيرية.. ثم بمعهد الحقوق ومعهد الطب، ومدرسة الأدب العليا (نواة قسم اللغة العربية)، وتأخر افتتاح مدارس البنات حتى أواخر القرن التاسع عشر.

ومع هذا بالطبع فقد تأخرت أدوات الثقافة، وكانت الجرائد القليلة الصادرة تجاهد لتستمر، وما كانت جرائد قويّة وإنما تصدر وتتوقف، اللهم إلا بعض جرائد كانت لزمن الشيخ علي الدقر أول بزوغ دعوته، وهي أربع: المقتبس لمحمد كرد علي، والشعب لتوفيق جانا، وألف باء ليوسف العيسى، وفتى العرب لمعروف الأرناؤوط[١] ومنها جرائد هزلية ناقدة ساخرة تتوفر على نقد الحياة عموماً، والحياة السياسية خصوصاً[٢].

وقلما كان يصدر إلى جانب هذه الصحف كتب محققة من التراث أو بأقلام العلماء. وما كان يحتاجه طلاب العلم كان يستورد على الأغلب من مصر.. وكذلك المصاحف تفد منها ومن تركية، ثم صارت تطبع هنا[٣].

ومن ثم فلم تقم دور للنشر بالمعنى الصحيح إلا في خمسينات القرن العشرين. وكانت المكتبات التي تبيع الكتب المستوردة قليلة، محصورة في سوق المسكية قرب الجامع الأموي[٤]. ومع هذا فإن الكتب التي ترد إلى دمشق كانت محدودة المواضيع، تلبي حاجات

---

(١)قال علي الطنطاوي: مع هذه الجرائد جرائد ليست في منزلتها، ذكريات ٢/ ٩. وانظر معجم الجرائد السورية لمهيار الملوحي.

(٢)واشتهرت من بين هذه الجرائد الهزلية جريدة «المضحك المبكي» التي لاقت إقبالاً شديداً من المواطنين إذ كانت تعبر عن آراهم في نقد السياسة والحكومة، وربما نبهت مقالة فيها أو تعليق ساخن على مخالفة إدارية فأسقطت حكومة أو أقالت وزيراً أو أججت إضراباً.

(٣)عرفت في دمشق مصاحف مكتبة المهايني والوتار والملاح والهاشمية.

(٤)وقد أزيل هذا السوق حينما كشفت دائرة الآثار الجامع الأموي، وكان المثقفون وطلاب العلم يديمون الذهاب إليه لشراء المتوافر من الكتب.

الحلقات والمدارس، وتركز على جانب معين من الثقافة[١].

ولم يكن بدمشق أواخر القرن التاسع عشر مكتبة وطنية عامة تتولى الدولة شأنها، حتى نهض بعض العلماء، وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري (-١٩٢٠م)، فاستعان بقوة أحد الولاة المتنورين، فجمع مخطوطات الأوقاف المتناثرة، المعرّضة للسرقة، فأنشأ منها ومن كتب مطبوعة دار الكتب الظاهرية، كانت نواة لأول مكتبة وطنية، وأول مركز ومنتدى ثقافيين رسميين.

ثم قام إلى جانبها في المدرسة العادلية صرح المجمع العلمي العربي الذي أسس عام ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، فنهض باللغة العربية، وأحياها بعدما حجر عليها الأتراك الاتحاديون.

والحق أن المجتمع في دمشق كان متحمساً للغة العربية، يؤمن بها كل الإيمان، لأنها لغة القرآن، فلم تمض مدة بعد انسحاب الأتراك حتى تحول الناس إلى العربية بسهولة ويسر[٢]، ولا يخفى في هذا الجانب أثر العلماء في حلقاتهم.

وقد عرف اهتمام الشيخ علي الدقر بعلوم العربية، إذ كان دافعه إلى العناية بها دافعاً دينياً، وكانت كتب النحو والصرف والبلاغة واللغة مقررة في مناهجه إلى جانب مصنفات الشريعة. ومنذ بدايات الحلقات عنده؛ الأمر الذي ميّز تلامذته بتمكنهم الفائق باللغة الأم.

---

(١)من أوائل دور النشر في أربعينات القرن العشرين وخمسيناته مطبعة الترقي في الكلاسة، ومكتبة الشيخ ياسين عرفة في المسكية، ومكتبة اليقظة، ومكتبة الشرقطلي، والمكتبة الأموية، ومكتبة أحمد عبيد في الحريقة، ومكتبة أطلس وكيل دار المعارف المصرية، ثم افتتحت دار الفكر نشاطها في أواخر خمسينيات القرن الفائت.. وتتابع افتتاح الدور بعد ذلك.

(٢)انظر كتاب حاضر اللغة العربية في بلاد الشام لسعيد الأفغاني.

ولعل الغيرة على العربية كذلك دفع الشباب المتحمسين إلى إقامة مشروع مكافحة الأمية الذي قام على أيدي الأهالي، وتخلّص بسببه كثيرون من أميتهم، اندفعوا في مشروعهم قبل أن تفكر الدوائر الثقافية الرسمية به.

وكانت دمشق بلدة محافظة متمسكة بالتقاليد في حياتها اليومية، والنساء قلما يغادرن بيوتهن، فإن خرجن لحاجة ضرورية ظهرن متسترات متجلببات بالثياب السود، مستورات الوجه بالمناديل، لا يختلطن بالرجال.

وكان الناس يؤدون الفرائض من صلاة وصيام، وكان الدين غضاً شائعاً، وجمهور العامة من المحافظين، مع سيطرة عادات وتقاليد تبعد عن الدين يظنها كثير من العامة منه، وهي ليست من أصوله. وكان من أراد من الشباب أن يزيغ في الضلال اقترف المآثم بالستر، ولم يجاهر بالمعصية.. خوفاً من أن يجلب السمعة السيئة لأسرته. ولم يكن يُعرف الفحش ولا التفحش حتى ابتدع الفرنسيون بيوت الدعارة، وسمحوا بها في مكان معين بشارع البدوي، الذي كان مقصد المنحرفين، وهي بيوت قلدت الأوروبيين..

وعمت الطرق الصوفية؛ فقد أدخل الشيخ خالد النقشبندي الطريقة النقشبندية لما استقر بدمشق مهاجراً إليها من بلاد الأكراد في القرن التاسع عشر[1].. وجاءت الطريقة الشاذلية مع المغاربة الذين

(١) الشيخ خالد النقشبندي، شيخ مشايخ الطريقة النقشبندية، ولد عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م في بلدة قرب السليمانية بالعراق وقرأ على مشايخها ورحل في طلب العلم إلى بلاد شتى حتى وصل إلى الهند، فسلك على بعض شيوخها، وتقلبت به الأسفار حتى ألقى ترحاله في دمشق، وبها توفي سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م وقد جمع علم الحقيقة (التصوف) مع علم الشريعة، ولذلك قالوا: ذو الجناحين، مولانا خالد النقشبندي.

توطنوا هذه البلدة قبل مجيء الأمير عبد القادر الجزائري[١].. وكان هو يأخذ بجانب عظيم من التصوف، ويعنى بكتب الشيخ محيي الدين بن عربي.. وعرفت دمشق طرقاً صوفية أخرى.

وسنتعرض بشيء من التفصيل للحديث عن الطريقة التجانية التي أخذ بها الشيخ علي الدقر، وما جرّت على المدينة من فتنة نجاها الله منها بعد شدّة.

ومع أن المجاعة والفقر اجتاحا دمشق أيام الحرب العالمية الأولى، كما أشرنا آنفاً إلا أن الصبر كان ديدنها، وكانت تحضِّر منذ ذلك الوقت للخروج من الأزمة، والتخطيط لحركة تجارية كانت تقودها غرفة تجارة دمشق التي نشطت نشاطاً غير عادي في عشرينات القرن الماضي.

وقد قادت الغرفة مشروعات حيوية منها إدخال مياه عين الفيجة في منتصف العشرينات إلى البيوت التي كانت تشرب من نهر بردى المكشوف غير الصحي[٢]. وشجعت على زراعة شجر التوت لتربية دود القز وصناعة الحرير، ووفرت المواصلات التجارية بين دمشق وميناء بيروت، وحرّكت عملية الاستيراد والتصدير. كما أسست الغرفة مدرسة الصنائع لنشر الحرف المفيدة، والمدرسة التجارية

---

(١) وجاء معه أفراد الهجرة الثانية من الجزائر في هجرته إلى دمشق عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، وتوفي بها عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م ونقل جثمانه إلى الجزائر لما استقلت، انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٤٥.

(٢) جرّ مياه عين الفيجة أولاً إلى دمشق الوالي المعروف ناظم باشا، وأنشأ السُّبلان في الساحات والطرقات العامة لغرض الشرب، وبقيت البيوت تستعمل ماء بردى للانتفاعات الأخرى. وانظر النشرة الاقتصادية لغرفة التجارة لأعدادها ما بين عامي ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤ و١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠ لمعرفة تطور مشروع عين الفيجة وإنشائه.

لتخريج طلاب مضطلعين بأمور التجارة والحسابات على الوجه الصحيح.

وشهد القرن العشرون في أربعيناته نهضة اقتصادية شاملة، قامت بها شركات هامّة، غالبها بمساهمة المواطنين[١]، فأقيمت مصانع لمواد استهلاكية ضرورية انتعشت لها البلاد، وضاهى كثير منها البضائع الأجنبية، وحافظت على جزء كبير من أموالها. وأتاحت فرص العمل لقسم كبير من المتبطلين، ورفعت مستوى الدخل القومي[٢].. كما انتعشت البلاد من قبل بصناعات النسيج اليدوية والآلية التي وفرت احتياجات البلاد، وفاض منها فوائض أخذت دمشق تصدر منه وتجني أرباحاً مفيدة. كذلك راجت تجارة تصدير الفواكه والخضار، آنذاك. لكن هذه المعامل ما لبث أن تعثرت في أواخر الخمسينات حين دخلت سورية أنظمة التأميم التي لم تجن من ورائها ما كان خطط له..

وكانت تجتاح البلدة كل حين جائحات الهيضة (الكوليرا) أو الملاريا، أو غيرها.. لكن الأمراض العارضة كانت تعالج لدى الأطباء المعروفين الذين يتخرجون في المعهد الطبي الذي أسس في نهايات القرن التاسع عشر[٣]. إلى جانب الطب الشعبي الذي يمارسه

---

(١)قام حماس وطني لإنشاء المصانع، وأقبلت العامة على شراء الأسهم حتى إن نساء كثيرات بعن حليهن من أجل ذلك.

(٢)وجعلت الصادرات السورية تملأ أسواق البلدان القريبة وغيرها، وكانت مطلوبة مرغوبة لجودتها.. وكذلك الصادرات الزراعية، والصناعات الزراعية كالفواكه المجففة المشتهرة بها دمشق.

(٣)واشتهر أطباء دمشق شهرة فائقة.. منذ أوائل القرن العشرين، وكانت العاصمة السورية ملاذاً طبياً للبلاد المجاورة يأتيها المرضى من الأردن وغيره للعلاج.. وعرف مستشفى الغرباء (الوطني) باستقباله المرضى مجاناً. ثم أسس مستشفى المواساة بتبرع المواطنين وإقبالهم على إنشائه من أموال خاصة عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م، فأدى خدمات جلّى مشهورة آنذاك.

العطارون والمجبرون الشعبيون، والقابلات الجاهلات.. مما رفع معدّل الوفيات عموماً.

ولا ينكر جهود الأطباء الدمشقيين الذين خرَّجهم المعهد المذكور، ولا فضل معامل الأدوية التي قام بها بعض المواطنين وعلى رأسهم الصيدلاني الفذ عبد الوهاب القنواتي الذي أسس معمله عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، وقريبه عبد الرحمن القنواتي وكذلك الدكتور صلاح الدين الكواكبي، إلى جانب الصيدليات التي كانت في الحقيقة معامل صغيرة للأدوية.

أما الحركة الفنية في دمشق فقد كانت في ركود، نشطت في القرن التاسع عشر بظهور أبي خليل القباني ومسرحه المبتكر، فلقي حرباً من بعض العلماء والأعيان للخوف من الجديد، ورأت الحكومة أن تتقرب إليهم، فأمرت بإغلاقه، ورحل الرجل إلى مصر، وكان من أمره ما كان، ثم عاد إلى دمشق فمات بها في أوائل القرن العشرين. قال محمد كرد علي: وتأخر ظهور المسرح بعده أكثر من أربعين عاماً. وكانت فرق مسرحية من لبنان ومصر تفد إلى دمشق تقدم عروضها.. ولم تكن هناك مظاهر فنية غير المسرح لتظهر على السطح إلا على قلّة؛ لا تشكل شيئاً ذا بال.

هذا هو الوضع العام الذي قامت فيه نهضة الشيخ علي الدقر، سقناه بإيجاز شديد لإلقاء الضوء على البيئة المحيطة، وقد تجاوزت النهضة كل المصاعب.. وأنشأت جيلاً يؤمن بالله والوطن، ويحمل رسالة تقوم على أخلاق الإسلام.. وغيرت في المجتمع تغييراً هاماً.. وإليها يعود الفضل في تحريك الركود وتجاوز كثير من التخلف الاجتماعي وخصوصاً في الأطراف.



الباب الأول



الشيخ علي الدقر
سيرة حياة

ما أدري والله كيف سيعيش هذا الولد، وكيف سيصير إذا كبر؟

(والد علي الدقر)

وما درى أن القدر خبأ له حياة عريضة لن تكون لكل أحد

(علي الطنطاوي)



الفصل الأول

الأسرة

ولد محمد علي بن عبد الغني بن محمد علي بن عبد الغني الدقر بن صالح بن سعيد الدقر، وهذا الأخير هو جد الأسرة بدمشق وإليه تنتسب.

ولد بدمشق عام ١٢٩٤هـ الموافق لعام ١٨٧٧م لأسرة معروفة بها منذ نحو أكثر من أربعة قرون، وقيل إنها منسوبة للنبي ﷺ[١] كما قيل إن أصل الأسرة من مدينة بعلبك في البقاع، رحل منها أحد أجدادها إثر فتنة قامت بين أهل السنة والشيعة، انعدم خلالها الأمن، واضطربت الأوضاع، فنزل بأسرته دمشق، واستقر بها.

ومعنى الدقر في المعجم الروضة الغناء العميمة النبات، ودقِر المكان: صار ذا رياض وندى، ودقر النبات: كثر وتنعم. وما أظن هذا هو المعنى الذي اكتسبته الأسرة للقبها، وإنما الغالب أنه جاء من قول العامة: (دأّر) أي دقّر الرجل، إذا تريث وتوقف لأمر ما. وأفاد بعض الباحثين أن هذا اللقب لحق بها نسبة إلى أن أحد

(١)قال في معجم الأسر الدمشقية ١/ ٣٧٠: وفي آل الدقر مشجّر في انتسابهم إلى الإمام الحسين بن عليّ رضي الله عنهما عن طريق محمد المهدي بن الحسن العسكري، ومن الثابت أنه لم يعقب. نقله عن (جامع الدرر البهية) ١٩٨.

أجدادها، كان إذا سئل عن شيء ما، تمهل كي يفكر.. فقال الناس: (دأّر).

سكنت الأسرة في زقاق البرغل بحي الشاغور الجواني، أحد الأحياء العريقة فيها.. وبه نشأ أفرادها، وبه ولد وترعرع الشيخ محمد علي. كان رابع خمسة من إخوته، أبوه رجل أعمال وزراعة، كان من جملة أعماله القيام بالتعهدات الكبيرة، وامتلك عقارات كثيرة وأراضي زراعية وحوانيت، ومعملاً للنشاء. وقد أنشأ للحكومة العثمانية المبنى الذي تخصصت فيه الجامعة السورية (جامعة دمشق فيما بعد) بحي البرامكة، وأطلق عليه اسم الثكنة الحميدية (القشلة)[1].

كما عمل هذا الأب في تعهد العشور والضرائب للدولة حتى صار واسع الغنى، يشار إليه بالبنان.. كما أنه تولى نقل الحجارة اللازمة للجامع الأموي لما تهدم بناؤه في حريق عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، واحتاج إلى ترميم، فكان يحضرها من المزة.. ثم نزلت به خسائر، اضطرته إلى بيع نصف أراضيه ليسدّ العجز.

وبرز من أسرة الشيخ رجال عرفوا واشتهروا بين الناس، منهم ولده الشيخ أحمد بن علي الدقر الذي تسلّم المهمة الأولى في الجمعية الغراء، وأدارها فيما بعد هي ومدارسها خير إدارة، وعليه كان معول والده. وكان معروفاً بعمق التفكير وحسن التخطيط لرفع شأن

---

(١) نقل الأستاذ منذر الدقر عن عمر الحكيم (- ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) رحمه الله أستاذ الجغرافية في كلية الآداب، أن هذا البناء الجميل لا يوحي بأنه شيّد للجيش، وإنما أسس ابتداء لغرض آخر الأغلب أنه للجامعة. ثم استعملته الدولة ثكنة لاضطرارها، فغلب عليه اسم القشلة.

الطلاب وحماية الجمعية[١]. كما اشتهر الشيخ عبد الغني الابن الثاني للشيخ علي، وكان علاَّمة في الفقه والعربية لغة ونحواً وصرفاً وأدباً.. ووضع المؤلفات، وإليه آلت إدارة الجمعية بأخرة[٢].

وعرف من الأسرة كذلك عبد الرحمن بن صادق الدقر الأخ الأكبر للشيخ علي، وكان ذا حظ من العلم، وشارك بالثورة السورية، كان يحفظ القرآن، وتولى خطابة جامع الفواخير بمنطقة شورى بالمهاجرين، وكان تولى إدارة مدرسة وقاية الأبناء بالميدان زمناً، والشيخ كامل بن صادق الدقر ابن أخي الشيخ علي (- ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) كان عالماً فاضلاً ومدرساً مربياً، اشتهر بعلم النحو. وأخوه الشيخ عبد الرؤوف بن صادق (توفي أواخر سبعينيات القرن العشرين) كان من طلاب الشيخ القدامى عمل بالتجارة[٣].

وممن عرف من الأسرة محمد مفيد ابن الشيخ أحمد وحفيد الشيخ علي الدقر، حقوقي مفتش في وزارة التموين سابقاً، وعضو مجلس المحافظة من قبل. ورئيس الجمعية الغراء. ومن آل الدقر الأستاذ منذر حفيد الشيخ علي، اشتغل بالتدريس الشرعي والخطابة، وكانت له

(١)سيأتي الحديث عنه في الباب الثاني إن شاء الله.

(٢)انظر ترجمته في كتاب (علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري) للمؤلف، ط دار الفكر، وكتاب (عبد الغني الدقر) للأستاذ إياد الطباع، ط دار القلم بدمشق.

(٣)كان عبد الرؤوف الدقر يحضر عند الشيخ مرة وهو عاجز مصاب بشلل الأطفال، فصادف أن حضر أقاربه يودعون الشيخ من أجل ذهابهم للحج، فالتفت إليه عبد الرؤوف وقال له: يا سيدي مرهم أن يصحبوني معهم، فصحبوه على كره، فلما كانوا في الطواف وضعوه جانباً، وقالوا له: بعد الطواف نبحث لك عن حمّال يطوف بك، وحين غادروه التجأ إلى الله بقلب كسير وأكثر من الدعاء، فشفي للحال.. وإذا بهم يرونه واقفاً على قدميه، وعاد إلى دمشق معتمداً على عكاز.

مكانته في وزارة الأوقاف، والدكتور نزار بن عبد الرحمن، وأخوه الصيدلاني صفوح..

كما اشتهر منهم محمد رشيد بن عزت الدقر، وهو إداري سياسي، شارك بقيام «الحزب التعاوني الاشتراكي» الذي ترأسه فيصل العسلي، ثم انتسب إلى «الحزب الوطني» بزعامة صبري العسلي[(١)] وهو الذي أسس كلية التجارة بجامعة دمشق، وكان أول عمدائها، كما أسس الجامعة الأردنية وأوكل إليه رئاستها وكان وزيراً للمالية في سورية.

ومن أعيان الأسرة توفيق الدقر[(٢)] طبيب معروف، وعبد اللطيف بن مصطفى تاجر صالح محب للعلماء، ومحمد نورس بن عبد اللطيف من الوزراء.. وغيرهم عديدون.

وكان إخوة الشيخ علي الأربعة منصرفين مع أبيهم في أعماله، وأبوه يريده أن يكون مثلهم، خصوصاً وأنه كان أحب أولاده إليه، وأبرهم به. وقد جرب الأب أن يحمله على طريقته فلم يفلح.. ذلك أنه كان من طينة أخرى هي طينة العلم والعبادة والتواضع والزهادة، والبعد عن الغرور والكبرياء، أخلاق هيأها الله له في طريق سيسلكه، وعبء سيحمله في النهضة العلمية التي رعاها وفجرها.

---

(١)من هم في العالم العربي ٢٤٦، مذكرات خالد العظم ٣/ ٤٧، وفي صفحات أخرى.

(٢)منتخبات التواريخ ٨٨٧.

الفصل الثاني

محطات في حياة الشيخ علي الدقر

النشأة الأولى

نشأ محمد علي الدقر كما ينشأ لداته، لم يتميز منهم بشيء، تعلم القرآن الكريم كما يتعلمون، وكذلك القراءة والكتابة في الكتاتيب التي كانت منتشرة في دمشق آنذاك. لا يخلو حي من أحيائها من واحد منها أو أكثر، وكانت متفاوتة في مستوياتها بحسب شيوخها والقائمين عليها[1].

ولقد رعاه في هذه السن أحد أعمام أبيه، كان معروفاً بصلاحه يحب مجالسة العلماء يدعى الشيخ عبد الكريم الدقر، كان يشتغل في دكان له بمهنة العطارة، فأحبه حباً جماً، ولازمه وانتفع بتوجيهه، وتمنى لو كان أباه هذا العم المبارك.

ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ عيد السفرجلاني[2] فبقي فيها سنوات،

---

(١)تناول عديدون من المؤلفين موضوع الكتاتيب، ولكن غالب الذين كتبوا أعطوا عنها صورة مضحكة سيئة مظلمة، في حكم تعميمي، ولم تكن كل الكتاتيب على مستوى واحد، فقد تخرج ببعضها ناس أفادوا منها، وإن كان يغلب عليها الشدة والجهل وافتقاد الرؤية التربوية.

(٢)الشيخ عيد السفرجلاني (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، كان قيّم مكتبة المدرسة السليمانية، =

حصَّل خلالها مبادئ العلوم.. وكانت أول مدرسة بالمعنى المختلف عن الكتاتيب، لها نظامها التربوي ودروسها المفصلة.

وخلال ذلك لزم الشيخ أبا الصفا المالكي[١] فأخذ عنه القرآن الكريم وأتقنه.

ثم إنه في المرحلة التالية، مرحلة ما بعد تخرجه في مدرسة الشيخ عيد انصرف بكليته إلى حلقات العلماء[٢] فلم يسلك طريق إخوته الذين يكبرونه في مشاركتهم لأبيهم بأعماله التجارية. وقد كان أبوه يريده مثلهم كما ذكرنا، وكان مقياس الرجولة عند هذا الوالد قدرة المرء على اكتساب المال. فلما رأى ما انتهى أمر ولده الذي يحبه الحب الكبير تألم لحاله، وشكا إلى صديق له، فقال يبثه همه: «ما أدري والله كيف سيعيش هذا الولد، وكيف يصير إذا كبر؟». وما درى أن القدر خبأ له حياة عريضة، لن تكون لكل أحد[٣].

= فأنشأ بها المدرسة المشار إليها (الجمقمقية) عام ١٢٨٧هـ، ثم نقلها إلى جامع سنان آغا، فإلى مستودع في منطقة المناخلية، ثم استقر طلابه في المدرسة الجوهرية. وقد تخرج فيها بإشرافه أفواج من التلاميذ من ثلاثة أجيال، الآباء والأبناء، وأبناء الأبناء، كان الشيخ عيد رجلاً تربوياً بالفطرة، يحب الطلاب، ويسعى لتعليمهم وتربيتهم التربية الإسلامية القائمة على الخلق والتوجيه والتوعية مع العلم. انظر ترجمته موسعة في كتاب علماء دمشق وأعيانها في وفيات التاريخ المذكور.

(١)أبو الصفا المالكي ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م أحد شيوخ القراء بدمشق، انظر كتاب (علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري)، في وفيات السنة المشار إليها.

(٢)كانت طريقة الحلقات آنذاك أن يأخذ الشيخ نسخة من الكتاب الذي يقرره على طلابه، ويأخذ كل تلميذ نسخة منه، فيقرأ لهم، ويشرح، أو يقرؤون عليه هم، ويفسر .. يبين قصد المؤلف، ويوضح العبارة، (مجلة الرابطة ص٣٨) مقالة الشيخ علي الطنطاوي.

(٣)المرجع السابق، ص٤٢، جاء فيه: عاش هذا الصديق حتى بلغ الشيخ علي الدقر =

لازم الفتى إذن حلقات العلوم الشائعة آنذاك، علوم الشريعة والعربية والفلسفة؛ قصد أولاً حلقة الشيخ أمين البيطار[1] أرشده إليه قريبه المشار إليه عبد الكريم الدقر، فقرأ عليه في جامع السنانية حتى بلغ سن الشباب.

ثم انتقل إلى حلقة الشيخ محمد القاسمي[2] في جامع حسان بباب الجابية، وكان خطيباً وعالماً فاضلاً يجهر بالحق، فقرأ عليه في علوم العربية والفقه الشافعي وأصوله وعلم الكلام، ولازمه مدة طويلة ملازمة تامة وأحبه، وأقبل كل منهما على الآخر، وكان الشيخ علي يمضي صباحاً ينتظر أستاذه عند بيته لا يطرق عليه بابه حتى يخرج لصلاة الفجر، فينطلق معه إلى الصلاة فالدرس، وكان هو معيد الدرس، عليه وظيفة القراءة بين يدي الشيخ.

وعرف الشيخ قدر تلميذه، ووثق بعلمه وفهمه، ورآه بعد حين قد صار أهلاً للتدريس فوجهه إليه. فصارت له حلقة في حياة شيخه قصدها الطلاب الذين تدرج بهم في الإقراء حتى قرر الكتب الكبار وشيخه حي. وربما حضر الشيخ القاسمي حلقة تلميذه، وربما حضر معه كذلك أنداده من الشيوخ الكبار من أمثال الشيخ عبد المجيد

= ذروة مجده، وازدحمت عليه الألوف، ورآه يوماً وهو خارج من المسجد ووراءه الحشود من أرباب العمائم، فتذكر ما قاله الأب، وعرته حالة غريبة حتى غاب عن حاضره، ومضى إلى قبر الأب، وصرخ بأعلى صوته: يا أبا صادق، يا أبا صادق، ارفع رأسك فانظر إلى ابنك كيف صار، المرجع السابق

(١)ترجمته في (علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري) وفيات سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

(٢)المرجع السابق، وفيات سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.

الطرابيشي[١]، والشيخ عبد الرزاق الطرابلسي[٢] والشيخ عبد الله الجلاد[٣].

وخلال ذلك كان الشيخ علي يتردد على العلامة الأصولي الشيخ أمين سويد[٤] فقرأ عليه بعض العلوم إلى جانب التصوف، وحضر أيضاً عند عالم الشام ومحدثها الشيخ محمد بدر الدين الحسني[٥] وكان عنده أثيراً محبوباً مقدماً، لقي منه عناية، وسمع منه الكتب الصحاح الستة، وقرأ عليه في الأصول وغير ذلك، وربما اختصه بقراءة بعض الكتب، ينفرد به في غرفته بدار الحديث النورية، وكان يقدمه للإمامة في صلاة العشاء ببيته بعد فراغه من الدرس الخاص. ثم كان الشيخ علي فيما بعد يطلب من الشيخ بدر الدين دروساً خاصة لطلابه النجباء.

ولقد تفرس الشيخ بدر الدين فيه الخير، فصدقت فراسته، ولم يخب ظنه، فتحقق فيه ما كان يرجوه من الصلاح والإصلاح وبث العلم، فلما انتشرت دعوته أخذ يؤازره، ويشدّ عضده ويشجعه، ويثني عليه في الناس، فكان يقول: «لو أنصف أهل الشام لما تركوا الشيخ علي وتلامذته يمشون على الأرض، بل حملوهم على رؤوسهم».

واتصل الشيخ علي كذلك بالمحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني[٦].

---

(١)المرجع السابق، وفيات ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.

(٢)المرجع السابق، وفيات ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م.

(٣)المرجع السابق، وفيات ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م.

(٤)المرجع السابق، وفيات ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

(٥)انظر للتوسع في ترجمته الشيخ محمد بدر الدين الحسني المرجع السابق، وفيات عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

(٦)انظر لترجمته المرجع السابق وفيات ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.

هؤلاء هم شيوخ الشيخ علي الدقر، أخذ عنهم علماً كثيراً، انصرف إليهم بكليته، لا يشغله عنهم شيء.. ومع أنّ حركته ارتكزت على العلم والدعوة إليه فقد قامت على الإخلاص وصدق التوجه منه ومن الرجال الذين ساندوه.

الاستقلال عن الشيوخ

بدأت المرحلة الثانية من حياة الشيخ علي منذ مات شيخه الشيخ محمد القاسمي، أو في أواخر حياته كما رأينا حين استقل بحلقة خاصة به. وقد انطلق من جامع السادات بباب الجابية، في بداية صعبة، لأن الناس كانوا في أثناء الحرب العالمية الأولى وإثر دخول الفرنسيين مشغولين عن العلم بتوفير لقمة العيش في الظروف الحياتية الصعبة آنذاك وأضر بهم انتشار الفقر، ولذا فقد ركز في دروسه على التكافل الاجتماعي، وأخذ يحث الناس على البر، ويعالج مشكلات المجتمع والسوق والباعة بمختلف مهنهم.

كان جامع السادات يقوم في أهم أسواق دمشق حينذاك، سوق مدحت باشا وسوق الذراع (الضراع) وحي سيدي عامود، وحي الحصرية (ومكانهما قامت أسواق الحريقة اليوم) وكان رواده هم التجار الذين يجاورونه في تلك الأسواق، فكان الشيخ علي يعقد لهم حلقات العلم في غرفة علوية بالمسجد، وكان ممن لازمه منهم على نحو خاص تجار من آل الطباع (أبناء الحاج خليل) وقرؤوا عليه القرآن الكريم وتفسيره والحديث والفقه وعلوم العربية، وبدأ سريعاً يزداد عدد الحاضرين، لأسلوبه الذي أخذ يؤثر فيهم، وللموضوعات التي كان يطرقها مما يهمهم.

وكان هؤلاء التجار يخبرون الشيخ بما يجري في المجتمع من عادات سيئة فيما يتعلق بأمور الزواج والبيوع والانحرافات. فكان يتناول في دروسه ما يدعو إلى إصلاح المجتمع، وينذر الناس، ويعالج مشكلاتهم اليومية الحساسة فأخذ يؤثر فيهم وتستقطبهم لدروسه العامة التي جعلت تحدث فعلها في البيئة حوله وخصوصاً في حقبة الحكم العربي، ومرحلة ما قبل دخول الفرنسيين، وفي أثناء الثورة السورية وما بعدها. وزاد الوضع سوءاً الخطر الذي أخذ يتهدد دمشق بعد اتفاقية سايكس بيكو، وخطر الفرنسيين المتسلط على سواحل بيروت وإنذار غورو.. فأخذ الشيخ يبين لهم أخطار الاستعمار، ويثير في نفوسهم النخوة والرجولة، فكان أن خرج عدد من رواد مسجده إلى لقاء غورو في ميسلون[١]. وقد أثمرت هذه العلاقة بالتجار فيما بعد وأذكت حركة الشيخ، فكان لهم أثرهم في دعمها المتواصل.

وتناهى إلى الشيخ عن طريق هؤلاء التجار أن الفساد والخطر أخذ يعمّ البلاد وخصوصاً بعد دخول الفرنسيين، فقد أخبروه أن النساء في البلد بدأن يتكشفن[٢] وأن مدارس الدولة تعلم العلوم بعيداً عن الدين.. كما أخبره هؤلاء التجار أن الفرنسيين أخذوا يقومون بالتبشير

---

(١)كان من طلابه الذين شاركوا في معركة ميسلون من آل الطباع محمد مراد وياسين وأنيس وصبري وشكري وحكم هذان الأخيران بالإعدام مع مجموعة من الشباب، منهم خير الدين الزركلي، وقد هربوا كلهم حتى صدر عفو عام فرجعوا، وشارك كذلك حمدي الجويجاتي، انظر تراجم بعضهم في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري.

(٢)كل الذي حصل أن امرأة واحدة هي معاونة مديرة دار المعلمات سارت في الطريق مكشوفة الوجه، (مجلة الرابطة، مقالة علي الطنطاوي، ص٣٩)، كما أن امرأة من بيت المحاسني رآها بعض طلاب الشيخ علي الدقر كاشفة الوجه تسير في حي القنوات فوبخها وزجرها فجاء أهلها إلى بيته يعتذرون.

في حوران وفي البقاع.. واقترحوا عليه استقدام بعض أبناء الحورانيين وغيرهم لتوعيتهم، ثم نشرهم في قرى بلادهم للوقوف في وجه إرساليات المبشرين. وبلَّغوه ما كانت عليه الأرياف من جاهلية.. فعظم الأمر على الشيخ. وفكر ليالي طوالاً فيما ينبغي فعله.. ورأى المسؤولية عظيمة، واقتنع بأن العلم وحده لا يكفي، إذا كان أصحابه يحبسون أنفسهم على كتب لا تحرك فيهم دماء العمل، ولا تنفعهم في حياة. ودفعه ألمه لما يحصل إلى الشعور بمسؤولية العلِم في التوجيه، فلم يعد يقتصر على شرح عبارة الكتاب الذي يُقرئه في الدرس، وإنما يطعِّم الدروس بتبصير الناس بالعواقب إذا أهملوا واجبهم، ويذكرهم بغضب الله، ويحثهم على الوقوف في وجه الفرنسيين وجهادهم قدر المستطاع، وجعل يدعو للآخرة. فتوسعت عندئذ دروسه، ولم تعد تقتصر على التجار. واستجاب له الشباب إذ لمسوا إخلاصه.

وتعاون الشيخ مع هؤلاء التجار[١] الذي بعث بهم إلى قرى حوران فجلبوا عدداً من الشباب الذين استجابوا لهم، من قرى كثيرة في حوران الشمالية والجنوبية، بل جاء بعضهم من بدو اللجاة من الأردن يطلبون العلم، فسلكوا عند الشيخ أشهراً تزودوا بالتوجيه أكثر مما نالوا من العلم، فعادوا يحملون مهتمين؛ توعية الناس

(١)كان التجار الذين حول الشيخ على صلات بالحورانيين وخصوصاً آل الطباع يزودونهم بحاجاتهم عن طريق عملائهم في بلدات حوران، لذا كانوا على اطلاع بما يجري فيها. وهم ينقلونها له. قال علي الطنطاوي: «كان حوران يعيش يومئذ في جاهلية مزدوجة وكان أهله يعيشون عيشه من لم يدر أن رسولاً بعث وقرآناً نزل، يتزوجون بالشغار. ويأكل الأولياء مهور النساء، وتُخطف الزوجة من بيت زوجها، فقدوا مع آداب الإسلام نخوة الجاهلية، وليس هذا فيهم كلهم ولا في جلهم، ولكنه معروف فيهم، ناشئ بين ظهرانيهم»، (مجلة الرابطة، السنة الثالثة، ع٧، ص٤١).

لأخطار الفرنسيين، وضرورة الأخذ بأسباب الدين وأثر هؤلاء في توعية القرى والبلدات، وبينوا لأهلها خطر التبشير.

انتشار الدعوة

وضاق جامع السادات الصغير على الشيخ، فانتقل إلى جامع سنان باشا (السنانية) القريب في باب الجابية، حيث يمكن أن نقول إنه بدأ فيه المرحلة الثالثة من حياته، بعد أن أقبل عليه الشباب حين لمسوا إخلاصه، وصار الناس يسمعون كلاماً لا يجدونه عند كل أحد.. لما كان يثيره ضد الفرنسيين، فأكبره الوطنيون من الزعماء، وأخذ يؤثر في الحاضرين، وتسابق إليه الناس، وازدحموا عليه، فنفخ فيهم حب العلم والعمل.

ثم استقدم مجدداً من حوران شباباً لطلب العلم أرسل لهذه الغاية مبعوثين من طلابه الأوائل إلى القرى والأرياف، واستجاب الحورانيون فجعلوا يرسلون أبناءهم لطلب العلم.

وأثمرت جهود الشيخ علي فانقلبت مساعيه إلى حركة علمية منظمة، استطاع بواسطتها أن يحرك قلوب الأهالي في البلدات المختلفة البعيدة فجعلوا يرسلون أبناءهم إلى دمشق، وكان الطالب يلازم شيخه سنوات يعود بعدها إلى بلده معلماً ومرشداً، وبذلك أحيا الشيخ علي دياراً واسعة نشر فيها الوعي والعلم، وهو في مكانه بدمشق يذكي هذه النهضة ويوجهها. ولما ازداد الإقبال عليه قامت الحاجة إلى تأسيس الجمعية الغرّاء عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وسنفرد لها باباً خاصاً.

ولم تمر على دعوة الشيخ مدة يسيرة حتى تجاوبت أصداؤها في

أقطار الشام كلها، وأحس بها القاصي والداني، واعترف بقوتها العدو والصديق.. وتخرج به أعداد من العلماء، حملوا العلم والدعوة إلى الله. ولمعت أسماؤهم في كل البلاد، وأثروا في الحياة العلمية والاجتماعية والفكرية، وقاموا بواجب الدعوة، وحملوا لواء العلم، وعلموا الناس.. وما تزال آثارهم باقية حتى اليوم.

حي على الجهاد

وتعدى الشيخ وشيكاً إلى مرحلة رابعة في حياته، وذلك قبل الثورة السورية (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م = ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) حين جمع الخلّص من طلابه، واتجه بهم إلى حلقات الشيخ بدر الدين الحسني، راجياً أن ينتفعوا بعلومه.

وما لبث أن وضع يده بيد محدّث الشام، وتلاقت أفكارهما على ضرورة القيام بواجب الجهاد بعدما أخذ المستعمر الفرنسي يعيث في البلاد فساداً؛ خطَّطا معاً، ورأيا أن النفوس غدت مهيّأة للوثوب، ولكنها بحاجة إلى تنظيم.

وكان الشيخ علي في هذه المرحلة يغرس في نفوس طلابه ورواد حلقاته حب الجهاد، وخشية الله وحده، والتوكل عليه دون غيره، وأن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فكان ينزع من قلوب الناس حب الدنيا وكراهية الموت، ويلهب الحماس في النفوس رغبة في التحضير للثورة.

ومن أجل ذلك رخل الشيخ بدر الدين شيخ مشايخ الشام ومعه الشيخ علي الدقر، والشيخ هاشم الخطيب ومجموعة من تلامذة الشيخ علي منهم الشيخ عبد الحميد الطباع والشيخ محمد مراد الطباع

وآخرون إلى المحافظات السورية في الرحلة التاريخية المعروفة التي أغضت عنها كتب التاريخ فلم تعطها حقها من الأهمية والتقدير.. فاتصلوا بزعماء البلدات الكبيرة والمدن وبأصحاب الكلمة لتوحيد الصفوف، والاعتصام بحبل الله، وكانوا في كل مكان ينزلون فيه يجتمع إليهم الناس في المسجد الجامع، فيتكلمون كلام الصدق والإخلاص، يعظون ويحمّسون، ويثيرون العزة الإسلامية، ويذكرون بالمجد الغابر، ويحثون على الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى؛ ويبينون معنى الجهاد بوجوبه..

وكانت خطب الشيخ علي في تلك المرحلة تؤثر في الناس، وتقع في نفوسهم موقعاً طيباً، وكان يشبِّه الفرنسيين باللص الذي دخل البيت خلسة ثم تحكم فيه وفي أفراده وغلبهم على أمره.. ثم صار يتصرف به وبهم. كما كان الشيخ وأنداده على صلة برجال الثورة مثل شكري القوتلي، وإبراهيم هنانو، وهاشم الأتاسي... فكانت هذه المرحلة في حياته وحياة الشيخ بدر الدين والشيخ هاشم الخطيب ومن يؤيدهم هو العامل الأول والمباشر لقيام الثورة السورية[١] وتعميمها في أنحاء سورية.

وقد طلب الشيوخ الثلاثة إلى الناس ألا يتحركوا إلا بعد رجوعهم إلى دمشق، لتنطلق الثورة في سورية كلها بوقت واحد. وهذا ما كان..

---

(١)مجلة الرابطة ع٧، السنة الثالثة، ص٤١، وجاء فيها قول علي الطنطاوي: والثورة كما نعرف، ويعرف كل شامي أدرك تلك الأيام كانت في الغوطة أولاً، وبدأت بخروج طلبة العلم بدافع الجهاد.. وقد صنع هؤلاء الثوار في الثورة العجائب. وانظر كتاب (الإسلام وحركات التحرر) للدكتور شوقي أبو خليل.وفيه دور الشيخ بدر الدين الأساسي في الثورة، وكذلك كتاب (علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري) في سيرة الشيخ بدر الدين في وفيات سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

وبقي التنظيم قائماً حتى نهاية الثورة عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م. وشارك فيها عدد من طلاب الشيخ بالسلاح، واستشهد عدد منهم، ونظموا المظاهرات ضد الفرنسيين الواغلين، وجمهروا الأفكار ضدهم[١].

ولسنا هنا بصدد الحديث عن مجريات الثورة ولا ما آلت إليه، وإنما نشير إلى أن الفرنسيين كانوا يحسبون لشيوخ دمشق وعلمائها حسابهم، ويخشونهم، وخصوصاً الشيخ بدر الدين والشيخ علي الدقر، وبعد وفاة محدث الشام كانت حركة الشيخ علي هي الأولى ولها وزنها، ولذلك فعندما قام الإضراب الستيني المشهور عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م جرت حوادث عنف أدت إلى أن أرسل المفوض السامي الفرنسي دومارتيل إلى الشيخ علي يستدعيه إليه، فقال الشيخ لمبعوثه: قل له: إنني لا أذهب إلى أحد. وإن أراد المجيء إلي استقبلته بشرطين؛ أنني لا أقوم له، ويجب عند دخوله أن يخلع حذاءه. وجاء المفوض ولقيه الشيخ، وكان مدار الحديث أن طلب منه المفوض السامي تهدئة الأوضاع. وكان مما قال له: إن الثوار والمضربون يقومون بالتخريب، وهم يحرقون حافلات الترام التابعة لشركة الجر والتنوير البلجيكية، وهذه تتضرر، ولا علاقة لها بفرنسة، ثم إن

(١)كان أحمد الدقر ابن الشيخ علي في مطلع شبابه لشدة حماسه يقرأ مع عدد من زعماء الأحياء في مدرسة جامع العداس بحي القنوات كتاب فتوح الشام للواقدي بأسلوب مشرق حيوي، يتحدث عن أبطال الفتوحات الإسلامية أمثال خالد بن الوليد وضرار بن الأزور والنعمان بن مقرن، فكان الكثيرون يتحمسون للخروج إلى الثورة والمشاركة فيها.. نقل هذا عن الشيخ عبد الرزاق جوانيه الحمصي مفتي سورية الأسبق، وقد تأثر هو بكلامه وشارك بالثورة. وكان ممن شارك في الثورة الشيخ عبد الرحمن بن صادق الدقر خطيب جامع الفواخير، وكان من حفظة القرآن والشيخ محمد الفحل مفتي الثورة، والشيخ توفيق سوقيه رئيس محكمة الثورة. أقول: والواقدي غير معتمد في كتب التاريخ.

البلدية هي التي تدفع التعويضات للشركة، مما يعود بالضرر على البلد نفسه.. وعمل الشيخ بالتهدئة.

فتنة التجانية

وهي أصعب ما حصل للشيخ في حياته، وكانت محنة له أقامت عليه خصوماً أشداء شهَّروا به ونالوا منه، وأتى عليه بسببها ريح هوجاء، واغتنموها فرصة للوقوف جهاراً بعد أن كانت حربهم عليه حرباً خفية.

فما حقيقة الطريقة التجانية؟[١]

(١)التجانية من أشهر الطرق الصوفية أسسها في المغرب أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي الشيخ أحمد التجاني، وكان الشرطان الأساسيان للانخراط فيها اتباع السنة والتمسك بهدي القرآن. ومن ضرورياتها قيام الليل، ورفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق، واعتبار الشيخ التجاني مجرد عبد من عبيد الحضرة. وقد أكد شيخ الطريقة تجنب كل افتراء وحياد عن الشريعة في قولته المأثورة: «إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه»، انتشرت التجانية في قارة إفريقية كلها وعرفت دكار وحدها ما يناهز مئة زاوية، وكادت هذه القارة كلها تكون إسلامية لولا قضاء فرنسة على سلطة التجانية التي كانت تقاوم الاستعمار الفرنسي في الجزائر (معلمة المغرب ٧/ ٢٢٨٤) وكان من تلاميذ التجاني محمد علي السنوسي.مؤسس الحركة السنوسية التي جاهدت الإيطاليين. ولد أحمد التجاني في عين ماضي بالجزائر عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م وهو من أصول مغربية هاجر جده الثالث إلى عين ماضي وتوطنها، وتزوج من بلدة تجان، فكان التجانيون أخوالاً له فنسب إليهم. كان منفتحاً على شعر ابن الفارض المصاحب بالآلات الموسيقية مع مناهضته للبدع. توفي في مدينة فاس عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م (المرجع السابق).

أقول: واتهام الشيخ التجاني بالعمالة لفرنسة يحتاج إلى توثيق وإلى دراسة، ومعلمة المغرب لا تطعن فيه، بل على خلاف ذلك، وربما يكون بعض مريديه على صلته المريبة، وعلى أي حال فالأمر يحتاج من الذي يطعن إلى دليل. (وانظر الأعلام للزركلي ١/ ٢٤٥).

ولماذا أخذ بها الشيخ علي طلابه؟

أقول: غلب على علماء دمشق أخذهم بالتصوف الأخلاقي، ومزجوا به حلقاتهم ودروسهم، واشتغلوا بتربية طلابهم على الأخلاق مع العلم. بل كان التصوف أهم حلقاتهم، أقرؤوا فيها كتبه كالرسالة القشيرية، والحكم العطائية وشروحها، وإحياء علوم الدين.. واشتهر مشايخ في دمشق، أخذوا بالطرق الصوفية إلى جانب العلم، ولكنهم أكدوا أن التصوف بلا علم خطر، قد يؤدي إلى منزلقات، إذ لابد من اعتماده على الكتاب والسنة، وقالوا: لابدّ مع علم الشريعة (الفقه) من علم الحقيقة (التصوف).

كان من هؤلاء علامة دمشق الشيخ محمد أمين عابدين صاحب الحاشية عمدة المذهب الحنفي، الذي أخذ الطريقة النقشبندية عن شيخه خالد النقشبندي ذي الجناحين (جناح الشريعة وجناح التصوف) ومثله الشيخ عيسى الكردي شيخ رئيس علماء دمشق الشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ محمد سعيد البرهاني شيخ الحنفية وشيخ الطريقة الشاذلية.

على أنّ جماعة من الشيوخ كان مدار حلقاتهم على التصوف أكثر من اعتمادهم على العلوم، وأخذ هؤلاء أنفسهم ومريديهم بالتصوف المغرق الذي أحدث شرخاً بينهم وبين عدد من العلماء الجادين من أمثال الشيخ طاهر الجزائري والشيخ جمال القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار وغيرهم من الذين وقفوا في وجه انحرافات الصوفية التي أضرت بالدين، بما أشاعوا من تخرصات ومزاعم فارغة اعتمدوا فيها على ادعاءات باطلة تقوم على المنامات والكشف والخرافات.

في هذا الجو أخذ الشيخ علي الدقر طلابه بالتصوف ليلطف لهم

الجو العلمي الجاف، وللقضاء على ما قد يتملك طالب العلم آنذاك من أمراض قلبية كالعُجب والغرور.

وقد اهتم الشيخ بتدريس الكتب التي تعنى بإصلاح النفس والوعظ والسلوك الروحي مثل كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، وكانت له سبحات فكرية وروحية رائعة في شرح ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأخلاق والتربية. كما عني بكتب الإمام الشعراني مثل كتابه (المتن الكبرى) و(كشف الغمة)، وتُعجبه الرسالة القشيرية وغيرها من كتب التصوف التي تجمعُ بين العلم والعمل والعفة والسلوك، وتهتم بشحذ الهمم وتفريغ القلب من الشواغل، وما تتضمنها من سير الرجال لتكون حياتهم نماذج عملية يأتسيها الطالب في حياته وسلوكه.

وكان رحمه الله يوازن بين الاتجاهين العلمي والروحي لتستقيم جادة الطالب بينهما، ويأخذ منهما ما يُصلح به نفسه، ولا يسمح لأحدهما أن يطغى على الآخر.

والحق أن الشيخ كان صوفياً من غير شطط، يؤمن بالتصوف السلوكي، ويكره التصوف الفلسفي وينكره، ويبتعد عن الجدال والتكلف في العلم والثرثرة والتفيهق والتنطع في المسائل التي لا تجدي.

إذن أخذ الشيخ علي الدقر طلابه بالتصوف على الطريقة التجانية، وكان اتصل ببعض شيوخها رجل صالح مغربي نزل دمشق حاجاً، فحدثه عنها، فأعجبه سلوكها، وأخذ عنه أورادها، وأجازه بها، وبمشيختها وبتلقين أذكارها وأورادها.. ولم يكن عند أحد في دمشق آنذاك دراسة عن حقيقة أتباع هذه الطريقة التي قيل إنهم انحرفوا في سلوكياتهم وفي صلاتهم بالفرنسيين. أنكر بعض من أهل العلم على الشيخ علي الدقر أخذه بهذه الطريقة، وقالوا: إن من أذكارها ما لا

يقره الشرع.. وأصدروا في ذلك بيانات ضده. وكفّره بعض خصومه، وتأولوا عليه أقاويل.

ولم تمض مدة يسيرة حتى قام في دمشق على إثر ذلك فتنة، امتدت على مدار سنة كاملة خلال عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م حصل فيها ما لو استمر أكثر من ذلك لحدث ما لا يحمد عقباه.

لكن ثلة من العلماء الأفاضل أصدروا بياناً، أنكروا فيه على الخائضين المعترضين على الشيخ علي، جاء فيه:

«إنه بالنظر للحوادث الأخيرة، ولما كتب في شأن الطريقة التجانية اجتمع لفيف من أهل العلم الشرعي الآتي ذكر أسمائهم في آخر هذا البيان، وبحثوا في الأقوال المدسوسة على هذه الطريقة، وعلى مؤسسها السيد أحمد التجاني، فاستقر رأيهم جميعاً، وفي رأسهم الأستاذ العلامة الخادم لدينه ووطنه الشيخ علي الدقر على استنكار تلك الأقوال التي لاكتها ألسنة الناس، ورددتها الكتب والنشرات، وعلى استنكار الحكم بالردة بدون تحقيق ولا تدبر والمطاعن الفاحشة على فئة لها كبير التمسك بالدين، وعظيم الفضل بين المسلمين، وعلى جمعية لها اليد البيضاء في خدمة طلبة العلوم الشرعية، وقد رأوا خدمة للشريعة المطهرة أن ينشروا هذا البيان على الناس، قمعاً لفتنة ظهرت بوادرها، وتبرئة لأولياء الله تعالى مما يتقوله المتقولون.

ونحب أن نختم هذا البيان بتصريح الأستاذ الشيخ علي الدقر جلاء لموقفه الحق، وقيامه المشروع، ودحضاً لما يفتريه على بعض المعترضين المنحرفين.

يقول الأستاذ حفظه الله: إني منذ حداثة سنّي أشتغل بالعلم الشرعي تعلّماً وتعليماً، لا تني لي في ذلك همة، ولا تضعف لي عزيمة، وليس لي

من غرض سوى خدمة الشريعة المطهرة، وتهيئة طلاب عاملين يذبون عن حماها، وينشرون دعوتها، وإني فوق هذا أدعو هؤلاء الطلاب وجميع إخواني إلى الاستغفار، وذكر الله تعالى، والصلاة على رسوله ﷺ، وهذا كل ما أردته من الدعوة إلى الطريقة التجانية، وإنما اتخذت هذه الأذكار جمعاً لقلوب الطلبة، وتوجيهاً لهم إلى جهة واحدة، أما وقد أوشكت الفتنة أن تثير الأحقاد، وتفرق الكلمة الجامعة فإني أعلن لمواطنيَّ وجميع إخواني أني - مع احترامي للطرق الشرعية الداعية إلى الله تعالى، واعتقادي الكبير بسيدي أحمد التجاني رضي الله عنه المؤسس الأول للطريقة التجانية المتوفى منذ نحو مئتي سنة - مستمر على مبدئي في نشر العلم الشرعي، ودعوة طلابي، وسائر إخواني إلى ذكر الله تعالى، واستغفاره، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، مجرداً ذلك على الانتساب لأية طريقة كانت تخالف طريقة الرسول ﷺ المطهرة، والله يتولى هدانا أجمعين، ويجمع على الحق كلمة المسلمين.».

في ٢٨ المحرم الحرام سنة ١٣٥٣هـ

ويحسن في هذا المقام، واستكمالاً للصورة قبل استخلاص النتائج والعبر أن نورد ما كتبه الشيخ علي الطنطاوي في ذكرياته، الحلقة ١٨٥ عن التجانية، قال:

فتنة التجانية في الشام

السبب الحقيقي هو قضية التجانية بل إن هذه القضية ثمرة لاختلاف العقليات كما يقولون في التعبير الحديث، عقلية الشيخ كامل القصاب[1]، وعقلية الشيخ علي الدقر.

---

(١)انظر ترجمته في كتابنا (علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري) في وفيات عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، سياسي من كبار علماء الشام وصاحب الخدمات العلمية الجلى لبلده، صاحب إحدى كبريات المدارس لزمنها (الكاملية).

الشيخ كامل سياسي، مارس السياسة وعرف ظواهرها وبواطنها، وخبر الحياة حلوها ومرها، وعاش في مصر وفي فلسطين وفي الحجاز، وخالط الناس. ثم إنه سلفي العقيدة واقعي التفكير، يقرأ كل كتاب، ويطلع على كل جريدة أو مجلة تصل إليه، وله مشاركة في الأدب، ويحفظ كثيراً من الشعر.

والشيخ علي الدقر صوفي مثالي، لا يكثر مخالطة الناس، ولا يكاد يعرف واقع حياتهم، يعيش في دائرة ضيقة، لا تجاوز بيته ومسجده وكتبه التي قرأها وأقرأها، لا ينظر، ولا يحبذ النظر في غيرها بين أصحابه وتلاميذه الذين يستمعون منه ما يلقيه عليهم، ولا يحدثونه في غيره، إلا أن يسألهم فيجيبوه جواب التلميذ المؤدب الذي لا يفيض في الحديث إلا فيما يُعجب الشيخ. لا يهتم بالأدب، ولا يقر تلاميذه على الاهتمام به، خشية أن يصرفهم عن الكتب العلمية التي يراها أنفع لهم، حتى إن ولده الأدبي اللغوي الشيخ عبد الغني الدقر قرأ المعلقات وشرحها، و«كامل» المبرد كله، على الأستاذ عز الدين التنوخي في سنين متعاقبة خفية عنه، ولما خبره ولده الأكبر الشيخ أحمد أن أخاه عبد الغني قد اشترى «النظرات» للمنفلوطي، غضب عليه، وعد ذلك انحرافاً منه عن الطريق السوي. كان يخشى على تلاميذه كل جديد، ويخاف عليهم المزالق، ويود لو حصرهم معه في دائرته.

وكلا الشيخين: الشيخ علي الدقر والشيخ كامل القصاب، من العلماء الدعاة إلى الله، ومن أركان التعليم والإرشاد في الشام رحمهما الله.

أما الطريقة التجانية فقد عرفنا بعد أن اطلعنا على كتبها، واستقرينا (ولا تقل استقرأنا) أخبارها، أن موقعها من الفرنسيين في

الشمال الإفريقي، مثل موقع القاديانية في الهند من البريطانيين، كانوا أعواناً للاستعمار، والعهدة على الراوي.

أما قصة التجانية في الشام فأنا أروي منها ما رأيت وما سمعت.

الطلاب اليوم يفتتحون نهارهم في كثير من البلاد بتحية العلم أو بنشيد الوطن، ولم يكن ذلك معروفاً في تلك الأيام، أو كان معروفاً، ولكنه لم يبلغ أن يكون عرفاً عاماً. لذلك كانت كل مدرسة تلقن طلابها ما تختاره لهم ليجهروا به جماعة قبل الدخول إلى الصفوف (الفصول)، أو لا تلقنهم شيئاً، وتدعهم يدخلون غرف دروسهم صامتين.

وكان لـ(الجمعية الغراء) مدارس، يفتتح طلابها يومهم بتلاوة وذكر ودعاء يحفظونه، ويجهرون به جماعة، وكان من ذلك صلاة الفاتح وهي «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم».

والذي أعرفه أنهم لم يكونوا يرون فيها إلا صيغة من صيغ الصلاة على الرسول، وكل هذه الصيغ جائز ما لم يبلغ حد الإطراء المنهي عنه، وما لم يكن فيه مخالفة لشرع الله. وإن كان أفضل هذه الصيغ بلا خلاف، هي صيغة الصلاة الإبراهيمية، لأنها هي التي علّمها رسول الله ﷺ أصحابه لما سألوه: كيف نصلي عليك؟ وغيرها من الصيغ مما علمه المشايخ تلاميذهم، ولا يعدل مسلم بالمأثور عن رسول الله، ما أثر عن غيره من الناس.

وكان أول من نبه إلى ما يحف بهذه الصيغة (أعني صلاة الفاتح) وبيَّن مصدرها وكشف خفاياها هو الشيخ محمد الخضر الشنقيطي، الذي كان من قبل مفتي المدينة المنورة، ثم نزل الأردن.

والرسائل التي كتبها الشنقيطي من الأردن، يبين فيها حقيقة هذه الطريقة، كان يطبعها ويوزعها في الشام السيد كامل البني، وكان شاباً عالي الهمة، جم النشاط، سريع الحركة، يدور بها على العلماء والمفتين، ويحمل إليهم نسخاً من كتب الطريقة التجانية، ويستفتيهم فيها، وينشر فتاواهم في رسائل متتابعة كانت توزع مجاناً في المدارس والمساجد، ومجامع الناس، وترسل في البريد.

وليست هذه الرسائل تحت يدي الآن، بل بقيت في مكتبتي في الشام، ليس أمامي وأنا أكتب هذه الحلقة إلا الرسالة الخامسة منها. وقد كانت تصدرها وتتولى الإنفاق عليها جماعة من الغُيَّر (جمع غيور) على الإسلام، سموا أنفسهم (الهيئة الإدارية لنصرة الشريعة المحمدية).

وهذه الرسالة الخامسة مؤرخة في ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ. فيها إشارات إلى الفتاوى التي اشتملت عليها الرسائل الأربع التي قبلها، ومنها فتوى مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعي، وقاضي شنقيط (أي موريتانيا)، والخطبة التي ألقاها شيخنا الشيخ بهجة البيطار، والتي لخصتْها وعلقت عليها الصحف والمجلات الإسلامية كـ(الفتح) للأستاذ محب الدين الخطيب، و(المنار) للسيد رضا و(الجامعة الإسلامية) و(التقوى)، وروت أخبارها جريدة (النهار)، ومجلة (كل شيء) التي كانت تصدرها دار الهلال. وفيها ذكر أن هذه الرسائل توقفت شهراً ونصف الشهر، أملاً في أن تعود (الجمعية الغراء) عن التجانية بعدما نشرت فتاوى المفتين في المحافظات السورية، ولكن (الجمعية الغراء) أصرت عليها، ولم ترجع عنها.

وجه الأمير خالد الجزائري، حفيد الأمير عبد القادر أقوالاً، نقلها من الكتب المعتمدة عند أصحاب هذه الطريقة، وسأل مفتي

الجمهورية السورية، وكان شيخنا الشيخ عطا الكسم، رحمه الله، عن الحكم الشرعي فيها وفيمن يعتقدها.

من هذه الأقوال المنقولة من الكتب المعتمدة عند التجانية، والمعدودة من أسس طريقتهم كـ(جواهر المعاني)، و(بغية المستفيد)، و(الإفادة الأحمدية)، وهذه الكتب الثلاثة تعتبر من المراجع الموثوق بها عند أصحاب هذه الطريقة.

ففي (الجواهر) صفحة ١٠٣ أن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل ستة آلاف مرة من كل ذكر وتسبيح وتهليل، ومن كل دعاء كبير أو صغير (كذا!) وقع في هذا الكون.

والقرآن ذكر، فإن عدلت المرة الواحدة من صلاة الفاتح ستة آلاف ختمة، كانت أفضل من خمسة آلاف وتسع مئة وتسع وتسعين! ويزعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام خبره بذلك، كما ورد في صفحة (٤٠) أنه أخذ الطريقة منه ﷺ، من غير واسطة، يقظة لا مناماً.

ألا يُذهب هذا الكلام العقل والدين؟ كيف أخذه منه وقد مات ﷺ؟ أم يدعي بأنه لا يزال حياً؟ كما يقول بعض الجهلة في خطب الجمعة، يزعمون أنه حي في قبره مثل حياته في هذه الدنيا، وحياتنا نحن فيها. أي إنه يأكل ويشرب ويتنفس!!.

أفلا يذهب هذا الكلام بالعقل والدين؟ وهل يحتاج إثبات وفاته عليه الصلاة والسلام إلى دليل؟

وكيف يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل؟

وإذا لم يمت فكيف غسلوه وصلوا عليه ودفنوه، ونصبوا أبا بكر خليفة له؟ هل يحتاج هذا إلى إثبات إلا عند المجانين؟

لقد كان بعض الصوفية يكذبون على رسول الله عليه الصلاة والسلام بحجة أنهم رووا عن الخضر (صاحب موسى) والخضر روى عنه، فجاء هذا التجاني، فجاوز المدى، وسبق هؤلاء الكذابين على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ذلك أن دعوى حياة الخضر التي يعتمدون عليها كاذبة، والمحقق أن الخضر مات، والله يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٢١/٣٤] أفلم يكن الخضر بشراً؟ ولا تقولوا عيسى، فعيسى له شأن آخر. وفي الحديث الصحيح أنه لا يبقى على رأس مئة سنة ممن كان حياً يومئذ أحد، فكيف بقي الخضر؟

والرسول عليه الصلاة والسلام بعث إلى الإنس والجن، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعه، فلماذا لم يتبعه الخضر إن كان حياً؟ ولماذا لم يشهد معه المشاهد، ولم ينصره على عدوه؟ كلا. إن الخضر قد مات كما يموت كل حي، ومن ادعى أنه رآه وسمع منه، وروى عنه، فهو كاذب.

وفي (الإفادة) صفحة (٨٠) أن صلاة الفاتح من كلام الله. فخبروني أيقول هذا مسلم، وإن كانت من كلام الله فكيف وصلت إلى التجاني هذا؟ أَوَحيٌ بعد رسول الله أم افتراء على الله؟

وفي (الإفادة) صفحة ٦٣ هذه الكلمة الوقحة الآثمة، وهي قول: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله، من يوم أُنشئ العالم إلى يوم النفخ في الصور».

وأولياء الله هم بنص القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ١٠/٦٣]، وفي أوائل صفوف الأولياء الرسل والأنبياء، فما حكم

من يقول هذه المقالة؟ ما مبلغه من الدين، ومن الأدب، ومن حسن الخلق، ومن الحياء من الله، ومن الناس؟ وأشياء أخر من أمثال هذه، جمعها الأمير خالد، ورفعها إلى المفتي الشيخ عطا الكسم، فأجاب بأن كل ما في هذه الكتب، وأي كتاب من هذا النوع، باطل، ومخالف للشرع، ولا تجوز قراءتها ولا تداولها.

وهبَّ العلماء والمفتون في محافظات سورية كلها، للرد على هذه الأقوال التي لا شك أنها مخالفة للإسلام، وأن معتقدها كافر. وجمع السيد كامل البني هذه الفتاوى، ونشرها في الرسائل التي أشرت إليها، والتي كان يطبعها له أهل الخير، ويوزعها في الناس حتى صارت هذه المسألة شاغلة للناسِ جميعاً، وموضوع أحاديثهم في مجالسهم، ولم يبق أحد لم يسمع بها، ولكن (الجمعية الغراء) بقيت على حسن رأيها في الطريقة وصاحبها.

لما كثرت الردود والمقالات نشرت (الجمعية الغراء) بياناً قالت فيه: إن هذه الأقوال مدسوسة على الشيخ التجاني، قولاً بلا دليل، ولم يقل مثله أحد من أتباع هذه الطريقة من لدن أولها إلى يوم صدور هذا البيان. وهذا يشبه ما ادعى قومٍ من أنَّ ما جاء في كتب ابن عربي مدسوس عليه، مع أن الجملة أو الفقرة المدسوسة كالرقعة في الثوب، تعرف باختلاف قماشها، ومنظرها وملمسها. ثم إن أقصى ما يمكن أن يدس في الكلام جملة أو جمل معدودة، أو صفحة، أما أن يكون الكلام كله مؤتلفاً، متشابه الأسلوب، متماسك الأفكار، متحد الوجهة، ثم يُدَّعى أنه دُسَّ فيه وأدخل عليه ما ليس منه، فدعوى يصعب إثباتها.

لما قرأت هذه الأقوال ووثقت أنها من صلب الطريقة التجانية،

تمثلت بالكلمة التي تنسب إلى أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ.

لما رأيت الأمر أمراً منكرا   أججت ناري ودعوت قمبرا

ولم يكن عندي نار أؤججها، ولا غلام مثل قمبر مولى علي، أدعوه. ما عندي إلا هذه الأداة التي لا تُسيل دماً، ولا تقتل عدواً، ولا تحرق داراً، ولكنها تستطيع أن تصنع ما هو أكبر من ذلك وأعظم خطراً، وأكبر نفعاً أو ضرراً، هذا القلم. فجردت القلم ودخلت المعركة بكلمة حامية، تشتعل حروفها ناراً، فاطلع عليها بعض إخواننا الناصحين فرأوا بأنه أنفع للناس، وأوصل إلى الغاية أن أكتبها بغير هذا القلم، فنبذتها، وأعدت كتابتها بقلم لين سهل، وبعثتها إلى السيد كامل البني، فنشرها في هذه الرسالة الخامسة، وجعل لها عنواناً من عنده هو: (الكلمة الحاسمة في الموضوع).

قلت فيها: لم تشغل مسألة من المسائل الجمهور في دمشق على اختلاف طبقاته، وأفكاره، كما شغلته مسألة التجانية هذه، ولم يُجمع الرأي العام الإسلامي على مسألة من المسائل، كما أجمع على البراءة من هذه الطريقة، وعلى تكفير من يعتقد هذه الأقوال المنسوبة إليها، وعلى لوم طائفة من خيار المسلمين في دمشق أحسنوا الظن بأصحابها، واقتبسوا بعضاً من أذكارها. والمسلم لا يكلَّف، ولا يجوز أن يكلِّف نفسه، إلا بما صح عن النبي ﷺ أنه أمر به أو فعله أو أقره. وليس في الإسلام شارع بعد رسول الله، لأن الدين قد كمل، وما بعد الكمال إلا النقص، وكل بدعة في الدين مردودة على من جاء بها.

لم أقل في هذه المسألة كلمة واحدة على رغم هذه الضجة التي قامت لها. ولا يزال دويها يملأ المجالس والمجامع والأسواق، وصداها

يتردد في القرى وفي المدن، لأني لم أتثبت من صحة نسبة هذه الأقوال إلى شيخ الطريقة المدعو أحمد التجاني. ولأن العلماء الكرام الذين وقعوا المنشور الأخير قالوا إنها مدسوسة على الشيخ، أي إنها ليست في كتبه، ولا في كتب طريقته المعتمدة، حتى تفضل الشيخ الشنقيطي فبعث إليّ كتب الطريقة التي يعتمدونها، ويستندون إليها، فإذا كل هذا الكلام موجود فيها، وإذا هو من أسس طريقتهم. ولم يرتفع صوت واحد بإنكار نسبته إلى شيخهم، وادعاء براءته منه. بل هم معترفون به، مقرون بما فيه، ولم ينكره ويرتفع بالشيخ عن أن ينسب إليه، ويدعي أنه مدسوس عليه، إلا هؤلاء العلماء الأجلاء.

فعمدت بعد أن تثبتُّ منها، ووثقت بصحة نسبتها إلى هذا التجاني، الذي لقَّبه الأستاذ الشنقيطي بالتجاني الجاني، ووفق في هذا اللقب، لأن من أكبر الجنايات في الإسلام الكذب على رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولأن أصح حديث على الإطلاق هو حديث (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). هذا فيمن كذب مرة، فما بالكم فيمن كذب عليه عشرين مرة، وطبع هذا الكذب ونشره في الناس، ولقنه تلاميذه حتى اعتقدوه وصدقوه؟

على أن العجيب ليس هذا التجاني، ولا هذه الأقوال السخيفة التي صدرت عنه، ففي الدنيا كثير من السخفاء، ومن ذوي الأغراض، ومن الأعداء في ثياب الأصدقاء، وفيها كثير من الكفار، ومن الزنادقة، ومن الذين آثروا اتباع الشيطان على اتباع سبيل الرحمن، ولكن العجيب فيمن يصدقه ويعظمه، ويحسبه من أئمة الدين ومن علماء المسلمين.

الدين الإسلامي يا إخوان هو دين العقل والمنطق، والمناظرة

والدليل، في ضوء كتاب الله وسنة رسول الله. فإذا أخطأ واحد مهما جل قدره أو علت منزلته كالشيخ علي الدقر أو الشيخ بدر الدين، أو شيخ الأزهر، وكان يعرف الصواب واحد مثلي. أو أصغر مني، أو تعرفه امرأة، فإن على من عرف الصواب أن يبينه وأن يدل عليه، وعلى من أخطأ أن يعود إلى الحق. وقد رووا أن عجوزاً ردت على عمر، فسمع منها ورجع إلى الحق. ولاشك أن عمر أفضل وأعلم بالدين من الشيخ علي الدقر وشيخ الأزهر والشيخ بدر الدين.

وهذا المبدأ الصوفي الذي يمنح الشيخ ما يشبه العصمة، ويمنع تلميذه أن يرد عليه مهما سمع منه، ومهما رأى من أعماله المخالفة للدين.. هذا المبدأ يخالف الإسلام، ويجانب ما كان عليه السلف الصالح والصحابة الكرام.

والحجة في الإسلام لا تكون إلا في واحد من أربعة: الكتاب، والسنة الثابتة الصحيحة، والإجماع، والقياس. فإن كان لدى التجانيين ومن يتبعهم حجة من هذه الحجج فليأتوا بها. فهل صح عن الرسول عليه الصلاة والسلام ما يزعمونه؟ هل نزل به قرآن أو ورد به حديث صحيح، أو هو من الابتداع، والابتداع في الدين مردود كله، وهل في الدنيا مسلم واحد يزعم أن صلاة الفاتح تعدل القرآن؟ وهل في الدنيا مسلم واحد يصدق أن وِرْد التجانية يدخل قائله ووالديه وأزواجه وذريته الجنة بلا حساب، كما جاء في بعض كتبهم؟.. إلى أن قلت في آخر المقالة:

أما بعد فإما أن تقرعوا الحجة بالحجة، وتردوا الدليل بالدليل، وإما أن تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه، وإما أن تسكتوا وتقروا بالضعف والعجز. وأنا على قلة علمي، أدعو التجانيين كلهم، من

أكبر واحد فيهم إلى أصغر من ينتسب إليهم، أدعوهم إلى مناظرة عامة، على ملأ من الناس، ليظهر هل الحق معهم أو مع جمهور المسلمين. وبعد، فالكلمة الأخيرة في هذه التجانية أنها كفر وضلال، فاختاروا لأنفسكم إما المناظرة المعلنة أو السكوت المخزي. واختاروا لأنفسكم إما أن تكونوا تجانيين، وإما أن تكونوا مسلمين؟

والشيخ علي الدقر أحد المشايخ الكبار في الشام، الذين كان لهم أكبر الأثر في نشر العلم، وكان أجل الشيخين اللذين قاما بما دعي بنهضة العلماء سنة ١٣٤٣هـ، ولم ينس الناس ما صنع في حوران والبلقاء (شرقي الأردن) حين ردهما الله به إلى الدين والعلم، بعدما أوشكت أن تغرقهما جاهلية كالجاهلية الأولى. ولم ينسوا من تخرج عنده من علماء ومدرسين وخطباء، وما فتح من مدارس، وما كانت تصنع دروسه التي كان الناس يزدحمون عليها، ويتسابقون إليها، فتخشع منها القلوب، وتفيض العيون. فهل كان الشيخ علي، على علمه وتقواه، وصلاحه، يعتقد هذه الأقوال التي لا يشك عالم ولا طالب علم ولا عامي من غمار الناس بأن اعتقادها كفر وضلال؟

إني لأفكر الآن في هذا فلا أستطيع أن أتصور أن الشيخ علي الدقر، رحمه الله، كان يعتقدها. ولما أصدر البيان الذي أشرت إليه لم يدافع عنها، وإنما ادعي (دعوى بلا دليل) إنها مدسوسة على الشيخ التجاني، فهو إذن لا يقول بها، ولا يدافع عنها، وإنما ينازع في نسبتها إلى التجاني.

والله لا يسألنا عن التجاني، ولا عن الشيخ ابن عربي، ولا عن غيره. وإنما يسألنا عما نقول وما نفعل. والذي نقوله إن هذه الأقوال كفر لا شك فيه، والله أعلم بحال من نسبت إليه.

فلماذا إذن أصر على موقفه ولم يتزحزح عنه، إنه (لغز) أعلن أنني عاجز عن حله.

وأنا إنما أدون حادثاً مر عليه الآن أربع وخمسون سنة. والدول تنشر المطوي من وثائقها، وتبدي المكنون من أسرارها، بعد ثلاثين سنة فقط، كما تفعل بريطانية الآن.

ثم إنه موقف واحد للشيخ علي، رحمه الله، أنا أوقن أنه رجع عنه. ودليل ذلك أنه لما انطفأت هذه الفتنة لم نعد نسمع منه ما يدل على انتسابه إلى التجانية، أو دفاعه عنها، بل هو لم يعد يذكرها.

إنما هي صفحات من التاريخ يراد بها ذكر الماضي، لا وصله بالحاضر. ولعلنا نعتبر بها وبأمثالها، فنعمل دائماً على جمع الشمل ونبذ الخلاف، وألا نجعل اختلافنا في الفروع مفرقاً لنا بعد اتفاقنا على الأصول.

إن الشعوب الإسلامية لا تنقاد للزعيم السياسي مثل ما تنقاد للعالم الديني، ولو أن العلماء جميعاً راقبوا الله، وأخلصوا النية له، وعملوا له وحده، لما استطاع أحد أن ينازعهم القيادة، أو أن يزاحهم على الصدارة، ولبقي الأمر في أيديهم، ولما وثقت الشعوب إلا بهم، وما سمعت إلا منهم، ولغدوا هم المرجع لهم، لا رأي لأحد مع رأيهم، ولا منزلة لأحد فوق منزلتهم.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعُظِّما
ولكن أهانوه فهان، ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

من مصر القاهرة — إلى دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق
ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك
المستقيم وعلى آله حق قدره
ومقداره العظيم

حيا الله مطلع شمس السعادة ونسقي بمنه روض الفضل والمجامد [illegible]
دائرة الكمال أشرف كوكب طالع في برج الجمال غرة الدهر الأحمدية
وزهرة الشأن التي بالكرم تأتي أعني فضيلة الأستاذ الفاضل
العلامة الدراكة الفهامة خليفة سيدنا ومولانا أحمد التجاني
رضي الله تعالى عنه [illegible] وأمدنا بمدده آمين الشيخ علي الدقر الأنجح
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يعمكم ويعم من يلوذ بكم [illegible]
النبي الشفيع أما بعد فاعلم سيدي قد وصل عندنا إلى منزلنا أخينا
في الله إسماعيل الصباغ صاحب مكتبة إحياء العلوم العربية
وأخبرنا بفضلكم وما أنتم عليه من الاعتقاد والجزم في طريقتنا التجانية
الأحمدية لصاحبها القطب المكتوم والبرزخ المختوم أمدنا الله به
وإياكم وأصلح حالنا وحالكم ببركة شيخنا مولانا أحمد التجاني [illegible]
[illegible] الخطاب لأجل التعارف والتعارف [illegible] بالقرآن [illegible]
في قوله تعالى يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ولوصية شيخنا رضي الله عنه حيث قال الطريقة على
أربعة أركان وهي الذكر والمذاكرة والصدق والمحبة جعلنا الله وإياكم
من العاملين للفرائض [illegible] أسأل الله العظيم [illegible] والهناء
والعافية وأن يديم [illegible] بعين العناية [illegible]
والدنيا [illegible]
لا زالوا محفوفين [illegible]
تحريرا في مصر القاهرة يوم 9 ذي الحجة سنة 1349 هجرية

عنوان علي بن الحسن الإدريسي — خادم الحضرة التجانية
الحسني بحارة [illegible] عطفة
الذهب نمرة المنزل ٦ [illegible] الزاوية التجانية

صورة رسالة وجهها أحد خلفاء الطريقة التجانية
إلى الشيخ علي الدقر ويلاحظ الخط المغربي

أقول: من هذه المقالة يبدو أن الشيخ الطنطاوي كان مع المنكرين، وضد ما يقوم به الشيخ علي الدقر وجماعته، ولكنه كان يتكلم من موقف المتعجب، فما عرف عن الشيخ وطلابه من استقامة وقوة عقيدة لا تجعله يقبل هذه الأذكار التي تخالف الكتاب والسنة والعقل تماماً. ولكن الشيخ الطنطاوي لا تفارقه النكتة كعادته في التهكم على الجماعة في إعفاء لحاهم ولبس نسائهم البياض، ولا عن اتهامهم بالشكليات والابتعاد عن الجوهر.

ولئن كان يُحمد للشيخ علي الطنطاوي امتناعه عن الخوض في شيخ الجماعة مع هجومه على الطريقة التجانية، وعدم الوقوع في الزلل، وحفظه للسانه.. لقد كان نقاداً، وبقي في حدود النقد.

إلا أنّ في الموضوع سؤالاً يُطرح، وهو:

- لماذا أخذ الشيخ طلابه بهذه الطريقة، ولم يكن أحدٌ أخذ بها في دمشق أو عرفها؟

والذي انتشر من الطرق وعرف، وكان له اتباعه في دمشق الطريقة النقشبندية التي جاء بها الشيخ خالد النقشبندي، والطريقة الشاذلية التي دخلت مع المغاربة، وكان إلى جانب ذلك طريقتا الرفاعية والقادرية وغيرهما.. ولم تكن التجانية معروفة، حتى أخذ بها طلاب الشيخ علي الدقر.

لقد سمعت من مشايخنا من تلاميذ الشيخ علي الدقر من يقول: إن الشيخ علي ما كان يهتم كثيراً بالتصوف، ويقول: «إن الطريقة، أي طريقة، أشبه بدابة تركبها وأي دابة يمكن أن توصلك إلى مبتغاك، والمقصود هو الوصول الروحي إلى الله على أي حال».

وقال بعض المطلعين: إن الشيخ لما رأى كثرة الطرق المنتشرة لزمنه بدمشق، ورأى تعطش طلابه للتصوف وخاف أن يتشتت الطلاب هنا وهناك اعتمد على هذه الطريقة التي ليست عند أحد، وألزمهم بها، ليقطع نظرهم عن اللحاق بحلقات أخرى استجماعاً لأمرهم.

لكن المنكرين الذين وقفوا في وجه الطريقة كما رأينا أثاروا طائفة من الناس أفاضت في الحديث عن التجانية باستنكارها، وتأججت النار في الصدور، وتكلم ناس بما لا يحسن.. كل ذلك وشيخ الشام الشيخ بدر الدين الحسني ساكت لا يتكلم ولا يعلق ولا يتصرف.. ولكن بعض طلابه كانوا لا يسكتون.

وذات يوم بلغ فيه السيل الزبى، تكلم أحد مريدي الشيخ بدر الدين الكبار بما أغاظ طلاب الشيخ علي الشباب الذي أججتهم الفتنة، ووضعتهم في حالة نفسية مغيظة بما قيل في شيخهم، فاندفعوا إلى ذلك المريد، فانهالوا عليه ضرباً، فاستاء الشيخ بدر الدين وطلب استدعاء الشرطة للتحقيق. عند ذلك هرع الشيخ علي الدقر إلى شيخ الشام عاتباً عليه. وقال له: «يا سيدي كفرني الناس وسكتم، وأساؤوا إلي فلم تهتموا، فلما تصرف بعض طلابي بما يدفعون به عن أنفسهم رداً على الاستفزازات الكثيرة إذا بكم تطلبون الضابطية!».

تأثر الشيخ بدر الدين، ولام طلابه، ونهى الناس عن الخوض بما لا يحسن في جنب الشيخ علي.. وانتهت الفتنة.

على أن وفداً من كبار أهالي حي الميدان ووجهائه زاروا الشيخ بدر الدين وسألوه عن الشيخ علي وموقفه من الفتنة فزكّاه عندهم، فكتبوا بذلك لوحة تاريخية بقيت وثيقة محفوظة.

قال بعض المعلقين الذين جمعوا آراء المحللين: «القضية ليست قضية

التجانية، بل قضية التاجية»[١] بمعنى أن الذين أثاروا الفتنة لم يفعلوا ذلك بسبب الطريقة التجانية[٢]، بل للخلاف ما بين طلاب الشيخ علي الدقر الذين أخذوا يشكلون قوة في البلد لا يستهان بها، وبين مؤيدي الشيخ تاج الدين الحسني[٣] الذين كانوا يخالفون الشيخ علي في وجهات نظره. فالمسألة إذن ذات أبعاد بعضها مغلّف بغلاف سياسي خفي، أو على الأقل هي تأييد لجماعة على حساب جماعة، أو تنازع على الزعامات[٤].

فالشيخ علي بعد موقفه من الثورة السورية وتشجيعه عليها استمال إليه زعماء الكتلة الوطنية ومنهم شكري القوتلي وإبراهيم هنانو وهاشم الأتاسي، وكانوا يحرصون على تأييده، وكانوا يزورونه، يبتغون رضاه. وهؤلاء الزعماء ومن لف لفهم يختلفون في سياستهم مع توجهات الشيخ تاج اختلافاً بيناً بما فيه من المهاترات والاتهامات والهجوم العلني الذي تشارك فيه الجرائد والمظاهرات والإشاعات والأقاويل.. ومن هنا التف مؤيدو الشيخ تاج وأكثرهم أصحاب منافع، وكثير منهم تستميلهم العواطف لكون الشيخ تاج ابناً للشيخ بدر الدين الذي يحبونه حباً لا يوصف، وانتقلت محبته إلى تأييدهم لابنه في سياسته، وتسويغ أخطائه، بل جعلِ مساوئه محاسن.

---

(١)ينسب هذا القول إلى هاني الجلاد رحمه الله، أحد أعيان الشام. ومن رجال الكتلة الوطنية في خطبة له في مدرسة تنكز.

(٢)والغريب أن الشيخ علي الطنطاوي لم يكتب فيما أعلم يتنقص من بعض أصحاب الطرق الأخرى أو يذكر خزعبلاتهم.

(٣)انظر ترجمته في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري، وفيات ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.

(٤)لم يكن يخلو الشيخ علي من حسد الحاسدين، فكانوا يبحثون عن عيوب دعوته، حتى قال بعضهم: إنه لن يفلح مع هؤلاء الطلاب الذين جاء بهم من القرى.

واستفاد خصوم الشيخ علي الدقر من تأييد عدد من العلماء الذين نقموا منه انفصاله عن جمعية العلماء التي كان يتزعمها الشيخ كامل القصاب بميوله السلفية، المختلفة عن توجهات الشيخ علي الدقر. وأكثر مؤيدي الجمعية المذكورة توالي الشيخ تاج.

على أن الشيخ بدر الدين أخيراً، وفي كل مواقفه كان يخيب خصوم الشيخ علي الدقر في تأييده له ودعمه الدعم الإيجابي المثمر.

فلما استولى طلاب الغرّاء على مدرسة الأمير تنكز في شارع النصر كان الشيخ بدر الدين وراء التخطيط للحصول عليها وإخراج الفرنسيين منها وقد جعلوها ثكنة لهم، وأرغمهم بسطوته الشعبية على الرضوخ للأمر الواقع. وهو الذي سهل لهؤلاء الطلاب أخذ المدرسة السميساطية عندما فرغ من ترميمها الشيخ عبد القادر الخطيب وكان أعدها مدرسة لتخريج القضاة، وسارع الشيخ بدر الدين فسمح أن تكون المدرسة لإيواء طلاب الجمعية الغرّاء، وأدخلهم إليها بمعرفته. فلما اعترض الشيخ عبد القادر، وطلب من الشيخ بدر الدين أن يأمر بإخراجهم مبيناً له الغرض الجليل من المدرسة لم يقبل بحجته.. وتمكن الطلاب من المدرسة المهمة في موقعها، الواسعة في بنائها كما سيأتي ذكره.

على أن الشيخ عبد القادر الخطيب كان كما يقول المطلعون اليد اليمنى للشيخ تاج في ضرب مشاريع الشيخ علي الدقر، وكان مستشاره، وهو الذي أثار مسألة التجانية أو من مثيريها، وكان هو الذي أخرج طلاب الجمعية الغراء من التكية السليمانية وكانت مأوى لهم وسكناً.

الوفاة

في أواخر الثلاثينيات بدأ الضعف والمرض يستولي على الشيخ، فأصيب بالتهاب المفاصل، ومع ذلك لم ينقطع عن دروسه، ولم يمتنع عن الخروج إلى حلقات المسجد إلا لشدة المرض. فنصح له الأطباء أن يسكن في سفح الجبل بقاسيون طلباً للهواء الجاف الصحي، فانتقل إلى حيث أشاروا، وصار يقرئ في بيته.

واشتد به المرض، وضعفت ركبتاه ضعفاً شديداً حتى لزم الفراش أكثر من سنتين، ومع هذا بقي مثابراً على التعليم، وعلى حضور صلاة الجمعة في جامع المرابط، يكابد في الوصول إليه، ينزل من بيته في الجادة الخامسة[١].

ثم اشتدت به الحال، فوافاه أجله يوم الثلاثاء **٢٥** صفر من عام **١٣٦٢**هـ/ **١٩٤٣**م. وحملت جنازته من داره على الأكتاف، ومشى بها المشيعون تحت الأمطار حتى الجامع الأموي، ثم شيعت بعد الصلاة عليها إلى مقبرة الباب الصغير حيث أقيم حفل تأبيني.

وأقيم بعدئذ في جامع تنكز حفل تأبيني حضره كبار الشخصيات، ذكرت فيه مآثر الشيخ.. وممن تكلم آنذاك رئيس الجمهورية شكري القوتلي، الذي لازم مجلس العزاء ثلاثة أيام، وقال في خطابه:

«العالم العامل، الذي نجتمع اليوم في هذا المكان المقدس لتخليد ذكراه، أخلص لدينه فعبد الله عبادة خشوع وقنوت، وأخلص لعلمه فنشره بين الناس بكل قوة، وعممه وراء الأقطار والأمصار بكل

---

(١)كان الشيخ عبد السلام الخطيب يأتيه بالفرس، فيحمله عليه إلى مسجد المرابط، ويقوم بخدمته وتأمين حاجاته.

جرأة، وسعى لعقيدته دون رهبة أو خشية، وسار في طريق الحق مجتازاً كل عقبة، وصابراً على كل صدمة.

ولئن تهيأ لفقيدنا الكبير، أن يقف حياته الطيبة على مصالح أمته ودينه، فما كان من الحياة القومية وأهدافها وغاياتها، إلا رجلاً في صميمها وفي أعلى ذروة منها، ولعمري أن قلباً كبيراً، كقلب فقيدنا العظيم، لا يمكن إلا أن تلتقي فيه عناصر الخير كلها، فيجمع إلى تقواه وعلمه، قومية خالصة بكل مقوماتها، ووطنية صحيحة بجميع أطرافها.

أيها السادة! لئن أردنا لهذه الأمة الخير والسعادة، فدعونا الناس إلى حياة العزة والكرامة، بقلوب مشبعة بحب الحرية والسعادة، وبروح مترعة بالانسجام والوحدة، وبعقل لا يقبل إلا أرفع الغايات وأسمى الأماني، فما كان فقيدنا العظيم قصياً عن هذه الأماني والغايات، وما بشر في مجالسه العامة والخاصة، إلا بما بشرنا ونبشر به: من التعاضد والتضامن واستلال السخائم من الصدور، والالتفاف حول قضية الوطن الكبرى، لا تجمعنا في ذلك إلا المصلحة العامة، ولا نستهدي إلا بهديها ولا نرى الدينا إلا بنوره. فلقد قلنا وما زلنا نقول بإطراح الأنانيات ونبذ الأحقاد والابتعاد عن العصبية العمياء، فالوطن أعلى من الأحزاب، والأمة أرفع من الهيئات، وليس بعد اليوم عصبية أو حزبية، إلى غير الطريق القاصد والمطلب الخالد، وما كان عليهم إلا أن يتعرفوا إلى المخلصين، بأرواحهم وعقولهم، وما كان على هؤلاء المخلصين إلا أن يمحضوهم الخدمة، وأن ينذروا أنفسهم على مذبح قضيتهم، صادقين في أقوالهم مخلصين في أعمالهم، لوجه الله ولوجه هذا الوطن.

أيها السادة! إذا أراد الله بأمة خيراً، هيأ لها أسبابه، وفتح بين يديها أبوابه ويسر لها طلابه، فاعملوا كما عمل أسلافكم متحدين متضامنين، وارفعوا لواء الآباء، وشقوا إلى المجد طريقكم، ولا تقعدوا دون عزكم وسؤددكم.

وإنني لأتخذ هذه الفرصة وسيلة لدعوة الأمة جمعاء لأن تسير صفاً واحداً، لمجابهة الأحداث والتطورات المقبلة، سعياً لتحقيق هدف أعلى ومثل أسمى، وهو المجد الذي ينتظرها، والسعادة التي تتوخاها.

وثقوا أن يوماً تجمعون فيه أمركم على الحق، ولا ترضون فيه بما دون الحق، هو اليوم الذي تسفر فيه لكم الدنيا عن وجهها الضاحك، لتأمين الاستقرار في ظل السيادة والاستقلال.

ولا تدعوا يوماً يمر وأنتم فيه على الإصلاح متمكنون إلا فعلتم، ولا تتركوا فرصة تمر وأنتم على التضحية فيها مقبلون إلا أقدمتم، ولا تذروا مناسبة أنتم على جمع كلمتكم وتوحيد صفكم ولمِّ شملكم قادرون إلا أتقيتم ربكم فصنعتم، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم»[١].

شكري القوتلي

---

(١) الملفت للنظر في الخطبة أن الرئيس القوتلي لم يذكر اسم الشيخ علي الدقر صراحة ولا مرة واحدة.

وللشيخ أحمد الصابوني قصيدة طويلة في مدح شيخه الشيخ علي الدقر في ٢٥٠ بيتاً مطلعها :

لسان العوالي عن عظيم صفاتكم غدا معلنا للناس أجمل سيرةِ

ومنها :

يقول افتخاراً حينما فاق فضلكم أكابر أهل العصر في كل ميزة
إذا لم يكن في الشام إلا عليُّها كفاها به فخراً على كل بلدة
عليٌّ رفيعٌ سيدٌ متواضعٌ وليٌّ كبيرٌ عارفٌ ذو مهابة
كريمٌ ودودٌ، عزَّ في الناس مثله نصوح عطوف ذو حنان ورأفة
رحيم أتى الناس يبغي اهتداءهم كأم حنون في أشد محبة
نطوق حكيم مرشد ومعلم فصيح بليغ ذو بيان وحكمة
صبور شكور زاهد متورع إلى الله يدعو في ضحى وعشية
محب صدوق للنبي محمد له المدد الأسمى بصدق المحبة
وريث له يدعو الأنام إلى الهدى بصدق وإخلاص بعزم وهمة
فأورثه سر الحقائق والتقى وضم إليه سر فهم الشريعة
تقي فقيه ملهم لرشاده به جدد السمحاءَ ربُ البرية[1]

---

(١) يبدو تكلف النظم في هذا الشعر، ولكنه يدل على محبة قائله.

الفصل الثالث

صفات الشيخ علي الدقر وبرنامجه وآثاره

الصفات

كان الشيخ علي الدقر بشهادة معاصريه آخذاً نفسه بالأخلاق متمسكاً بآداب الدين، يثور لانتهاك حرمات الله، لا يخشى في الله لومة لائم، جريء يقول الحق.

كان صاحب رسالة، يرى نفسه مسؤولاً أينما كان، يحمل مهمة الإرشاد والتوجيه لأهله وجيرانه وخاصة طلابه وعامتهم، بل للعامة حين يكون معهم في السوق أو البيت أو النزهات أو الطريق، لا يفرق في هذا بين صغير أو كبير، أمير أو مأمور.

وكان يرى أن كل علم لا يورث خشية الله لا يزيد حامله من الله إلا بعداً. ولهذا حرص على إقامة توازن بين الخشية والعلم، أو بين العلم والعمل به.

كان كلامه وحديثه ينبعان من تقواه وإخلاصه، فيؤثر في السامعين الذين لا يكادون يترددون إليه مرات قليلة حتى يتغير سلوكهم.

كان يخشع فيخشع السامعون، ويبكي فيبكون.. وربما قال كلاماً تسمعه كلّ يوم من الناس، فتحسّ إذا سمعته منه كأنك لم تسمعه من

قبل. وكم من رجل أناب إلى الله[(١)]. وقد آلمه انصراف الناس عن العلم الشرعي لقلة جدواه المادية، فكان يبث في قلوب طلابه اليقين بالله، ليعرفوا أن الرزق محتوم، وأن أعظم عمل يقرب إلى الله خدمة الدين ونشره بصدق.

وكان يتكلم بأدواء المجتمع وبما يحدث في الأسواق وفي الأسرة من فساد واضطرابات يتلمسها السامعون حتى يحسّ بعضهم كأنما الشيخ يتوجه إليه بالحديث أو يكاشفه بما في قلبه، أو يوبخه على عمل يقوم به لا يرضى عنه الله.

كان غنياً من جهتين؛ بقلبه الذي امتلأ بالإيمان والإخلاص، وبماله الذي ورثه عن أبيه، فلم يمد يده لأحد، ولم تستهوه الدنيا، ولم يفتنه المال. وبقي في أيام إقبال الطلاب عليه على الحال التي كان عليها في أيامه الأولى[(٢)] فلم يتصل بأحد من الحكام، وقبض يده عن أموال الدولة فلم يتقاضى راتباً ولا حصل منها على منفعة. ولهذا كان جريئاً في الحق لا يخشى في الله لومة لائم، بل يشتد في موعظته على أهل الباطل من كانوا.

كتب عنه الدكتور الشيخ مصطفى الخن: «إن الدعوة إلى الله تفتقر إلى إعداد روحي وخلوة مع الله تعالى حتى يكون الكلام منبعثاً من

---

(١)كان الحشد في جامع السادات يضيق عنهم المسجد، يكتظون حتى في الشتاء البارد، وتتردد الأنفاس في ذلك الجو، فيتقاطر بخار الماء من الجدران والأعمدة، فيقول أحدهم: لقد أبكى الشيخ الحجر.. أفلا يبكي البشر؟

(٢)مجلة الرابطة، ع٧، السنة ٣، ص٤٢ مقالة علي الطنطاوي، أقول وكذلك كان البارزون الخلص من طلابه الذين عرفتهم، عاشوا قانعين، لم يطلبوا الدنيا، ولم يتزلفوا لأحد، مع أن بعضهم كان على فقر وحاجة، فصبروا حتى لقوا ربهم راضين مرضين.

الروح والقلب. وإنني أذكر بهذه المناسبة موقفاً للشيخ علي الدقر تغمده الله برحمته، كتب الله على يده نشر العلم في سورية وما حولها من البلدان؛ الأردن ولبنان وتركية وفلسطين، وغيرها من البلاد».

وقال الدكتور الخن أيضاً: «كان هذا الشيخ الوقور يلقي درساً بعد صلاة الفجر في مسجد غير متسع (جامع السادات في باب الجابية) وكان المسجد يغصّ بالمصلين الحاضرين لاستماع درسه، حتى إن كثيراً من الناس كانوا يبسطون الحُصُر في الشارع ليستمعوا إلى مواعظه وإرشاداته. وكنت وأنا صغير السنّ آتي قبل الفجر لأستمع إلى هذا الدرس، وكان كلامه يفعل في النفوس - كما يقولون - فعل السحر، مع بساطة التعبير، حتى إن بعضهم ممن لم يتسع له المسجد لامتلائه، ولم يكن هناك مكان يخوّله أن يسمع من الشيخ ما يقول، كان يكتفي بالنظر إلى الشيخ من بعيد، ودموعه تنهمر رقة وتأثراً.. وكان كلامه يخرج إلى حيز التطبيق فوْر انتهائه من هذا الدرس.. وإنني مع كثرة من التقيت بهم لم أر هذا التأثير إلا في القليل النادر. قال له واحد من تلاميذه يوماً: إننا نلقي على الناس دروساً متنوعة، ولا نرى في الناس هذا التأثير الذي نلمسه في درسك، ولا نرى إقبالاً من الناس مثل هذا الإقبال غير الطبيعي، مع أننا نتحدث بالتفسير والحديث والفقه والوعظ، وغير ذلك.. فأجاب الشيخ بقوله: يا بني، لولا الحاجة لم أتكلّم، إن هذا الدرس الذي تسمعه مدعوم بقراءة عشرة أجزاء من القرآن قبل الفجر، بقصد أن ينفع الله المسلمين بما أتحدث به»[1].

ولعل سرَّ نجاح الشيخ علي الدقر صلاحُه وعبادته وورعه، ويقينه

(١)من مقدمة الدكتور الخن لكتاب (أبو الحسن علي الحسني الندوي).

بالحق الذي كان يدعو إليه، يقيم الحق الذي يراه على نفسه وأهله، قبل أن يقيمه على الغريب. ومن تبعه سار على هذا النهج.

وكان منهجه أنه إذا أهلّ شهر رمضان وقف دروس العلم، وانصرف إلى العبادة وتلاوة القرآن، واعتكف في المسجد، ينسى الدنيا وراء بابه، قلبه مع الله، ولسانه رطب بذكر الله، يعيش في جنان الخلد، ولكنها في الدنيا، فيكون له من رمضان مدد روحي وذخر يذخره زاداً للسنة كلها.

وإلى جانب ذلك يسرِّح طلابه إلى القرى والنواحي والبلدات المختلفة حول دمشق يعظون الناس طيلة الشهر المبارك، ويعلمونهم أمور دينهم، ويعظونهم، ويبلغون الدعوة. حتى إذا كان العيد صلوه معهم، ثم انفتلوا راجعين إلى شيخهم بدمشق(١).

تحلى الشيخ بمجمل الأخلاق الإسلامية، ومنها التواضع، فكان

(١)من طرائف ما حدث لبعض طلاب الشيخ أن واحداً منهم أرسله إلى قرية جباتا الخشب في القنيطرة، فلما وصلها وأراد دخول الجامع وجده مقفلاً مهملاً، ليس فيه أحد، ففتحه، ونظفه، ولما حان وقت الصلاة أذّن لها، فجاءه رجل أو اثنان من الكبار، فلما كان العشي دعاه بعضهم إلى المبيت عنده والعشاء فاعتذر، ونام في المسجد، ولم يأكل من زاد أحد، ثم استمر على ذلك أياماً، فبدأ الناس يغدون إليه وهو يعظهم ويفقههم في دينهم وينبههم فسمعوا كلاماً ما سمعوا مثله من قبل حتى امتلأ بهم المسجد، وهم يدعونه إلى بيوتهم ويقدمون إليه أطعمة وهو يأبى كل ذلك، وازدادوا عليه إقبالاً، وله قبولاً، واستفادوا، ووجههم إلى أهمية التعلم والأخذ بالخلق والإسلام، فلما كان العيد صلى صلاته بهم، ثم ودعهم ليعود إلى دمشق، فاستدعاه إليه زعيم المنطقة الثائر أحمد مريود وشكره وشجعه، ثم قدّم له ثلاث ليرات ذهبية. فأعادها الشاب إليه، وقال له: جئت هنا لله، ولا آخذ أجراً على ذلك، فدسها الزعيم في جيبه، فأخرجها الشيخ الشاب، وأعادها قائلاً له: يا سيدي إذا كنت تريد أن تعطيني شيئاً فأنا أفضِّل أن تتبرع به للقائمين على رعاية العلم في دمشق.

إذا خرج الطلاب وراءه يشيعونه أمرهم أن يتأخروا عنه أو يسبقوه، ليسير وحده، خوفاً على نفسه من العجب والكبر، أو الظهور بمظهر الأهمية.

علم أن أحد طلاب الجمعية الغراء أهان أحد مستخدميها، فنصح له أن لا يعود لمثلها. وأرشده إلى أن كسر خواطر الناس أمر غير حميد. وقال له: «وما أدراك أننا كلنا في الجمعية قد سخَّرنا الله لخدمة هذا الرجل الذي لا تأبه له؟!».

ومن هنا فقد أوتي الشيخ لطفاً في الشمائل، ورقة في المعاملة، قلما يؤتاها إلا العلماء العاملون.. وبذلك ارتقى في المنزلة.

ولم تكن العلوم الشرعية وغيرها غاية عنده في ذاتها فحسب، بل كان يريد معها إرشاد الخلق إلى الحق وإلى معرفة الله تعالى، ليقينه أن الجاهلين لا يعرفون الله.

ولذا فقد كانت تربيته لطلابه تربية عملية ونظرية في آن معاً، وتربيةُ الحال أعلى مرتبة من تربية المقال، وهذه سنّة نبوية سار عليها رسول الله ﷺ، رباهم على العمل، والعفة والنزاهة والترفع عن الدنيا، والابتعاد عن الشهوات، والإخلاص، وعلى نظافة اللسان وطهارة الجوارح.. وكان من فكره ألا يطغى العلم على العمل لئلا تحدث جفوة في الروح، ولا العمل على العلم لئلا يتعبد أحد وهو جاهل. فهذه هي مجمل صفات مدرسته التي عرف بها طلابه من بعده، وساروا فيها على منهجه.

برنامجه

كان يوم الشيخ مملوءاً كله، نهاره وجزء مهم من ليله، فهو في حركة دائبة لا تنقطع، يخرج من بيته ليؤم الناس في صلاة الفجر بجامع السادات بسوق مدحت باشا، ثم يجلس يذكر الله تعالى، ويقرأ أوراده، ويدعو، ويبتهل إلى الله حتى تطلع الشمس.

في تلك الأثناء تكون حلقات العلم حوله في المسجد قائمة في أرجائه كلها، حتى ترتفع إلى السدة، وتدخل الغرف.. لكل حلقة معلمها من طلابه السابقين، يعلمون من دونهم علوم الفقه والعقيدة والعربية وغيرها.. حتى إذا انتهت مجالسهم في الوقت المقرر لها، وأنهى هو أوراده، خرج مع طلابه كلهم إلى جامع سنان باشا (السنانية) فاستمعوا إلى درسه العام في الوعظ، وكان يضم كذلك بعض علماء البلد، حتى من أقرانه وشريحة من التجار، وأخرى من المزارعين والعمال والعامة. وكان هذا الدرس العام يشتمل على فوائد علمية بسيطة، تجعل الرجل العامي على ملكة من المبادئ في معرفة الحلال والحرام من أمور العقائد والعبادات والمعاملات.

وكان المسجد يزدحم على سعته في هذا الدرس العام، يتسابق الناس إليه قبل صلاة الفجر، حتى يضيق بهم المكان، وربما جلس بعضهم في الشارع، وكانت النسوة يحضرن في سدّة المسجد. ويستمر الدرس عندئذ ساعة ونصف الساعة.. وهكذا في كل يوم، غير يومي الجمعة والثلاثاء، فيكون الدرس في جامع السادات نفسه.

وكان منهجه في درسه العام أقرب إلى الموعظة منه إلى الحلقة العلمية، يتبسط فيه بما يناسب الحال والزمن والأحداث اليومية

الواقعة حوله، في أسلوب سهل مؤثر دقيق، يستحوذ على القلوب، يشدّ العامة ولا يسئم الخاصة.

ودرس كهذا يجتمع فيه أخلاط كثيرة من الناس بمستويات عقلية مختلفة لا يحسن أن يكون على غير هذه الشاكلة، فليس فيه غوصٌ على المسائل العلمية الدقيقة، ولا القضايا الفقهية الصعبة، أو العقائدية المشكلة، وإنما كان الهدف منه بث الإصلاح العام والتنبيه على الأمراض الشائعة، ومحاولة معالجتها.

فإذا انفض المجلس العام انفرد الشيخ بدرس الفقه الشافعي وأصوله[1] لخاصة طلابه، يمضي فيه حتى الصحوة الكبرى. وعندئذ يعود إلى بيته للإفطار ومعه جماعة وقلما يعود وحده، فيبقى فيه إلى وقت صلاة الظهر، فيصليها في المسجد إماماً، ويقرأ بعد الصلاة درساً خاصاً في النحو. ويعقد بعد العصر حلقة لدرس البلاغة، ثم بعد المغرب درساً في التفسير، وبعد العشاء حلقة في علوم الحديث الشريف أو الفرائض.

آثاره

كان جل اهتمام الشيخ علي ينصب على تلاميذه وعلى مدارس الجمعية وحلقات العلم، فلم يؤلف كتاباً من الكتب، أو يعنى بمجلة أو مقالة، وهذه سمة كثير من علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. كانوا زاهدين بالتأليف، ويكتفون بما صدر من كتب قبلهم يعتمدونها، يرون أنها أوفت على الغاية المطلوبة، فيقررونها للطلاب متوناً وشروحاً وحواشي وتعليقات.

---

(١) مما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ علي الدقر كان الناشر الأكبر لمذهب الإمام الشافعي في دمشق؛ لأن العلماء كانوا غالباً على مذهب الإمام أبي حنيفة مذهب الدولة.. فأخذ طلابه عنه مذهبه، وعلموا الفقه من خلاله.

وقد انشغل الشيخ - رحمه الله - في الدعوة والتعليم اللذين استهلكا وقته كله وجسمه وفكره، بالإضافة إلى أنه كان مرجع كثير من الناس في أمور دينهم ومشاكل دنياهم؛ فقد عُرف من عادة الدمشقيين أنهم كانوا إذا اختلفوا بأي مسألة من مسائل حياتهم اليومية وأعمالهم التجارية ومشاكلهم الأسرية وعلاقاتهم الاجتماعية رفعوها إلى كبار شيوخهم الموثوقين ليحكموا فيها، وينزلون عند حكمهم.

وكان الشيخ إلى جانب ذلك مقصد الفتوى يجيئه من يستفهم في قضية أشكلت عليه، ويجيب عن فتاوى تأتيه من بعيد، فيرد عليها.

كما كان محطّ أنظار الكبار كما رأينا فضلاً عن الشباب، يرون فيه مرجعاً يؤولون إليه في مشكلاتهم، والمثال على ذلك أن عدداً من طلاب مدرسة التجهيز استاؤوا من وجود بعض المدرسين الذين أخذوا يبثون أفكاراً يرون أن فيها رائحة الإلحاد يبذرونها فيهم، فكتبوا في عام ١٩٤١ ورقة إلى الشيخ علي الدقر يناشدونه الوقوف في وجه ذلك التيار ومنع المدرسين من التبشير بأفكارهم.

إذن فآثاره الحقيقية هي طلابه، والنهضة العلمية التي ما يزال صداها قائماً حتى اليوم، وسنتحدث عن هؤلاء وعنها في الأوراق الآتية.

طلاب الشيخ

أشرنا إلى أن أوائل طلاب الشيخ جماعة التجار من حول جامع السادات، وهؤلاء نقلوا إليه أخبار المجتمع ومشكلاته، فأثاروه، فغيّر طبيعة درسه وأسلوبه مما أدى إلى تلك النهضة. وكان من أهم ما أخبروه شيئان؛ بدء ظهور النساء متكشفات بدمشق، وبدء انتشار حملات

التبشير في حوران وغيرها، ومن هنا بادر باستقدام جماعة من الشباب القرويين الذين يبدو عليهم آثار النباهة، فنظم لهم دورات خاصة سريعة للتوعية وهؤلاء أخذوا مع ذلك قسطاً من العلم، ثم عادوا إلى قراهم وبلداتهم فوقفوا في وجه التنصير الذي كانت فرنسة من ورائه.

صورة خط الشيخ علي الدقر

وكان من سمة طلاب الشيخ الإقبال على شيخهم إقبالاً منقطع النظير، تركوا قراهم وأهليهم، وعاشوا في دمشق عيش الكفاف بل دون الكفاف، متفرقين في غرف المساجد.

آمنوا بالشيخ إيماناً مخلصاً وأحبوه حباً صادقاً[١] ورأوا أنهم يعيشون معه في سعادة. وحملوا الرسالة التي حمّلهم إياها بإخلاص، وتفانوا في خدمتها، ولم يتبرموا بها.

لم يناقشوه إذا بعثهم إلى القرى في شهر رمضان لتعليم الناس، وإنما يرحلون إلى الوجهة التي يوجههم إليها بحماس، يقومون بالمهمة خير قيام.

ولم يكن الواحد منهم لينقطع عن الحلقة أو عن دروس الشيخ العامة، يؤدي للعلم حقه، وللرسالة واجبها.

وكثير من هؤلاء بل جلهم يأتون صغاراً، بعضهم في العقد الأول من عمره أو في بداية العقد الثاني، يأتي به أبوه أو أمه أو قريبه، والشيخ لا يردّ أحداً ولا يزهد بأحد ولا يحتقر أحداً، ولا يضيق بأحد.

ولا تمضي مدة يسيرة إلا ويدرج الطالب بسلوك يرضي مشايخه الذين سبقوه في الأخذ عن الشيخ علي، ويلتزم الالتزام اللائق، وإذا ما خرج أحد عن هذه الطريقة فإنما هو الاستثناء الضيق لا القاعدة العريضة.

واهتم الشيخ بحلية طلابه؛ أرادهم أن يكونوا متميزين في المظهر، مثلما عني بهم في المخبر.. ليكونوا شامة بين الناس، في هيآتهم.. فكان

(١)كان طلابه رحمهم الله إذا تحدثوا عن الشيخ لم يذكروه إلا بقولهم سيدنا الشيخ علي رحمه الله.. وكان مضى على وفاته سنوات، ويذكرونه بالإجلال والقداسة.

الكبار منهم والشبان على زي واحد، كلهم في جبّة وعمامة بيضاء. بينما كان الشيخ يتخذ العمامة الأغباني الذي يلبسها عادة عامة الناس من التجار.

ولذلك كان هؤلاء الطلاب يلفتون أنظار الناس، وأنظار المسؤولين، وربما تضايق منهم الفرنسيون، لأن الزمن زمن احتلال.. خصوصاً وأن مئات منهم قد اجتمعوا في وقت واحد[١]، فإذا خرجوا من الدرس أو المعهد خطفوا أعين المارّة.. وبلّغوا من حولهم بمظهرهم رسالة تقول أشياء كثيرة.

وكان لهؤلاء الطلاب الشيوخ رأيهم فيما يحصل بالبلد، يثورون ويعترضون عند حدوث مخالفات شرعية، أو عند صدور قرارات من الدولة تخالف الدين.. ويخرجون بالمظاهرات التي يحشدون لها العامة فيخرج الناس وراءهم.

كان الشيخ علي يبث في طلابه الأخلاق النبوية والتواضع ومجانبة الكبر ومحبة الصالحين، ويكره لطالب العلم أن يضيع وقته في غير فائدة علمية أو سلوكية، وما كان يرغب لطلابه أن يشتغلوا في قراءة الصحف والمجلات ولا كتب الأدب إذ كان يرى أنها تصرفهم عن برنامجهم وغايتهم[٢] ولا يحب لهم اللعب واللهو ولا يتردد في التنفير من كل ضار كتعاطي الدخان.. وهو أول من أعلن فتوى في تحريمه.

---

(١)حدثني الشيخ محمد مهجة أن ٤٠٠ عمامة بيضاء كانت مجتمعة تخرج من معهد العلوم الشرعية للجمعية الغراء.

(٢)في ترك طالب العلم الصحف اليومية والمجلات نظر؛ لأنّ معرفة المتعلم والعالم بما يجري حوله ضرورة، حتى قال بعض أهل العلم: «من لم يكن عالماً بزمانه فليس بعالم» كما أن على طالب العلم اليوم واجباً كبيراً في الاطلاع على لغات الآخرين وإتقانها لنشر الدعوة.

مشاهير طلاب الشيخ علي الدقر ومريديه ومحبيه وعارفي فضله[(١)]:

- إبراهيم الخيرات (مفتي ازرع)
- إبراهيم اليعقوبي -١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م
- أحمد الدقر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م (عضو الجمعية ثم رئيسها)
- أحمد الصابوني (حلب) -١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م
- أحمد القهوجي (طفس) -١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م
- أحمد المحاميد (نصيب) -١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م
- أحمد المقداد (بصرى الشام) -١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م
- أحمد ناصيف -١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
- إسماعيل الخطيب (الطيبة)
- باهية الطباع (مديرة مدرسة روضة الحياء للإناث)
- محمد بدر الدين عابدين -١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م
- بركات الضماد (مفتي درعا) -١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م
- بشير الجلاد -١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م
- بشير رمضان (عضو مجلس إدارة الجمعية)
- بشير القهوجي (جوبر) -١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

---

(١)معظم طلابه المذكورين وردت تراجمهم في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين بالوفيات المذكورة بجانب أسمائهم، مع الإشارة إلى بلد كل منهم ما عدا الدمشقيين.. مرتبين على حروف المعجم.

- توفيق الدباس (زمكا)
- جميل الخوام -١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
- حبيب الحلاق (داريا)-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
- حسن حبنكة -١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م
- حسن سالم (يبرود) - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م
- حسني البغال -١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م
- حسين البغجاتي -١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م
- حمدي العلبي (طبيب الجمعية)
- حمدي العمري (الشيخ مسكين)
- خالد الجباوي (إنخل) -١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م
- خير الحمصي
- خير الفرا
- خيرو ياسين -١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م
- رجب عبد المتعال الرباط -١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م
- رشاد الخطيب (دير قانون)
- رشيد الفرا
- زكي الشربجي (شهيد) -١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م
- زكي قطنا (عضو مجلس إدارة الجمعية)
- سامية ترجمان (مديرة مدرسة روضة الحياء للإناث عند تأسيسها)

- سعيد السيد أبو لحاف -١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م
- سعيد صادق (من أعضاء الهيئة العامة للجمعية)
- صادق حبنكة - ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م
- صلاح عقلة (خربة غزالة: حوران) -١٤٠٦هـ تقريباً/ ١٩٨٥م تقريباً
- عبد الحميد الطباع ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م
- عبد الحميد المدني القابوني (القابون) -١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م
- عبد الرؤوف أبو طوق -١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
- عبد الرحمن الخطيب (جبا)
- عبد الرحمن الزعبي (الطيبة) -١٣٨٩هـ/ ١٩٦٣م
- عبد الرحمن النعسان (الصريح) - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
- عبد الرزاق جوّانيَّة الحمصي -١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م
- عبد الرزاق المهايني -١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م
- عبد السلام الخطيب (مرج السلطان وصاحب النهضة فيها) - ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م
- عبد اللطيف الدقر -١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م
- عبد العزيز أبا زيد (مفتي درعا) ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م
- عبد الغني الدقر -١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م (عضو الجمعية ثم رئيسها)
- عبد الكريم الآوي -١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م

- عبد الكريم الرفاعي -١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م
- عبد الهادي قدور الصباغ -١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
- عبد الوهاب الرجلة -١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م
- عبد الوهاب الصلاحي -١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م
- علي أبو بكر (عين الفيجة) -١٤١٢هـ/ ١٩٩١م
- علي سليق -١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م
- عمر ريحان -١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م
- فؤاد خباز (عضو مجلس إدارة الجمعية)
- فتحي النحلاوي (طبيب الجمعية)
- فوزي النابلسي -١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م
- محمد الخطيب/ أبو كامل (الدرخبية) ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م
- محمد السيد (الدرخبية) -١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
- محمد شخاشيرو -١٣٩١هـ/ ١٩٧١م
- محمد شفيق الخولندي -١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
- محمد الشماع -١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م
- محمد علي الأحمد (جباب)
- محمد علي القباني (أول رئيس للجمعية الغراء)
- محمد الفحل - ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م
- محمد الفرا -١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

- محمد الفيومي الخطيب -١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
- محمد مهجة (كفير الزيت) -١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م
- محمد مراد الطباع -١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م
- محمد وضحة المنيني -١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م
- محمود الخطيب (عربين) -١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م
- مسلم الغبرة
- نايف العباس (انخل) -١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
- نديم الطرقجي - ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م
- نعيم البغجاتي -١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م
- نعيم شقير
- وهيبة البقاعي - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م (مديرة مدرسة روضة الحياء للإناث)
- ياسين الصلاحي
- ياسين العدوي
- يحيى الشب (زاكية) -١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
- يوسف عرار - ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤





الباب الثاني



الجمعية الغراء

لتعليم أبناء الفقراء وأعمالها ومدارسها

كثر الطلاب الذين احتاجوا إلى من يشرف عليهم أو يرعى شؤونهم، فنشأت هذه الجمعية.. وكانت أهدافها واضحة منذ البداية، وخطتها معروفة، ووظائف أعضائها محددة.. ودعمها تجار دمشق.

الفصل الأول

الجمعية الغراء

نشأة الجمعية وتطورها

حين أقبل الناس على الشيخ علي الدقر كان فيهم أولاد القرى من حوران والبلقاء والبقاع وتركية وغيرها.. كانوا غرباء في دمشق لا مكان لهم يؤويهم سوى المساجد، فكان الأوائل منهم ينامون في السدّة في كل من جامع السادات في سوق مدحت باشا وجامع السنانية، وجامع سيباي في باب الجابية على نحو غير لائق ولا نظامي، فخاف الشيخ عليهم من التعب ومن الفساد، وكان التجار من الذين يترددون على الشيخ يوفرون لهم حاجاتهم من طعام وكساء ونحو ذلك وما يحتاجون إليه..

ثم هداه تفكيره مع هؤلاء التجار إلى البحث عن مسكن للطلاب يستقرون فيه، في حياة كريمة ليستطيعوا متابعة العلم، فهداهم البحث إلى أن وقعوا في المساجد على غرف موقوفة في الأصل على طلاب العلم، ومنذ القديم، ولكن تسلّط عليها ناس ليسوا من أهله، اتخذوها مجالس للتسلية، أو بيوتاً للسكن، أو مخازن تجارية، فاستطاع مؤيدو الشيخ أن يزيلوا عنها الواغلين ما استطاعوا، ويؤوا إليها الطلاب[1].

(١)الطنطاوي، مجلة الرابطة، ع٧، السنة ٣، ص٤٠، والمشافهات.

وكثر الطلاب، فلم تعد الغرف المتاحة تكفيهم، ورأى الشيخ أن غالبهم من الفقراء إن لم يكونوا كلهم، ففكر في أن يسعى للحصول لهم على مورد متجدد يعولهم، ومسكن جماعي مناسب.. فاقترح عليه التجار من آل الطباع إنشاء جمعية خيرية تنظم أمورهم بما يناسبهم، وتتولى شؤونهم.. فولدت (الجمعية الغراء لتعليم أولاد الفقراء) في حدود عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وكان من أهم أهدافها الدعوة إلى الله عن طريق التعليم والإرشاد، والوقوف في وجه الاحتلال الفرنسي وما ينطوي عليه من حملات التبشير.

ومنذ قامت الجمعية كانت واضحة الأهداف تماماً، تسعى لتحقيقها بإخلاص على يد القائمين عليها ممن يثق بهم الشيخ.. مع أنها جمعية سابقة، ليس أمامها أمثلة تحتذيها[١].

وضعت الجمعية لنفسها أولاً قانوناً أساسياً يشتمل على خطتها، يذكُر أعضاءها، ويحدد مهامهم ووظائفهم، مما دلّ على أن وراءها رجالاً متنورين على دراية وخبرة وعلم وسعة أفق، يعرفون ما يريدون، ويزنون الأمور بعقل المستقبل، وهم من كبار طلاب الشيخ والتجار الواعين.

على أن سجلات الجمعية وأوراقها الأولى قد فُقدت في الحريق الذي نتج عن قصف مركزها في جامع تنكز في ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٥م. وأقدم الوثائق التي بين أيدينا السجلات التي دونت فيها جلسات الجمعية إبان هذا التاريخ. ولعل أهمها الجلسة الأولى المنعقدة

---

(١)ولعل ما قامت به جمعية العلماء التي دعا إليها الشيخ كامل القصاب مثال آخر للنهضة العلمية بدمشق، وتلك نالت ترخيصاً من وزارة الداخلية في ٥ رمضان ١٣٥٦هـ الموافق ٨ تشرين الثاني ١٩٣٧م، انظر ترجمته في كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري، وفيات سنة ١٣٧٣هـ.

في ٩ أيار (مايو) ١٩٤٥ ودُونت فيما يبدو بعد الحريق. وقد عدّلت الجمعية فيها نظامها الأساسي، دون أن ندري شيئاً عن القانون قبل التعديل، ولعله يشبهه في جوانب من بنوده.

وهذه هي صورة الجلسة الأولى للعام المذكور، وتتضمن النظام الأساسي المعدّل:

جلسة رقم (١)

صورة عن محضر جلسة الهيئة العامة التي تعدل بها القانون الأساسي للجمعية الغراء

بناء على الدعوة الموجهة إلى الهيئة العامة من قبل مجلس الإدارة في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٣٦١ الموافق ٦ أيار (مايس) ١٩٤٥ فقد عقدت جلسة الهيئة العامة في مكتب الجمعية بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى ١٣٦٤ وفق ٩ مايس ١٩٤٥ من السادة:

محمد علي القباني — أحمد الدقر
عبد الحميد الطباع — سعيد صادق
سعيد الشربجي — عبد الغني شيخ الصاغة
أمين عرار — بدري المهايني
محمد خير الفرا — صادق الرواس
بشير رمضان — عبد الله كوكش
زكي قطنا — مسلم الغبرة
عادل الخجا — عبد الغني الدقر

ياسين الطباع

وضع على البحث:

ضرورة تعديل النظام الأساسي بسبب تطور الجمعية الفعلي في نهضتها العلمية، ليتفق النظام مع وضع الجمعية الحالي، فتقرر التعديل - عملاً بالمادة الثامنة من النظام - كما يلي:

(النظام الأساسي المعدل للجمعية الغراء)

المادة ١: أسست في دمشق جمعية خيرية تدعى (الجمعية الغراء) سنة ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م

المادة ٢: مركز إدارة الجمعية الرئيسي مدينة دمشق، ولها أن تؤسس فروعاً في مختلف البلاد.

المادة ٣: غاية الجمعية توجيه المسلمين إلى التمسك بالدين عن طريق التعليم والإرشاد والدعوة، ولا علاقة لها في الشؤون السياسية مطلقاً.

المادة ٤: للجمعية مجلس تأسيسي عام مؤلف من ثلاثين عضواً، وهم السادة: (محمد علي القباني، أحمد الدقر، عبد الحميد الطباع، سعيد صادق، سعيد الشربجي، فارس المهايني، بدري المهايني، عادل الخجا، مسلم الغبرة، عبد الغني شيخ الصاغة، زكي قطنا، عبد الغني الدقر، عبد الله كوكش، أمين عرار، محمد خير الفرا، صادق الرواس، بشير رمضان، مسلم السيوفي، بديع قصص، توفيق النحلاوي، فؤاد الخباز، سعدي القتابي، نظمي ملص، توفيق الحلاق، رفعت الإيتوني، رشيد الفرا، كمال حبَّاب، ياسين الطباع، وجيه الصمادي، حسني العابد).

المادة ٥: تدير أعمال الجمعية لجنة إدارية مؤلفة من عشرة أعضاء، تنتخب من قبل المجلس العام ومن أعضائه، لمدة ثلاث سنوات، تبتدئ من تاريخ انتخابها.

المادة ٦: يجري انتخاب اللجنة الإدارية المذكورة بعد المرة الأولى، على مرتين، تنتخب في الأولى منهما خمسة أعضاء من اللجنة الإدارية المنتهية مدتها، ثم يُنتخب الخمسة الآخرون من بين أعضاء المجلس العام، وذلك في جلسة واحدة.

المادة ٧: يجتمع مجلس الجمعية العام للمداولة في شؤون الجمعية وأعمالها مرة في الشهر، كما يجتمع اجتماعاً استثنائياً بدعوة من الرئيس.

المادة ٨: تعتبر جلسات المجلس العام قانونية باجتماع أكثرية أعضائه المطلقة، وإذا لم تحصل الأكثرية في جلسته الأولى فالجلسة الثانية تكون قانونية مهما بلغ عدد الحاضرين منهم، على أن لا تقل المدة بين الاجتماعين عن ثلاثة أيام.

المادة ٩: تتخذ قرارات المجلس العام بأكثرية الحاضرين من أعضائه.

المادة ١٠: تجتمع اللجنة الإدارية عقب انتخابها، وتنتخب من أعضائها رئيساً ونائب رئيس وأمين سر وخازناً.

المادة ١١: رئيس اللجنة الإدارية هو ممثل الجمعية القانوني، ويرأس الجلسات في اجتماعات المجلس العام، ويمثل الجمعية في الدعاوي التي تقام منها أو عليها، وفي معاملات قبول الهبات والوصايا وتسجيلها في البيع والشراء، وذلك بتفويض من اللجنة الإدارية، ونائبه يقوم مقامه عند غيابه.

المادة ١٢: إن معاملات الصرف وحفظ الأموال تقوم بها اللجنة الإدارية بقرار منها وعلى مسؤوليتها.

المادة ١٣: لا يعتبر سند الصرف ما لم يكن موقعاً من أمين سر اللجنة الإدارية وخازنها. وعند غياب أحدهما ينوب عنه الرئيس أو نائبه.

المادة ١٤: تُعرض قرارات اللجنة الإدارية الهامة المتعلقة بإنشاء أو توسيع

مبانٍ أو شراء أو بيع عقارات على المجلس العام للموافقة عليها، كما أن اللجنة الإدارية تتقيد بتنفيذ كافة قرارات المجلس العام في اجتماعاته الدورية والاستثنائية.

المادة ١٥: تقوم اللجنة الإدارية بجميع مهام الجمعية الإدارية، وتعتبر مسؤولة أمام المجلس العام، كما أنها تعرض خلاصة أعمالها في اجتماعات المجلس العام العادي.

المادة ١٦: إذا شغر مقام عضو في اللجنة الإدارية فالمجلس العام ينتخب من أعضائه من يحل محله في أول اجتماع يعقده، وإذا شغر مقام عضويته لمجلسه التأسيسي العام فهو ينتخب مكانه من يتوسم فيه الخير.

المادة ١٧: كل عضوٍ عَمِل ما يتنافى مع مصالح الجمعية فللمجلس العام أن يتخذ قراراً بفصله.

المادة ١٨: إذا انحلت هذه الجمعية - لا سمح الله - فإن أموالها المنقولة وغير المنقولة تعتبر موقوفة، على أن يصرف ريعها في سبيل غاية الجمعية، ويتولى هذا الوقف من كان رئيساً للجمعية وقت انحلالها، ثم من كان نائباً للرئيس، ثم من كان أميناً للسر، ثم الأكبر فالأكبر سناً ممن كان عضواً في المجلس العام لهذه الجمعية، ثم من يختاره قاضي الشرع في دمشق. وللمتولي أن يستبدل الأموال المنقولة بعقارات. ويعين قاضي الشرع في دمشق ناظراً يشرف على جميع أعمال المتولي.

المادة ١٩: إذا سمحت الظروف بإعادة تشكيل الجمعية وكانت أكثرية أعضائها في قيد الحياة، فيشكل المجلس من الأعضاء الموجودين، وهم ينتخبون ممن يتوسمون فيه الخير من يتم بهم نصاب المجلس إلى الثلاثين، وعند ذلك تعود أملاك الجمعية إليها، ويلغى الوقف.

المادة ٢٠: يجوز باقتراح من اللجنة الإدارية أو بطلب من ثلث أعضاء المجلس العام أن يجتمع المجلس العام للبحث في تعديل هذا القانون أو بعض مواده. ولا يجوز إقرار أي تعديل، ما لم يجتمع ثلث الأعضاء على الأقل في المرة الأولى، وإذا لم يجتمع هذا العدد ففي المرة الثانية تعد الجلسة قانونية بمن حضر، على أن لا تقل المدة بين الاجتماعين عن عشرة أيام.

كما تقرر رفعه إلى مقام وزارة الداخلية الجليلة حسب الأصول.

وانتهت الجلسة

التواقيع

محمد علي القباني	أحمد الدقر
عبد الحميد الطباع	سعيد صادق
سعيد الشربجي	عبد الغني شيخ الصاغة
أمين عرار	بدري المهايني
محمد خراط	صادق الرواس
بشير رمضان	عبد الله كوكش
زكي قطنا	مسلم الغبرة
عادل الخجا	عبد الغني الدقر

ياسين الطباع

واختارت الهيئة العامة مجلس إدارتها بعد ذلك، فضم عشرة أعضاء وهم:

محمد علي القباني رئيساً	أحمد الدقر نائباً للرئيس
عبد الحميد الطباع أميناً للسر العام	عادل الخجا خازناً

بشير رمضان عضواً مسلم الغبرة عضواً

عبد الغني الدقر عضواً بديع قصص عضواً

سعيد صادق عضواً رفعت الإيتوني عضواً

كان على هؤلاء اتخاذ القرارات بالأكثرية، فإن تساوت الأصوات ترجح الرأي الذي فيه الرئيس.

وأعقب النظام الأساسي المعدّل وضع نظام داخلي تسير عليه، ينظم شؤونها اليومية.. وهذه صورة نصه:

الجلسة المنعقدة بتاريخ ٩ شعبان ١٣٦٤هـ، الموافق ١٨ تموز ١٩٤٥م.

عقد المجلس التأسيسي العام جلسته الشهرية عن شعبان ١٣٦٤هـ في الساعة الثامنة صباح الأربعاء الواقع ٩ شعبان ١٣٦٤هـ الموافق ١٨ تموز ١٩٤٥م وقد حضرها كل من السادة: حسني العابد، محمد علي القباني، كمال حباب، محمد خير الفرا، مسلم الغبره، أمين عرار، عبد الله كوكش، سعيد الشربجي، رشيد الفرا، فؤاد الخباز، سعيد صادق، بديع قصص، أحمد الدقر، عبد الحميد الطباع، عادل الخجا، ياسين الطباع، زكي قطنا.

الأبحاث:

١- عرض أمين السر العام أعمال اللجنة الإدارية في غضون رجب المنصرم ١٣٦٤هـ وفق حزيران (يونيو) ١٩٤٥م والمشروحة تفصيلياً في رقم الجلسات (٣/ ٤/ ٥/ ٦).

٢- تلا أمين السر العام النظام الداخلي للجمعية المذكور، النص في نهاية ضبط هذه الجلسة، وبعد مناقشته أقره الحاضرون بالإجماع.

٣- بموجب المادة التاسع من النظام الداخلي أجمع الحاضرون على انتخاب [الخبير] المالي القدير بشير بك الأمين مفتشاً لسائر حسابات الجمعية.

٤- اقترح الأستاذ الشيخ أحمد الدقر على المجلس التأسيسي العام زيارة مؤسسات الجمعية تشجيعاً للمنتدبين عليها من المديرين والمعلمين وتنشيطاً لطلابها، فنال هذا الاقتراح موافقة الحاضرين بالإجماع، وقرروا أن تكون زيارة مدرسة سعادة الأبناء إحدى المؤسسات صباح الاثنين الواقع ١١ شعبان ١٣٦٤هـ وفق ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٤٥م في الساعة الثامنة للجنة الإدارية وفي الساعة التاسعة لبقية المجلس التأسيسي العام.

النظام الداخلي

المادة ١- تؤلف اللجنة الإدارية المكلفة بإدارة أعمال الجمعية من عشرة أعضاء يُنتخبون للمرة الأولى من قبل المجلس التأسيسي العام للجمعية، وفقاً للمادة الخامسة من القانون الأساسي.

المادة ٢- تجتمع اللجنة الإدارية مرة كل أسبوع على الأقل، وتجتمع أيضاً كلما دعت الحاجة إلى ذلك، بناء على دعوة من الرئيس أو من أمين السر أو على طلب موقَّع من ثلاثة من أعضائها.

المادة ٣- تصدر قرارات اللجنة الإدارية بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين ولا تكون قراراتها نافذة إلا إذا حضر الاجتماع ستة من أعضائها على الأقل، وإذا تساوت الأصوات رجح جانب الرئيس.

المادة ٤- إذا لم تحصل الأكثرية في اجتماع ما، تدعى اللجنة لعقد اجتماع استثنائي في غضون ثلاثة أيام من تاريخ الاجتماع الذي لم تحصل به الأكثرية، وفي هذا الاجتماع الثاني تكون القرارات نافذة إذا

حضر أربعة من الأعضاء على الأقل، على أن تعطى القرارات باتفاق ثلاثة من الحاضرين.

المادة ٥- إذا لم تتمكن اللجنة الإدارية من عقد جلسات قانونية مدة شهر واحد لانقطاع أكثرية أعضائها عن حضور الجلسات أو تغيبهم أو مرضهم أو لمعذرة أخرى يدعى الحائزون على الأصوات الانتخابية الأكثر فالأكثر لإملاء الشواغر مؤقتاً، إلى أن يدعي المجلس التأسيسي العام لانتخاب عضو أصيل أو أكثر لحين عودة الأعضاء المتغيبين لمعذرة.

الرئيس

المادة ٦- يتولى الإدارة العامة للجمعية، ويشرف على قرارات اللجنة الإدارية والمجلس التأسيسي العام، ويوقع العقود باسم الجمعية بعد تفويضها إياه بقرار، ويشرف على الصرف.

عند غياب الرئيس يتولى نائب الرئيس كافة صلاحياته، وفي حال غياب الرئيس ونائبه يتولى هذه الصلاحيات أمين السر العام.

أمين السر

المادة ٧- يساعد الرئيس في إدارة الجمعية، وينظم محاضر الجلسات، ويحضِّر جدول أعمالها، ويحفظ مستنداتها وكافة ما يتعلق بها، ويوقِّع أذونات الصرف وإيصالات القبض بالاشتراك مع الخازن، ويتولى المراسلات.

الخازن

المادة ٨- يتولى حفظ أموال الجمعية، ويقبض المبالغ المستحقة لها من أي نوع كانت، ويوقِّع إيصالات القبض بالاشتراك مع أمين السر،

رئاستها إلى الشيخ أحمد الدقر، وصار هو المنفذ الفعلي لقراراتها وأعمالها، وتحمل مسؤولياتها، وناب عنه الحاج بشير رمضان، ثم لما مرض الشيخ أحمد الدقر اختير ابنه الأستاذ محمد مفيد الدقر، فكان رئيسها ما بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٤، واختير نائباً عن الدكتور فتحي النحلاوي. فلما توفي الدكتور النحلاوي تسلم نائباً عن الرئيس الأستاذ مصطفى عبد الحميد الطباع. ومنذ عام ١٩٧٤م ترأس الجمعية الشيخ عبد الغني الابن الثاني للشيخ علي[1]، وناب عنه الأستاذ مصطفى عبد الحميد الطباع، وبعد وفاة الأخير انتخب الأستاذ فاروق الطباع من التجار المعروفين نائباً للرئيس، ثم ترأسها بوفاة الشيخ عبد الغني نائبه الأستاذ الطباع، ثم حالياً (٢٠١٠) الأستاذ محمد مفيد الدقر.

وممن اشتهر من رجال الجمعية، وكان لهم حضورهم وأثرهم الفاعل دون أن يكون في الهيئة العامة الشيخ أحمد الصابوني الخطيب المعتمد من الجمعية، وكذلك الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، والشيخ عبد الجليل الدرا، والشيخ محمد الخطيب (أبو كامل)، والشيخ محمد مراد الطباع، والشيخ محمد الطباع، والشاب أديب الصالح، وآخرون كان لهم نشاط يصبُّ في أهداف الجمعية إضافة إلى نشاط الأعضاء

= الفرنسيين. انتخب نائباً في البرلمان، وقدم فيه مسودة للقانون المدني مؤسساً على الشريعة الإسلامية، كان أحد الأقطاب المحركة للجمعية، ونشاطه فيها وفي نهضة الشيخ علي الدقر لا ينكر. وقد اشتهر في زمنه بإخلاصه للجمعية، وكان المحرض الأساسي للحصول على مدرسة تنكز وغيرها من مقرات الجمعية. انظر علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري وفيات ١٣٧٢هـ، وكتاب فارس الخوري (أيام لا تنسى)، ص٦٩

(١)انظر ترجمته في كتابنا (علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري) وفيات سنة ١٤٢٣هـ، وفي كتاب (عبد الغني الدقر) للأستاذ إياد خالد الطباع.

ويدفع المبالغ المستحقة على الجمعية بموجب أذونات صرف موقعة منه ومن أمين السر العام. ويستثنى من ذلك إيصالات المشتركين فيوقعها الجابي، وإيصالات أجور التلاميذ في المدارس، فيوقع مدير كل مدرسة أو محاسبها إيصالات مدرسته. وإيصالات التبرعات الصغيرة من الخمسين ليرة فما دون.

المادة ٩: للمجلس العام التأسيسي أن ينتخب بالاقتراع السري من المؤسسين أو غيرهم مفتشاً أو أكثر لمدة سنة واحدة، تعهد إليه أو إليهم مراجعة حسابات الجمعية، ويمكن إعادة انتخابه. وللمجلس العام التأسيسي تقدير التعويض لمن يقوم بهذه المهمة في جلسته السنوية.

المادة ١٠: إذا توفر لدى الجمعية مبلغ كبير يرجع تقديره إلى اللجنة الإدارية، فعليها أن تقرر إيداعه في أحد المصارف. أو حفظه بشكل آخر مضمون.

انتهت الجلسة.

ومن الطبيعي أن يكون الشيخ علي رئيساً للجمعية منذ قيامها.. فلما توفي عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م ترأسها السيد محمد علي القباني (أبو رمزي)[١] وكان نائبه الشيخ أحمد الدقر[٢]، وتولى أمانة سرها الشيخ عبد الحميد الطباع[٣]. وبعد وفاة الرئيس القباني في الستينات أسندت

---

(١)محمد علي القباني من تجار دمشق، أحد رجال الكتلة الوطنية، سعى بعمارة جامع الروضة، وكان يدعم طلاب الجمعية بالمال والكساء.

(٢)انظر ترجمته في كتاب (علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري)، وفيات سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

(٣)عبد الحميد الطباع عالم تاجر فاضل، ساهم بأعمال خيرية كثيرة؛ كمثل اشتراكه بتأسيس جمعية مستشفى المواساة (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م) وجمعية رابطة العلماء ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م كما شارك بلجان ومؤتمرات الدفاع عن الأوقاف الإسلامية زمن =

المذكورين في المجلس التأسيسي الذين حملوا الجمعية بدعمهم المادي ونشاطهم المعنوي ودعوتهم وحملاتهم لتأمين الدعم من الآخرين.

مقر الجمعية

كان أول مقرات الجمعية في جامع السادات حيث كان الشيخ يستقطب طلبته. ثم انتقل مقرها إلى المدرسة السميساطية[١] الأثرية شمال الجامع الأموي، ثم استقرت في جامع الأمير تنكز[٢]، وبقيت فيه حتى سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، انتقلت بعدئذ إلى شارع المأمون في منطقة الحريقة في بناء خاص بها[٣]، أجرّته في السبعينيات من القرن العشرين، ونقلت مقرها إلى المدرسة السميساطية ثانية، واستقرت فيه إلى أن بني في منطقة كفر سوسة جامع الشيخ علي الدقر عام ١٩٩٩، فانتقلت عندئذ إليه، وهي فيه حتى اليوم.

(١)المدرسة السميساطية نسبة إلى واقفها علي بن محمد بن يحيى السميساطي المتوفى سنة ٤٥٣هـ، وكان وقفها على فقراء الصوفية. وكانت من قبله داراً لعبد العزيز بن مروان، ثم لابنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. وهي اليوم سكن داخلي لطلاب معهد العلوم الشرعية القائم في كفر سوسة. وتعرف المدرسة عند العامة بالمدرسة الشميصاتية، دخلها الإمام الغزالي صاحب إحياء علوم الدين حين جاء دمشق في رحلته المشهورة، انظر الأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٨، وخطط دمشق لأكرم العلبي ٣٩٨.

(٢)مدرسة تنكز وجامعها بناها نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز الناصري سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م واتخذها إبراهيم باشا المصري ثكنة عسكرية حين غزا الشام سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، ثم فعل العثمانيون مثله، فالفرنسيون حتى أخرجوا منها عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، وأحرقوها في عدوانهم على دمشق في ٢٩ أيار ١٩٤٥م فجددت إثر ذلك، وصمم بناءها المهندس الفرنسي إيكوشار، وأقامت الأوقاف عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م في واجهتها محلات تجارية، خطط دمشق للعلبي.

(٣)شيد هذا البناء بجهود الشيخ عبد الحميد الطباع سنة ١٩٣٧م.

ترخيص جديد

جرى بين الجمعية والحكومة السورية بعض مواقف تستنكر أعمالاً تقوم بها الجهات الرسمية أدت بالدولة إلى أن تستاء منها، فصدر أمر وزارة الداخلية بإيقافها في ١٩ تموز ١٩٤٧م، وأرسلت من يقوم بالتفتيش على إدارتها وأعمالها وماليتها، ولم تُظهر نتائج التفتيش أي خلل أو فوضى أو اضطراب.. فأوعزت الوزارة المذكورة إلى القائمين على الجمعية بطلب تجديد الترخيص في ٢٣ تشرين الأول من العام نفسه.. وطلبت تقديم أسماء لأعضاء مجلس تأسيسي جديد لا يجاوز ٢٥ عضواً، في حين كان المجلس السابق من ٣٠ عضواً. وصدرت موافقة الداخلية على الأعضاء التالية أسماؤهم:

أحمد الدقر، أمين عرار، بشير رمضان، بديع قصص، حسني العابد، رفعت الإيتوني، رشيد الفرا، زكي قطنا، سعدي قتابي، سعيد صادق، سعيد شربجي، صادق الرواس، عادل الخجا، عبد الغني شيخ الصاغة، عبد الغني الدقر، عبد الله كوكش، فؤاد الخباز، كمال حباب، مسلم السيوفي، محمد علي القباني، مسلم الغبرة، محمد خير الفرا، نظمي ملص، وجيه الصمادي، ياسين الطباع.

ثم في ١٣ نيسان ١٩٤٨ واقفت وزارة الداخلية على تعديل النظام الأساسي، بحيث أضيف إليهم ٥ أعضاء آخرين، فالتحق بالمجلس التأسيسي كل من **الشيخ عبد الحميد الطباع**، والسيد **مكي الكتاني**، **ومحمود الشقفة وحسني هاشم، وشفيق كحال**، فعاد مجموع المجلس ٣٠ عضواً كما كان.

كان هذا المجلس يجتمع كل شهر كما جاء في النظام الأساسي، ليصدّق على قرارات مجلس الإدارة.

فروع الجمعية

حصلت الجمعية على شهرة ذائعة فيما حول دمشق، مما شجع أبناء البلدات الناشطين على طلب استحداث فروع لها تحتذي بها، وكان ذلك عقب الجلاء عن سورية عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م، فقامت فروع لها في كل من يبرود ودوما والتل والقابون وحران العواميد والمسيفرة وزملكا، ونتج عنها إحداث مدارس للبنين والبنات في مناطقها وعلى غرار الجمعية الأم.. وقد ألفت الجمعية الأم لجنة الدعوة والإرشاد، مهمتها مراقبة الفروع التي سمحت بإنشائها، يتولاها كل من الشيخ عبد السلام الخطيب، والشيخ أحمد الصابوني، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق.

تمويل الجمعية ودعمها

لم يكن للجمعية أوقاف تدر عليها من المال ما يسند مهمتها وتنفق منه على أعمالها في الدعوة إلى الله والتعليم الشرعي، وإنما اعتمدت في تمويلها كله على تبرعات المحسنين من التجار وما يقدمونه من معونات عينية ونقدية اندفاعاً في التقرب إلى الله وتزكية أموالهم وإنفاقها في المبرات، وخصوصاً في شهر رمضان الذي درج فيه تجار دمشق على إخراج زكاتهم، ورأوا أن تخصيص قسم أكبر منها لطلاب العلم هو السبيل الأمثل.

وفوق هذا فقد كان للجمعية بعض أملاك تستثمرها، منها بناء من ثلاثة أدوار وثلاثة مخازن في منطقة سيدي عامود (منطقة الحريقة اليوم، شارع المأمون). إضافة إلى نصف بيت في حي البحصة، مدخل

الأحمدية[١]، وبناء في يبرود كان من مدارس الجمعية فيها، ثم استأجرته وزارة التربية حين أخذت تنشر التعليم[٢].

وكان للدولة بعض المنح الرسمية تهبها للجمعية؛ ومنها المرسوم ذو الرقم ٥٦٨ والتاريخ ٧/٦/١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) الذي أصدره الرئيس هاشم الأتاسي فمنح الجمعية بموجبه مبلغ مئة ألف ليرة سورية لإتمام بناء جامع تنكز مقر الجمعية ومعهدها الشرعي الذي عجزت عن إكماله بعد احتراقه في ٢٩ أيار ١٩٤٥[٣].

كما كانت الدولة تخصص الجمعية بإعانات سنوية تغطي قسماً حسناً من مصروفاتها، واستطاعت بمالها شراء سيارة لأغراض الدعوة عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م.

وكان أعضاء الهيئة العامة في الجمعية ناشطين في جمع التبرعات،

---

(١)تبرعت بنصف هذا البيت للجمعية إحدى سيدات دمشق، الفاضلة ثريا البزرة، وبنصفه الآخر لجمعية الإسعاف الخيري وقفاً نافذاً بعد وفاتها، وذلك في ٢٤/٣/١٩٤٩م.

(٢)أسست الجمعية مدرسة يبرود الخيرية عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، لتعليم أبناء الفقراء الذين لم يكونوا يستطيعون التفرغ للتعلم، فكانت تستقطب مئتي طالب سنوياً، وهذا عدد كبير آنذاك في منطقة كهذه. وبقي الأمر كذلك حتى تسلمت وزارة المعارف مهمة التعليم الإلزامي عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، فاستأجرت المدرسة من الجمعية.

(٣)وكان هذا المبلغ كبيراً آنذاك، ويدل على اهتمام الدولة بالجمعية وتقديرها لأعمالها، وكانت الجمعية بجهودها قد بنت القسم الغربي من الجامع وقاعة المحاضرات، فلما أعانتها الدولة بنت القسم الشرقي منه والشمالي الشرقي، وفيه استقرت ثانوية السعادة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢ أو ١٩٥٣م بعد أن كان مقرها في السميساطية، مع مدرسة سعادة الأبناء. وقدمت وزارات الدولة للغرض نفسه عدة تبرعات، منها تبرع وزارة الأشغال بمبلغ (٩٥٠٠٠) ليرة سورية، بموجب مرسوم منظم لهذا الشأن من موازنتها ذات الرقم ١٥٥١ لعام ١٩٤٧م.

خصوصاً وأنهم نخبة - كما رأينا - من التجار المعروفين الموثوقين الذين يهبون الجمعية من أموالهم ويستوهبون لها.

ثم أنشأت الجمعية في الأربعينات لجاناً لجمع التبرعات، لكي يكون التمويل فيها منظماً، غير عشوائي.

نشاطات الجمعية

قامت الجمعية أول أمرها من أجل الدعوة إلى الله تعالى، والقيام بنشر العلم والإشراف على المدارس التي تفتتحها. لكن المتأمل في مجريات الأحداث والاضطرابات التي كانت تحدث في البلاد لأدنى مناسبة يرى أن الجمعية مع هذه الأعمال العلمية الجليلة الأساسية في مهامها رأت من واجبها المشاركة في الحركة الوطنية اقتداء بسيرة منشئها الأول الشيخ علي الدقر الذي كان ينظر إلى الوطن والمواطنين نظرة المسؤولية، فغيّر منهجه عندما بدأ الفساد يستشري في المجتمع، وعندما هدد المستعمر الوطن، فكان أحد رموز الإصلاح الاجتماعي والوطني، بما صنعه في الحث على الخروج للقاء الفرنسيين في ميسلون، ثم في الدعوة إلى الثورة السورية عليهم.

ولم يستطع طلاب الشيخ ومن حوله أن يقفوا موقفاً سلبياً كلما نزلت بالبلد داهية، وكان من أهم مشاركاتهم الأحداث أنهم هبّوا مع الدمشقيين في حركة إضراب ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ضد تصرفات المستعمر مما عرف بالإضراب الستيني، فكانوا من أنشط الفاعلين في التعبير عن رأي المواطنين، حتى أصبح جامع تنكز - مقر الجمعية - أحد أهم مراكز النشاط الوطني والاجتماعي وموئل الغيورين..

وتناغمت الجمعية مع جماعة الكتلة الوطنية التي كانت مضطرة في

أي حركة سياسية لها للرجوع إلى الجمعية الغراء. على أن هذه الكتلة استجرت الجمعية إلى قضية كانت في غنى عنها، وهي مقتل الطبيب السياسي المشهور عبد الرحمن الشهبندر عام ١٩٤٠، مما أضربها وأدى ذلك إلى إعدام أحد طلاب معهدها محمد صالح بن معتوق الشيخ نجيب، بعد أن وجهت إليه تهمة الإفتاء بجواز قتل الشهبندر، فأُعدم مع الذين قتلوه.

ولما قام التحضير لانتخاب أول مجلس نيابي عام **١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م** إثر وفاة الشيخ علي الدقر، وتولي السيد شكري القوتلي رئاسة الجمهورية شاركت الجمعية في الانتخابات مع الكتلة الوطنية في قائمة موحدة، وأصدرت قائمة مرشحيها من مقرها، فنجح معظمهم، وفاز على رأسهم آنذاك الشيخ عبد الحميد الطباع ممثلاً للجمعية الغراء في مجلس النواب ليعبر عن رأيهم وكلمتهم ومواقفهم المتميزة وأصواتهم الحرة.

ولم يكن حادث جماهيري يحدث في دمشق إلا وتكون الجمعية طرفاً فيه، وما تجري من اجتماعات خطابية إلا ويكون للجمعية مشاركة فيها، وما تخرج من مظاهرة حاشدة كاعتراض على تصرف استعماري أو ظاهرة اجتماعية منحرفة إلا ومبدؤها مقر الجمعية في جامع تنكز.. تبدأ بخطاب ناري من أحد خطبائها المعروفين، ثم تنطلق إلى المكان الذي حددته للاعتراض، وكثيراً ما كان طلاب المعهد قبل الجلاء يُعتقلون في قلعة دمشق لتصرفاتهم الجريئة.. وما يُعقد من مؤتمر شعبي إلا ومركزه الجمعية، حتى غدت أحد عنوانات الوطنية وجانباً أساسياً فيها.. وباتت تسيطر على الشارع الدمشقي.

ومن هنا رأت أن تنشئ قاعة كبيرة للمحاضرات تتسع لأربع مئة

كرسي، لتحتضن نشاطاتها.. ولمّا نجزت في نيسان (أبريل) من عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م افتتحت بأربع محاضرات عن الأمير تنكز الناصري باني الجامع، والشيخ علي الدقر صاحب النهضة، والجمعية الغراء، والقضية الفلسطينية التي كانت النفوس آنذاك تغلي بسبب حوادثها.

ومن الكتب التي قدمتها الجمعية للحكومة كتاب فيه اعتراضها على عزم الجهات الرسمية عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م إخراج فرقة بنات الكشافة باستعراض موسيقي في الطرقات بمناسبة الاحتفال بعيد الجلاء، فبعثت بكتابي نصح إلى وزيري المعارف والداخلية، تطلب فيهما العدول عن هذه الخطوة التي رأتها تسيء إلى الأخلاق العامة، ورفعت برقيتين إلى كل من رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة.

واهتمت الجمعية حين ورد إليها كتاب من الشيخ توفيق الأتاسي رئيس جمعية علماء حمص في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٧م يدعو فيه إلى توحيد الجهود من الجمعيات الدينية في سورية لوضع خطة من أجل منع التهتك والخلاعة.. كما اهتمت حين ورد إليها كتاب مثله من جمعية الإخوان المسلمين في ٢ آذار من السنة نفسها، تطلب توحيد الجهود لمكافحة الخلاعة؛ فتقرر السعي إلى دعوة ممثلين عن الهيئات والجمعيات الإسلامية لعقد مؤتمر عام بدمشق، والاتفاق على خطة حكيمة مع الجهات المسؤولة.

ومن نشاطات الجمعية الهامة أنها أحدثت في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م مكتباً سمي مكتب الدعوة والإرشاد برئاسة الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، وعضوية كل من الشيخ أحمد الصابوني والشيخ عبد السلام الخطيب والشيخ أديب الصالح مدته عام كامل..

وبديهي أن تكون الجمعية بمن فيها من علماء مقصد البيت في

أمور الفتاوى أو الاستشارات الفقهية الدقيقة، ففي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م كلفت الدولة الشيخ علي الطنطاوي بوضع قانون الأحوال الشخصية، فلما اضطر إلى مشاورة الفقهاء في عدد من مواده رجع إلى الجمعية الغراء، فرشحت له الشيخ أحمد المقداد البصروي الفقيه الشافعي الأول فيها، فأخذ برأيه فيما عرض له من مشكلات.

وحين أقامت مدرسة دوحة الأدب للبنات في العام الآنف الذكر حفلة لرقص السماح في متحف الفنون الشعبية (قصر العظم) حضرها العقيد أديب الشيشكلي حاكم سورية آنذاك ورئيس الوزراء خالد العظم، ولم تكن البلدة تعنى مثل هذه الحفلات من قبل قامت الهيئات الإسلامية ومنها الجمعية الغراء تستنكر على الدولة أن ترعى وتشجع هذه الحفلة، وأصدرت بياناً جاء فيه[١]:

«إن الجمعيات الإسلامية وعلماء المسلمين تعلن للحكومة باسم الدين وباسم الدستور والكثرة الساحقة من هذا الشعب الذي تنكر أديانه على اختلافها، وتنكر أعرافه وأخلاقه الفسوق والدعارة والتهتك وإقامة الحفلات الراقصة المتكشفة باسم الفن والذوق والرياضة، والتي غضبت من الحفلة التي أقامتها مدرسة دوحة الأدب وعُرضت فيها البنات المسلمات راقصات أمام الرجال في شهر رمضان شهر الطاعة ونحن في مرحلة حرب مع اليهود، ولا يُستنزل نصر الله بمعصية الله.. تعلن إلى الحكومة أنها قياماً بواجب الدين الذي يأمر بإنكار المنكر، وتنفيذاً لأحكام الدستور الذي يحمي الخلق والعفاف، وذوداً عن عقائدها وأخلاقها، لا ترضى بمخالفة شرع الله

(١)كان مما حرّك القضية وأثارها الشيخ علي الطنطاوي في إحدى خطبه، فاستجابت له الجهات الشعبية، انظر ذكريات الطنطاوي ١٠٨/٥.

وشرع العفاف والسماح للفئة التي تتبع أهواءها وشهواتها باسم التقدمية والتجدد أن تتحكم بأخلاقها وأعراف بناتها ومستقبل أبنائها.. وتنكر كل تحريف لها، وتطلب وضع حد لمؤازرة بعض رجال الحكومة لهؤلاء الناس وحمايتهم للحفلات الماجنة».

وقَّع على البيان بالإضافة إلى الجمعية الغراء باسم رئيسها الشيخ أحمد الدقر؛ الشيخ أبو الخير الميداني رئيس رابطة العلماء، والشيخ كامل القصاب رئيس جمعية تضامن العلماء، والشيخ محمد سعيد الحمزاوي رئيس جمعية الهداية الإسلامية، والسيد محمد المكي الكتاني نائب رئيس رابطة العلماء، والشيخ حسن حبنكة رئيس جمعية التوجيه الإسلامي، والشيخ هاشم الخطيب رئيس جمعية التهذيب والتعليم، والسيد محمد الهاشمي رئيس جمعية الشعائر الدينية، والدكتور مصطفى السباعي المراقب العام لجمعية الإخوان المسلمين، والشيخ محمد حسن الشطي رئيس جمعية التمدن الإسلامي[١].

وفي صيف عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م شاركت الجمعية بأكبر مظاهرة خرجت في دمشق، ضمت جميع أحزابها، احتجاجاً على إعدام القاضي عبد القادر عودة وإخوانه في مصر.

وكان مقر الجمعية إلى جانب ذلك مركز نشاط دوري اجتماعي وإسلامي وعربي، فعقد فيه مؤتمر نصرة فلسطين عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، حضره عدد كبير من علماء البلاد الإسلامية، وجرى فيه أيضاً في ذلك الوقت مؤتمر نصرة الجزائر، كما قام فيه مؤتمر علماء العالم الإسلامي عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م... وبقيت أمثال هذه

(١)ذكريات علي الطنطاوي ٥/ ١٠٧.

النشاطات تعقد فيه حتى عهد الوحدة السورية المصرية عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، فأغلق بعدها المعهد وجرت تطورات عليه في عهد وزير الداخلية عبد الحميد السراج سنشير إليها.

هذا فضلاً عن المحاضرات والندوات العديدة التي كانت تشهدها قاعة الاحتفالات بالجمعية، وتكون نشاطاً لحفلات التمثيل المسرحي، أو لقاءات لتأبين رجلات العلم والثقافة، مما لم تسبق إليه مؤسسة أهلية أخرى.



الفصل الثاني

مدارس الجمعية الغراء

بعد أن توجه الشيخ علي الدقر نحو إنشاء معهد العلوم الشرعية الذي كان امتداداً لحلقات المسجد وتطوراً لها أخذ على عاتقه افتتاح مدارس نظامية مثلت خلاصة فكره؛ بأن النهضة لابد أن تبدأ بالعلم للوقوف في وجه التضليل والانحرافات كما رأينا.

وكان أخشى ما يخشاه الشيخ أن تُدخِل المدارس المضللة مناهج غربية وأفكاراً غير أصيلة تستعمر بها العقول والأذهان بعد أن استعمرت البلاد، فجاءت المدارس التي أسسها ردّ فعل على المناهج غير العربية. كما كان يخشى أن تسلك السلطات الفرنسية في المدارس السورية ما سلكته في الجزائر، حيث أبعدت أهلها عن عروبتها وقرآنها وإسلامها، وعملت على أن تنسيها أصالتها، فاجتهد لذلك في فتح المدارس على النهج الإسلامي العربي بإشراف الجمعية الغراء.

مدرسة وقاية الأبناء

مدرسة ابتدائية للذكور، قامت في محله زقاق العسكري بحي الميدان الوسطاني، وقد أوكل الشيخ علي الدقر أمر تأسيسها وإدارتها إلى

الشيخ حسن حبنكة[1]، فافتتحها سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، ونشطت، وقد ضمت آنذاك أكثر من ٨٠٠ تلميذ، وهو عدد لا يستهان به في وقتها. ثم أدارها بعده الشيخ أحمد الصابوني مدة يسيرة، حتى تولاها الشيخ عبد الرحمن الدقر، واستمر بها إلى أن هدمت باختراق الطريق المتحلق الجنوبي في السبعينات.

وقد بدأت هذه المدرسة تضعف منذ عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م بسبب عدم تطويرها خصوصاً بعد إرسال وزارة التربية إليها مديراً منتدباً.. ولم تعد تفي الأقساط التي كانت تتقاضاها باستمرار حياتها، فجاء اختراق الطريق ليضع حداً لها.

كان من معلميها الأوائل الشيخ محمد الخطيب (أبو كامل)، والشيخ يوسف عرار، والشيخ محمد الشريف اليعقوبي، والشيخ عبد الله الراشدي، والشيخ عبد الوهاب الصلاحي، والشيخ ياسين الصلاحي، والشيخ أنيس الصلاحي، والشيخ نديم الطرقجي، والشيخ محمد الخوام، والخطاط حسين بغجاتي[2].

مدرسة سعادة الأبناء

من أشهر مدارس الجمعية، أسست للذكور عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م في محلة الخيضرية بحي الشاغور، وقد نظم أمرها حينذاك الشيخ حسن حبنكة، وجهزها خلال خمسة عشر يوماً.. وكان يوم افتتاحها

---

(١) الشيخ حسن حبنكة من كبار علماء دمشق المجاهدين، أسس نهضة ذات شأن في محلة الميدان الوسطاني مركزه جامع منجك، وأنشأ معهد التوجيه الإسلامي الذي تخرج به علماء كان لهم شأنهم في دمشق فيما بعد، انظر ترجمته في علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري في وفيات عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٢) غالب تراجم هؤلاء في كتابنا (علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري).

مشهوداً، أقيم فيه حفلة دعي إليها الوجهاء والتجار، وأحدثت أثراً بين الناس، وقد وصل عدد تلاميذها إلى أكثر من ٥٠٠ تلميذ.

ثم نقلت المدرسة في منتصف الثلاثينات إلى محلة البلطجيّة بحي القنوات خلف جامع السباهية، وبقيت هناك مدة.. ثم ما لبثت أن انتقلت إلى جامع تنكز في شارع النصر، أواخر الثلاثينات حيث معهد العلوم الشرعية، واستمرت على ذلك حتى نقلت إلى بناء المدرسة السميساطية الأثري بمحلة الكلاسة شمال الجامع الأموي عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م[١]، وظلت هناك حتى أغلقت عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، في حين نقلت الصفوف الإعدادية عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م إلى مبنى جامع تنكز في جانبه الشرقي، وتولى الإدارة حينئذ الشيخ عبد الغني الدقر باسم ثانوية السعادة للجمعية الغراء.

خرّجت المدرسة أعداداً كبيرة من الطلاب، نالوا منها شهادة الدراسة الابتدائية لينتقلوا بعدها إلى معهد العلوم الشرعية التابع للجمعية، أو إلى مدارس المرحلة الإعدادية الرسمية.

---

(١)كانت هذه المدرسة داراً لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (١٠١هـ)، ثم آلت إلى علي بن محمد السميساطي سنة ٤٥٣هـ فوقفها على وجوه البر، ثم صارت داراً للفتوى في عهد مفتي الشام الشيخ عطا الكسم (-١٣٥٧هـ)، ثم إن دائرة الأوقاف جهزتها وأصلحتها لتكون معهداً للقضاء الشرعي، وفي هذه الأثناء كانت الجمعية بحاجة إلى بناء مثلها لسكن طلاب العلم الشرعي، فقررت الجمعية الغراء الحصول عليها، فلما فرغ المتعهد من شأنها أمرت الجمعية طلاب المدرسة أن ينزلوا فيها بمتاعهم وكتبهم، فلما رأى مدير الأوقاف ما جرى أمر بإخراجهم، فالتجأ الشيخ علي الدقر إلى الشيخ بدر الدين الحسني، فأقرهم عليها، ولم يستطع مدير الأوقاف إلا أن يرضخ له. ثم انتقلت إليها مدرسة سعادة الأبناء عام ١٩٤٥م، وأما طلاب المعهد فكانوا يدرسون في التكية، وينامون في ملحقات جامع تنكز وفي السميساطية وعدد من غرف المساجد.

سارت المدرسة على نظام دقيق في برامجها وإدارتها، انتقي لها كبار الأساتذة في جميع المواد، حتى نظر إليها أهل الخبرة نظرة احترام.

كانت مناهجها التدريسية كمناهج الدولة، وتزيد عليها في المقررات الشرعية والعربية، ولذلك رجحت كفتها على كفة مدارس الدولة.. وقد اهتمت بدرس اللغة الأجنبية، وأولته عنايتها الفائقة، وأدارها مدة طويلة عبد الرزاق المهايني أحد أعضاء الجمعية الغراء وأركانها[1]، واشتهر بما أقرّ فيها من نظام وحزم ومتابعة، وعرف بإخلاصه في عمله واستغراقه فيه.. أقرّ سلوكيات المدرسة على نحو مطرد وفرض حصة منها للمطالعة الحرة فنشّط التلاميذ ليعتمدوا على أنفسهم في انتقاء الكتب، وليطلعوا على معلومات من غير مناهجهم.. ووسّع آفاقهم في المعرفة.

ومن المؤكد أن نظرته للتلاميذ كانت نظرة مسؤولية، إذ أراد أن يرتقي بهم، ويعالج أوضاعهم، ويتابع تطوراتهم، وينظر في مواطن الخلل بدراستهم، فكان لذلك يعقد اجتماعات مع أولياء التلاميذ، ويستدعيهم إلى المدرسة ليناقش معهم أحوال أولادهم.. وهذا لم يعرف في المدارس الرسمية إلا فيما بعد.

ملاك المعلمين في مدرسة سعادة الأبناء عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨ وما بعد.

عبد الرزاق المهايني	المدير (وتولى الإدارة أيضاً عام ١٩٤٨م حتى ١٩٥٠م على المرحلة الإعدادية)

---

(١) كان من تلامذة الشيخ علي الدقر المقربين، وكان يستعين به في كثير من أموره، أمّ بجامع التوتة في حي العمارة، وبقي فيه حتى وفاته. كان ذا شخصية مهيبة متميزاً في إدارته، ذا أثر في تلامذته توفي عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، (معجم الأسر والأعلام الدمشقية ٢/ ٩٦٧).

محمد نزيه المهايني	موجه ويعلم الرياضيات
بديع القضماني	مراقب ويعلم الاجتماعيات والأناشيد والإملاء (وساعد في الإدارة)
أحمد بن محمود العطار	(ساعد في الإدارة)
أحمد الورع	اللغة العربية
وجيه النقشبندي	اللغة الفرنسية
أمين الأسطواني	اللغة الفرنسية
موفق الرملي	اللغة الفرنسية
محمد زرزور	الخط
وحيد الجباوي	
منير الفقير	الرياضيات
محمد الشماع	التاريخ والجغرافية
عبد الرحمن بركات	الإنشاء والقراءة
محمد الجنودي المغربي	معلم الصف الأول (وساعد في الإدارة)
مصطفى العلاف	عدد من المواد
فؤاد رباطه	
محمد السيد الدرخباني	

نلاحظ هنا أن لكل مادة مدرسيها المتخصصون، في حين كانت المدارس الرسمية غالباً تعتمد معلم الصف لكل المواد.

المعلمون المشتركون حين إحداث المرحلة الإعدادية.

الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت	القرآن الكريم والتجويد (في المرحلتين الابتدائية والإعدادية)
الشيخ محمد سعيد البرهاني	الفقه واللغة العربية (في المرحلتين الابتدائية والإعدادية)
الشيخ محمد خير العرقسوسي	التربية وعلم النفس
الصيدلي كامل بنقسلي	الكيمياء والفيزياء
الأستاذ عبد الفتاح سويد	الكيمياء
الأستاذ درويش القصص	الرياضيات
الدكتور فتحي النحلاوي	الفيزياء والكيمياء (وهو طبيب الجمعية)
الأستاذ عبد اللطيف الصباغ	اللغة الإنكليزية
الأستاذ أحمد الخالد	اللغة العربية
الشيخ عبد العزيز أبو لبادة الرفاعي	موجه
الأستاذ توفيق سعيد	
الأستاذ عبد الفتاح سويد	

وفي عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ضُمّت المدرسة الإخنائية[1] إلى السميساطية، ليكون تدريس البنات في هذه الأولى وبقيت الثانية للطلاب.

(١)المدرسة الإخنائية من مدارس الشافعية، بناها شمس الدين الإخنائي (-٨١٦هـ) وهي شمال الجامع الأموي (خطط دمشق ٩٨).

ثانوية السعادة

كانت مدرسة سعادة الأبناء الابتدائية التي أسستها الجمعية الغراء إحدى المدارس النموذجية لوقتها، قامت بما يلزم، وسدت حاجة في دمشق طارئة في مجال التعليم، وتخرج بها طلاب تزودوا بالمعرفة، والأخلاق.

ومع توسع المدينة ودخول أفكار جديدة في الجمعية رأى أعضاؤها تطوير المدارس التي تشرف عليها، وخصوصاً بعد حوادث ٢٩ أيار ١٩٤٥م المشؤومة حين استهدفت جامع تنكز مقر الجمعية.. فقصفته بالمدافع وأحرقته.

إزاء ذلك ظهرت حاجة للتعويض عن المدارس المغلقة، فقررت الجمعية بجلستها المنعقدة في ٨ تموز من العام المشار إليه ضرورة تطوير مدارسها، وإنشاء ثانوية كونية تفي بالمطلوب، وأرسلت تستشير ساطع الحصري[١]، ثم رفعت تقريرها وطلبها إلى رئيس الجمهورية لتحصل بذلك على ترخيص بإحداث مدرسة باسم «ثانوية السعادة».

افتتحت الثانوية في العام الدراسي ١٩٤٥/١٩٤٦م في مبنى مدرسة سعادة الأبناء في المدرسة السميساطية، أحدث فيها أولاً الصف الأول الإعدادي، وكانت المدرسة الابتدائية من خمسة صفوف ينال بعدها الطالب شهادة الدراسة الابتدائية، بعد امتحان تشرف عليه

(١)باحث كاتب من علماء التربية حلبي الأصل، تنقل في التعليم والإدارة، دعته الحكومة العربية في دمشق فعينته وزيراً للمعارف عام ١٩١٨م، فوضع تقارير تربوية ووضع نظاماً تربوياً، ثم رحل مع دخول الفرنسيين سورية، ودعي إلى دمشق مستشاراً في الوزارة المذكورة (١٩٤٤-١٩٤٦) ثم قصد مصر، فأنشأ معهد الدراسات التابع لجامعة الدول العربية، وأداره، له مؤلفات تربوية، توفي ببغداد عام ١٩٦٨م (الأعلام ٣/ ٧٠).

الدولة وكانت تسمى (السرتفيكا)، ثم جعلت تُحدث صفاً أعلى في كل سنة درسية حتى استكملت الصفوف الإعدادية والثانوية كلها، ثم نُقلت بعدئذ إلى جناح من مدرسة تنكز، والتزمت بمناهج الدولة تماماً، كباقي الثانويات الأهلية، وكانت مثلها تتقاضى أقساطاً سنوية، بخلاف مدارس الجمعية المجانية.

أُسندت إدارة الثانوية إلى الشيخ عبد الغني الدقر، وبعد احتلال السراج لمدرسة تنكز وإغلاق المعهد الشرعي وثانوية السعادة سمحت الجمعية للشيخ عبد الغني أن يفتح المدرسة ويرخصها باسمه، وبعد إغلاق المدرسة ثلاث سنوات تنازل الشيخ عبد الغني عن الترخيص إلى الأستاذ فاروق الطباع، فحصل لها على ترخيص جديد من مديرية التربية، صدر برقم ٢٠٢، تاريخ ١٠/ ١٠/ ١٩٦٢م، وكانت مدرسة أهلية على مناهج الدولة، ثم انتقلت ملكيتها إلى الأستاذ هشام الناشف سنة ١٩٧٤م[١]، وما تزال إلى اليوم من الثانويات الأهلية المقصودة.

مدرسة روضة الحياء

مدرسة ابتدائية للبنات أسستها الجمعية في زقاق البرغل بحي باب الجابية عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، لتضم خمس سنوات هي كامل المرحلة الابتدائية آنذاك، بالإضافة إلى صف تمهيدي أو تحضيري لتلميذات ما قبل المرحلة. وصف آخر إضافي بعد الصف الخامس لتعليم الخياطة، وبلغ عدد تلميذاتها أكثر من ٥٦٠ تلميذة.

---

(١) الأستاذ هشام الناشف من مدرسي الرياضيات المعروفين، قام على الثانوية أحسن قيام، توفي عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

أوكلت الجمعية إدارتها أول الأمر إلى السيدة سامية ترجمان، فكانت مهمتها تأسيسية مدة ثلاث سنوات، ثم خلفت على إدارتها الحاجة باهية الطباع مدّة. لتتسلم بعدها الحاجة وهيبة البقاعي[1] فتولت إدارتها مدة طويلة وعرفت بها.. وكان الشيخ علي الدقر يشرف على المدرسة مدة حياته.

أقبلت التلميذات على التعلم في هذه المدرسة، وتميزت في أوائل سنواتها بدخول طالبات كبيرات السن في دورات لمحو الأمية. وهي خطوة غير مسبوقة آنذاك.

ومع تراخي الأيام ضعفت المدرسة، وقلّ عدد تلميذاتها، وانصرفن عنها إلى غيرها، وتقدمت الحاجّة وهيبة في السن.. فرأت الجمعية منذ بداية التسعينات أن المدرسة تحتاج إلى إعادة تأهيل، فعينت لها مديرة جديدة؛ السيدة شكران شحادة الرفاعي، مع حفظها للحاجة وهيبة مكانتها، فجعلتها مشرفة فخرية مع إلقائها بعض الحصص الدرسية. وأضافت الجمعية إلى بنائها بناء مجاوراً فوسعت مساحتها فصار فيها ٢٦ صفاً بعد أن كانت ٦ صفوف، وتقوم عليها اليوم ٦٠ معلمة (٢٠١٠)، أجرت لهن الجمعية دورات تدريبية في التربية، واشترت بعض وسائل المواصلات واستأجرت أخرى، فتضاعف عدد التلميذات، وهي اليوم من المدارس المرغوبة التي تنافس مثيلاتها بما أدخل عليها من مناهج حديثة، منها تعليم الحاسوب، بالإضافة إلى نشاطات تربوية مختلفة.

---

(١)الحاجة وهيبة لزمت دروس الشيخ علي الدقر، وتخرجت به، وترددت على بعض أهل العلم حتى تفوقت في العلوم الشرعية. كان لها دروس وعظ وتعليم، فأقبلت عليها النساء في جامع الروضة وبالمدرسة وفي الميدان. عرفت بإخلاصها وصلاحها على منهج أستاذها. ولدت بدمشق ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٣م وتوفيت بها عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م (علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ٢٨٣).

مدارس أخرى

افتتحت الجمعية مدارس ابتدائية في عدد من مناطق الأطراف؛ فأنشأت في يبرود بالقلمون مدرسة هداية الأبناء للذكور، وأدارها الشيخ نديم الطرقجي، ومدرسة زهرة الحياء للبنات.

وافتتحت مدارس مماثلة في بلدة الديماس، وأدارها الشيخ صلاح عقلة، ولكنها لم تستمر طويلاً كمثيلاتها، وأسست مدارس كذلك في بلدات دوما وعين الفيجة والتل وبرزة والقابون وحرّان العواميد.

وقد أقبل الطلاب على هذه المدارس، فكان في كل منها خمسة صفوف نظامية لكامل المرحلة الابتدائية، وبلغ عدد طلاب كل منها أكثر من ٣٠٠ طالب، وهذا كثير في ذلك الوقت، وتخرج بها طلاب تابعوا دراستهم الثانوية فالجامعية، وعُرفوا في المجتمع، وأسهموا في الدعوة.

قامت هذه المدارس لتسد النقص الذي تحتاجه البلاد إزاء عجز وزارة المعارف عن القيام بمهامها للأوضاع التي مرت بها سورية خلال الانتداب، فلما كان الجلاء عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م بدأت مدارس الجمعية تتقلص شيئاً فشيئاً، حتى زالت مع أواخر خمسينات القرن العشرين.

ملحوظات حول مدارس الجمعية

- افتتحت هذه المدارس لتحقيق أهداف الجمعية في أن النهضة الحقيقة للأمة لا تكون إلا بالعلم.

- أخذت مدارس الجمعية بمناهج مدارس الدولة الرسمية، مع

إضافة العلوم الشرعية من القرآن الكريم والفقه والتوحيد والتوجيه الأخلاقي.

- كانت تتقاضى أقساطاً بسيطة (ما عدا معهد العلوم الشرعية) من أجل استمرارها.. ثم لما تقدم الزمن لم تعد تفي بما يعين على استمرارها.

- ضعفت في الخمسينات، ولم تأخذ بالتطور المطلوب، فأخذت تتراجع حتى أغلقت كلها، ما عدا روضة الحياء إذ أدركتها الجمعية بالتحسين فازدهرت.



الفصل الثالث

معهد العلوم الشرعية

حين كثرت الحلقات العلمية التي أقامها الشيخ علي الدقر في جامع السادات وجامع السنانية وتنوعت، وضاقت عن استيعاب الطلاب، وتشتتوا، واحتاجوا إلى مكان يؤويهم ويوفر لهم الخدمات اللازمة، وإلى مدرسة منظمة في برنامج محدد، رأى الشيخ أن ينشئ معهداً تابعاً للجمعية يضمهم في مناهج، يكونون فيه سواء.

حصلت الجمعية أولاً على غرف في جامعي السباهية والعداس، إضافة لغرف الجامعين الأولين.. وكان بعضها بحاجة إلى ترميم.. ولم تكن كلها مع ذلك تفي بالغرض المطلوب.

وبعد البحث عن مكان ملائم وقع الاختيار على مدرسة الأمير المملوكي تنكز في شارع النصر[1].. وكانت مدرسة كبيرة من طابقين،

(١)سيف الدين تنكز حكم دمشق ٢٨ عاماً، وكان من خيرة حكامها، قتل سنة ٧٤١هـ في الإسكندرية ودفن بها ثم نقل جثمانه سنة ٧٤٤ إلى دمشق فدفن بها لصيق مدرسته من الشرق، انتهى من بنائها عام ٧١٨هـ وكانت قبل أن تتهدم من أجمل مساجد دمشق، وصفها البدري في كتابه (نزهة الأنام) وصفاً يقرب من الخيال، ثم اتخذها إبراهيم باشا المصري ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م ثكنة لجنوده، وفعل مثله العثمانيون، وحولها الفرنسيون إلى مدرسة حربية لما دخلوا دمشق عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، ثم ضربوها بالقنابل يوم ٢٩/ ٥/ ١٩٤٥ فاخترقت، ثم حددت بناءها =

وكان الفرنسيون قد حولوها إلى ثكنة عسكرية، واستطاع الشيخ أن يخرج الجنود منها[١].. كان ذلك عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م. كما حصلت الجمعية على بعض غرف التكية السليمانية أواخر الثلاثينات من القرن الفائت، تحولت إلى قاعات دراسية، وكان مبيتهم موزعاً بين غرف جامع ا لعداس والمدرسة السميساطية. حتى عام ١٩٤٥ حين جُمعت إقامة الطلاب ودراستهم معاً في ملحقات جامع تنكز، وانتقل طلاب مدرسة سعادة الأبناء إلى السميساطية ليدرسوا هناك.

أقرأ في المعهد كبارُ طلاب الشيخ المتقدمين الذين عرف إمكاناتهم، ممن كانوا أمراء الحلقات التي انقلبت إلى مدرسة نظامية ذات صفوف، وجُعل لها سجلات رسمية، وصفوف منظمة وامتحانات مقررة، وشهادة تمنح عند التخرج.

وأشرف على المعهد وأداره الشيخ أحمد الدقر ابن الشيخ علي، وهو الذي كان يشرف كذلك على الجمعية وسائر مدارسها ومؤسساتها العلمية. وازدهر مع الأيام معهد العلوم الشرعية، وارتفع شأنه، واستقطب طلاباً كثيرين كان لهم قدرهم فيما بعد.

= الجمعية الغراء وبمعونات من الدولة بين عامي ١٩٤٦ و١٩٥١م، في حين أعادت وزارة الأوقاف بناء الجامع فوق المحلات التجارية عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥٠م.

(١)في حصول الجمعية على هذه المدرسة أمرت طلابها أن يتهيؤوا في يوم كانت الثكنة فيه خالية من الجنود، خرجوا منها لأمر ما، فنزل الطلاب واحتلوا بأمتعتهم. واستقروا بها.. فلما رجع الجنود أسقط في أيديهم، وتعذر عليهم إخراج الطلاب. وتدخل الشيخ بدر الدين الحسني فدعم الجمعية لئلا يتصرف الفرنسيون بحماقة، وخافوه.. وتم للمعهد ما أراد من الأمر. وسُقط في يد حكومة حقي العظم الذي غاظه هذا التصرف، ولم يستطع أن يفعل شيئاً إلا أن يرضخ للأمر الواقع.. وقال مدير الأوقاف الشيخ عبد القادر الخطيب للشيخ عبد الحميد الطباع: يد الإخلاص غلبت يد القوة.

والجدير بالذكر أن طلاب المعهد كانوا يُلزمون بالزي الموحد، وهو زي علماء البلد، يلبسون القمباز فوقه الجبة المخيطة على طرازها المعروف، ويتعممون بالعمة البيضاء.

وأخذت الجمعية تطور المعهد على السنوات، سواء في حياة الشيخ المؤسس أم في مرحلة ابنه الشيخ أحمد الذي أداره بكفاية ومقدره، حتى ضربه الفرنسيون بالمدافع سنة ١٩٤٥م يوم ضربت دمشق، خوفاً من قيام دعوة الشيخ علي رحمه الله، وانتقاماً من الجمعية باستيلائها عنوة على البناء الذي كانوا يشغلونه. وحقداً على الإسلام، فاحترق أثاثه وخزانة كتبه وسجلاته.. فأعادت الجمعية بناءه على طراز حديث، واتخذته مقراً لها عام ١٩٤٦م، فكان المعهد في القسمين الشمالي والشرقي، بينما خصص الطابق العلوي للطلاب يبيتون فيه ويأكلون.. وكانت مطالعاتهم بالتكية السليمانية.

هذا وقد تعرض المعهد عدة مرات إلى الإغلاق؛ فكانت السلطات الفرنسية غير راضية عنه البتة، لكن الجمعية كانت تعود فتستأنف التدريس فيه.

وحين تولى عبد الحميد السراج[١] وزارة الداخلية ووزارة الأوقاف في الإقليم الشمالي زمن الوحدة السورية المصرية (١٩٥٨-١٩٦١م) طلب من رئيس الجمعية الشيخ أحمد الدقر أن يسلّم إليه مقر المعهد ويلحقه بوزارة الأوقاف، وعرض عليه أن يكون مديراً عاماً

---

(١)عبد الحميد السراج وزير الداخلية، ورأس المخابرات في الإقليم السوري لعهد الرئيس جمال عبد الناصر أيام الوحدة السورية المصرية. تسلط على الشعب، وأخذ الناس بأقل الهفوات، مما أثار الرعب والخوف في صفوف السوريين الذين اعتادوا على الحرية الواسعة، حتى أيام الاحتلال الفرنسي، فلما قضي على الوحدة فرّ إلى مصر.

للمدارس الشرعية بدمشق، فرفض الشيخ العرض، لأنه ما كان يحب العمل في ظل الدولة الرسمي؛ وأدرك أن السراج يريد أن يفرغ المعهد من محتواه، ويبقي على شكله.. وحصل بينهما مشادة عنيفة، كان من نتيجتها أن أوعز الوزير في ٢٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٩م إلى شرطته بالاستيلاء على مدرسة تنكز عنوة.

وسريعاً ما ألقى المعنيون أثاث المعهد ومحتويات الإدارة في الباحة، وطلبوا من الشيخ وأعضاء الجمعية أن يحملوا متاعهم، ويخرجوا من المدرسة التي نُقلت إليها الكلية الشرعية من مقرها في زقاق النقيب بمنطقة العمارة والتي كانت تشرف عليها دائرة الأوقاف، وسميت الثانوية الشرعية (الرسمية).

ثم ما لبث قرار الدولة أن صدر بنقل هذه الثانوية الشرعية الرسمية إلى معهد التوجيه الإسلامي بعد أن صودر من الشيخ حسن حبنكة.. وتحولت مدرسة تنكز إلى ثانوية شرعية (رسمية) للبنات، افتتحت عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، وألحقت بوزارة الأوقاف.

خطوة جديدة

إذن فلقد أصاب الجمعية هزّة عنيفة بعد إغلاق المعهد، فهدم بذلك العمود الأساسي فيها، وأصيبت في صميم أهدافها وهو التعليم الشرعي، ولم يبق لها غير مدارسها الابتدائية التي أخذت في التراجع أيضاً.

ومرض رئيس الجمعية الشيخ أحمد الدقر، وتقدم كثير من أعضائها المؤسسين في السن وكذلك أعضاء مجلس الإدارة.. وأخذ الموت يأتي على بعضهم، فكان لابد من تزويد الجمعية بالدم الجديد.. فدخلها

أعضاء جدد، من الشباب الذين تخرجوا في معهد الجمعية كالأساتذة فاروق ومصطفى وعبد الرحيم الطباع، وصفوح الإمام، ونزار الدقر، ومحمد مفيد ومنذر ابنا الشيخ أحمد الدقر، ومحمد الزعبي وغيرهم..

وفي عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م انتخب أول مجلس جديد لإدارة الجمعية التي نزلت في بناء الجمعية بشارع المأمون (الحريقة) وعلى النحو الآتي:

محمد مفيد الدقر	رئيساً
د. فتحي النحلاوي	نائباً للرئيس
مصطفى الطباع	أميناً للسر
صفوح الإمام	خازناً
فاروق الطباع	عضواً
محمد الزعبي	عضواً
عبد السلام الخطيب	عضواً

وفي مطلع السبعينات ثار هجوم رسمي على المعاهد الشرعية، وتنازع الإشراف عليها وزارات الشؤون الاجتماعية والتربية والأوقاف... فتولى الدفاع عنها في القضاء حول شرعيتها كل من المحامين الدكتور مصطفى البارودي والدكتور فؤاد دهمان، واستطاع الأستاذ مصطفى الطباع عضو مجلس المحافظة وعضو المكتب التنفيذي استصدار قرار من مجلس محافظة دمشق، وبعدالطلب إلى الوزارات المشار إليها تحديد مسؤوليتها على تلك المعاهد، فتنصلت جميعها، فرأى أن من اختصاص مجلس المحافظة إصدار قرار رسمي باعتبار المعاهد الشرعية القائمة مرخصة حكماً أنهى به الدعاوى المرفوعة وحسم الأمر.

وفي خضم هذه الأحداث رأى مجلس إدارة الجمعية أن يعيد افتتاح «معهد العلوم الشرعية للجمعية الغراء» الذي شمله القرار، مع أنه كان مرخصاً بمرسوم جمهوري... ولم تكن قرارات إلغائه التي صدرت في عهد السراج قانونية، واختار المجلس الأستاذ علي أبو بكر أحد خريجي المعهد مديراً له[١]. وهكذا عادت الحياة إلى المعهد بدءاً بالصف الأول متدرجاً حتى الصف الأخير. وكان مقره في المدرسة السميساطية.

وفي منتصف الثمانينات استعادت الجمعية إشراف وزارة التربية على امتحان الشهادتين الإعدادية والثانوية الشرعيتين، وصار طلابها يتقدمون باسم المعهد في الامتحانات الرسمية، ويحصلون على شهاداتهم من الوزارة المذكورة، بالإضافة إلى شهادة المعهد.

أساتذة المعهد

أوردهم كما جاءت أسماؤهم في سجل الجمعية بالجلسة رقم ٦٧ المؤرخة في تشرين الثاني من عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. وهؤلاء في الغالب من طلاب الشيخ علي الدقر وبه تخرجوا.

أحمد الدقر	مدير المعهد ومدرس
عبد الغني الدقر	مدرس الأدب واللغة العربية
عبد الكريم الرفاعي	مدرس الفقه وأصوله والعقيدة

(١)علي أبو بكر: وبقي على إدارة المعهد حتى عام ١٩٨٩م وهو من بلدة عين الفيجة، وقد تخرج أيضاً بقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة دمشق وعمل بالتدريس، أشرف في بلدته على بناء جامع أبي بكر الصديق، وأم فيه وخطب، كان يأسف لما ينزل بالمسلمين من مصائب، توفي فجأة عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م (علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري).

عبد الرحمن الطيبي	مدرس التفسير والحديث، والمصطلح
عبد الوهاب دبس وزيت	مدرس القرآن والفقه الحنفي
أحمد المقداد البصروي	مدرس الفقه الشافعي
خالد الجباوي	مدرس النحو والبلاغة
نايف العباس	مدرس الفرائض، والعروض، والتاريخ، والأخلاق
أحمد الدرع	مدرس القراءة والإملاء
د. فتحي النحلاوي	مدرس العلوم
منير الفقير	مدرس الرياضيات (كاتب)
محمد علي الأحمد	مدرس الإملاء (وموجه نهاري)
محمد السيد الدرخبان	مدرس قرآن (موجه ليلي)
عبد الله الراشدي	(وموجه ليلي)
محمد الخطيب (أبو كامل)	(موجه عام)
توفيق سعيد	
زكي قطنا	(مأمور المستودع)
محمد بصر الحرير	(معاون مأمور المستودع)
أحمد القادري	(طاهٍ)
أحمد فتيان	(معاون الطاهي)
رقية قربي	(مرتبة سُرر)
خمسة مستخدمين	

مناهج المعهد

كانت مناهج المعهد وخصوصاً في بداياته هي الكتب التي كان الشيخ قد اعتمدها من قبل في حلقاته.. ثم دخلها شيء من الزيادة وهذه هي أهم المواد العلمية التي درّست فيه والكتب المعتمدة خلال السنوات الست:

التفسير

تفاسير النسفي وابن كثير والخازن

الحديث والمصطلح

الأربعون حديثاً النووية

أحاديث مختارة من كتب الصحاح

مختصر البخاري للزبيدي

الترغيب والترهيب (مرجع)

البيقونية وشرحها

مقدمة ابن الصلاح (مرجع)

السيرة النبوية

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري

التاريخ

تاريخ الأنبياء

تاريخ الدول الإسلامية للخضري

التاريخ القديم

التاريخ الحديث (مقرر وزارة التربية)

العقيدة

جوهرة التوحيد وشرحها للقّاني

السنوسية (مرجع)

الفقه الشافعي

المقدمة الحضرمية

عمدة السالك وعدّة الناسك

الإقناع على الباجوري (مرجع)

حاشية الباجوري على ابن قاسم (مرجع)

حاشية البجيرمي على الخطيب (مرجع)

المنهاج للنووي

تحفة المحتاج في شرح المنهاج للإمام النووي (٤ سنوات) لابن حجر الهيتمي (مرجع)

الشرقاوي على التحرير (مرجع)

أصول الفقه

أصول الفقه لشاكر الحنبلي

أمليات من الأساتذة

الفرائض

الرحبيّة وشرحها لسبط ابن الماريني

متن السراجية وشرحها

علوم العربية

الآجرومية لابن آجروم قدي (مرجع)م

جامع الدروس العربية للغلاييني

قطر الندى لابن هشام

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤ سنوات)

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (مرجع)

شذا العرف في فن الصرف للحملاوي (مرجع)

أمليات في الصرف للشيخ أحمد المقداد البصروي

التلخيص في البلاغة للقزويني (مرجع)

البلاغة الواضحة

الفلسفة والمنطق وعلم النفس

أمليات الشيخ نايف العباس

أمليات الدكتور محمد خير العرقسوسي

العلوم الطبيعية

الكتب المقررة في وزارة التربية

الأدب والاستظهار

مختارات من ديوان الحماسة

مختارات من الشعر المعاصر اختيار الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر

الإنشاء

كتب مقررة من وزارة التربية

(يعطى بمعرفة المدرس)

الخطابة

(يعطى بمعرفة المدرس)

اللغة الأجنبية

لإنكليزية الكتب المقررة في وزارة التربية

الفرنسية (ألغيت عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م إثر العدوان ثم أعيدت)

التصوف

الأخلاق (بمعرفة المدرس)

مختصر منهاج القاصدين

الحكم العطائية لابن عطاء الله الإسكندري (مرجع)

إحياء علوم الدين للغزالي (مرجع)

الرياضة البدنية

دروس كلّف بها المدرس أحمد البنقسلي منتدباً من وزارة التربية سنة ١٩٤٦م، والأستاذ واصل الحلواني، وأسس المعهد نادياً للطلاب

الفتوة العسكرية

يدأت بعد الجلاء سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م باقتراح من الشيخ أحمد الدقر رئيس الجمعية واشتراك طلاب المعهد عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦م في معسكرات الفتوة في قطنا

المكتبة

وضمّت قاعة الكتب في تنكز مكتبة مصادر ومراجع هامة، يسرت للمطالعين جواً هادئاً، وقد احترقت في العدوان الفرنسي عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، إلا أن السيد محمد الدبس اشترى خزانة كتب الشيخ بكري العطار[١] من ورثته سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م وأهداها

(١) الشيخ بكري العطار علامة الشام لزمنه، وبه تخرج كثير من علماء دمشق، وقرؤوا عليه في حلقاته المتواصلة في الجامع الأموي، وكان عليه تدريس البخاري في التكية، وهو وظيفة هامة يجتمع فيه علماء الشام، توفي بوباء الكوليرا فجأة عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، انظر علماء دمشق وأعيانها في تراجم سنة وفاته.

للجمعية. فأمدت الأساتذة والطلاب بما يتزودون به من كتب لتحضير الدروس أو لمراجعة المسائل الهامة.

طلاب المعهد(١)

كانوا من مناطق مختلفة في سورية إضافة إلى طلاب من خارجها، وهؤلاء على قسمين، خارجيون من سكان دمشق يدرسون فحسب، ويقيم في المعهد غير الدمشقيين، تقدم لهم الجمعية ما يلزمهم من طعام مبيت وكساء.

وكان الليليون يخضعون لنظام في مبيتهم، فيقومون بالدراسة والمطالعة من بعد صلاة العصر حتى المغرب، فإذا صلوها عكفوا على قراءة القرآن حتى العشاء الآخرة فيصلونها، ثم يتناولون طعامهم لينصرفوا إلى مهاجعهم للنوم.

وللإشراف على الطلاب وضبطهم عينت الجمعية مشرفَيْن ليليين يتفقدان أمورهم(٢) في حين كان موجه نهاري مسؤول عن شؤون الطلاب وتفقدهم ومتابعة حضورهم وحل مشكلاتهم(٣).

وفيما يأتي ثبت بأسماء عدد من الخريجين الأوائل الذين حصلوا على شهادة المعهد، حتى إغلاقه في ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٩،

(١)الأسماء المذكورة أدناه هم ممن حصلوا على شهادة المعهد.. وقد تخرج كثيرون لم يطلبوا شهادة.

(٢)وقد بقي مدة في الإشراف الليلي كل من الشيخ محمد السيد الدرخباني، والشيخ عبد الله الراشدي المغربي.

(٣)وتولى ذلك مدة طويلة الشيخ محمد علي الأحمد، وكان يقوم مقام المدير تماماً.. وما يحدث من مشكلات يرفعها للإدارة.

ومنهم من حضر أولاً على الشيخ علي الدقر في الحلقات، ثم رغب بنيل الشهادة، فمنحت له[١].

وهنالك أفراد كثيرون درسوا في حلقات الشيخ أو في المعهد ولم يحصلوا على الشهادة أو لم يطلبوها؛ وتقرر في بادئ الأمر أن يحصل على الشهادة من يستحقها ويطلبها لحاجته لها، ثم قررت لكل المتخرجين.

القائمة رقم (١)

رقم	الاسم	التخرج	الصفة الحالية	الرقم	الاسم	التخرج	الصفة الحالية
١	الشيخ محمد حسين الخطيب	١٩٣٤	إمام وخطيب في الأردن	١١	الشيخ عبد الرحمن نعسان	١٩٤٠	مدرس المرج وخطيب
٢	الشيخ عبد الله الخطيب	١٩٣٤	مفتي قضاء ازرع	١٢	الشيخ محمد إسماعيل الزعبي	١٩٤٠	إمام وخطيب الرمتا
٣	الشيخ بركات الخطيب	١٩٣٤	إمام وخطيب في إربد	١٣	الشيخ حسن عبد العزيز	١٩٤٠	موظف في المحكمة الشرعية بالأردن
٤	الشيخ عبد العزيز جبر أبازيد	١٩٣٤	مدرس محافظة حوران وخطيبها	١٤	الشيخ إبراهيم الخيرات	١٩٤٠	مدرس قضاء ازرع وخطيب
٥	الشيخ يوسف محمد عمر	١٩٣٤	إمام وخطيب شرق الأردن	١٥	الشيخ أحمد صفر	١٩٤٠	مفتي القنيطرة وخطيب
٦	الشيخ عبد السلام الخطيب	١٩٣٤	خطيب المرج السيار	١٦	الشيخ مرشد إبراهيم	١٩٤٠	إمام في دمشق
٧	محمد المصطفى	١٩٣٩	مفتٍ في الأردن - جرش	١٧	الشيخ بركات الضماد	١٩٤٠	مفتي محافظة حوران
٨	الشيخ عبد الكريم الرفاعي	١٩٤٠	مدرس في دمشق وإمام وخطيب	١٨	الشيخ حسين القاضي	١٩٤٠	إمام وخطيب حرستا
٩	الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق	١٩٤٠	مدرس في دمشق وخطيب	١٩	الشيخ أحمد المنصور	١٩٤٠	إمام وخطيب في دمشق
١٠	الشيخ عبد الرحمن الدقر	١٩٤٠	خطيب في دمشق	٢٠	الشيخ حسين سماره	١٩٤٠	إمام وخطيب الكسوة

(١) هذا الثبت من سجلات المعهد، ومن رسالة بعث بها المعهد إلى الأوقاف.

٢١	الشيخ يونس الحاج علي	١٩٤٠	إمام وخطيب خربة الغزالة	٣٨	محمد جمعة إبراهيم	١٩٤١	إمام وخطيب في لبنان
٢٢	الشيخ علي يحيى النويرات	١٩٤٠	إمام وخطيب خربة الغزالة	٣٩	محمد يوسف مهجة	١٩٤١	معلم ابتدائي وإمام بدمشق
٢٣	الشيخ أحمد المحاميد	١٩٤٠	إمام وخطيب في دمشق	٤٠	يحيى الشب	١٩٤١	معلم ابتدائي وخطيب دمشق
٢٤	الشيخ حسن القاضي	١٩٤٠	قاض في جبل العلوين	٤١	رضا ديباجة	١٩٤١	إمام في المهجرة
٢٥	الشيخ عادل داده	١٩٤١	إمام وخطيب في دمشق	٤٢	محمد حمزة	١٩٤١	مدرس ثانوي
٢٦	محمد فريد دحروج	١٩٤١	إمام وخطيب شحيم لبنان	٤٣	عبد الله حمزة	١٩٤١	
٢٧	هاشم السيد	١٩٤١	خطيب ومدرس دوما	٤٤	حسين الطه	١٩٤١	إمام وخطيب المسيفرة
٢٨	سليم الأحمد	١٩٤١	مدرس وموظف في أوقاف درعا	٤٥	محمد مجاريش	١٩٤١	إمام وخطيب محجة
٢٩	محمود طه	١٩٤١	إمام وخطيب عسال الورد	٤٦	محمد سعيد السعيد العزيز	١٩٤١	معلم في الزرقا
٣٠	عبد الله الزعبي	١٩٤١	إمام وخطيب أم المياذن	٤٧	قاسم الرفاعي	١٩٤١	مدرس في بعلبك وخطيب
٣١	موسى محمود الموسى	١٩٤١	إمام وخطيب في الأردن	٤٨	حسن الرفاعي	١٩٤١	مفتي في بعلبك
٣٢	علي بن محمد علي الخطيب	١٩٤١	إمام وخطيب الأردن	٤٩	عبد الكريم الطه	١٩٤١	مدرس في الأردن
٣٣	عبد الفتاح شقير	١٩٤١	إمام وخطيب الحبزة	٥٠	إبراهيم أحمد عبد الله	١٩٤٢	مدرس في البقاع لبنان
٣٤	حسن مصطفى الزعل	١٩٤١	إمام وخطيب محطة ازرع	٥١	حسن عبد الحميد الموسى	١٩٤٢	مدرس في الأردن
٣٥	قاسم قرعاوي	١٩٤١	مدرس في لبنان	٥٢	محمد صلاح العقلة	١٩٤٢	مدرس ابتدائي وإمام بدمشق
٣٦	عبد الحميد أبازيد	١٩٤١	إمام درعا	٥٣	عبد الرحمن المجذوب	١٩٤٢	إمام وخطيب بدمشق
٣٧	عبد الفتاح الموالدي	١٩٤١	إمام وخطيب الحبزة	٥٤	محمد السيد	١٩٤٣	إمام بدمشق

٥٥	عبد الحميد حجازي	١٩٤٣	خطيب بدمشق ومدرس في الجامعة	٧٠	محمد عرار	١٩٤٣	تاجر
٥٦	محمد علي الأحمد	١٩٤٣	مدرس بدمشق وخطيب	٧١	فارس الطير	١٩٤٣	إمام وخطيب في زملكا
٥٧	فائز فلاح	١٩٤٣	معلم في الأردن	٧٢	محمد الخطيب	١٩٤٣	إمام وخطيب في التل
٥٨	صالح منصور	١٩٤٣	معلم وكالة	٧٣	محمد محمود شاكر	١٩٤٣	مدرس في الجامعة
٥٩	محمد شريف معاد	١٩٤٣		٧٤	أحمد الدرع	١٩٤٣	مدرس ثانوي بدمشق
٦٠	محمد شماع	١٩٤٣	قاض بدمشق	٧٥	محمود ميمان	١٩٤٣	إمام وخطيب قاره
٦١	إبراهيم حمزة	١٩٤٣	مدرس في الأزهر	٧٦	إبراهيم الغالب	١٩٤٣	مدرس ابتدائي وخطيب إنخل
٦٢	فوزي نابلسي	١٩٤٣	مدرس في الجامعة	٧٧	مصطفى إبراهيم	١٩٤٥	مدرس ثانوي
٦٣	محمد مسلم الخطيب	١٩٤٣	إمام وخطيب جوبر	٣٧	عبد الفتاح الموالدي	١٩٤١	إمام وخطيب الحبزة
٦٤	صالح بقاعي	١٩٤٣	إمام وخطيب بدمشق	٧٩	علي جنيد	١٩٤٥	معلم ابتدائي
٦٥	سعد الدين الهواري	١٩٤٣	مؤذن بدمشق	٨٠	حسن عبد القادر	١٩٤٥	إمام وخطيب في الأردن
٦٦	سعيد الهجباوي	١٩٤٣		٨١	عبد الكريم الطويل	١٩٤٥	إمام وخطيب حزه
٦٧	محمد الزعبي	١٩٤٣	مفتٍ في الأردن	٨٢	سليم مبارك	١٩٤٥	معلم ابتدائي
٦٨	سليمان العوض	١٩٤٣	إمام وخطيب بدمشق	٨٣	صالح سلامه	١٩٤٥	معلم في الأردن
٦٩	عبد الرحمن بركات	١٩٤٣	إمام وخطيب دمشق				

القائمة رقم (٢)

رقم	الاسم	تاريخ	الصفة الحالية	الرقم	الاسم	التخرج	الصفة الحالية
١	محمد حيدر	١٩٤٦	موظف في ديوان المحاسبات	١٦	محمد طه	١٩٤٨	معلم ابتدائي في المعارف
٢	عمر عودة خطيب	١٩٤٦	مدرس ثانوي في المعارف	١٧	محمد الخطيب	١٩٤٨	مدير ناحية أريحا
٣	محمود عبد الهادي	١٩٤٦	مدرس ثانوي في المعارف	١٨	نذير حمدان	١٩٤٨	مدرس ثانوي في المعارف
٤	أحمد محمود شركس	١٩٤٦	مدرس ثانوي في الأردن	١٩	عبد الله حبوش	١٩٤٨	معلم ابتدائي في المعارف
٥	أحمد الخالد	١٩٤٦	قاض شرعي في الباب	٢٠	مفلح حيدر	١٩٤٨	معلم ابتدائي في المعارف
٦	محمد أديب صالح	١٩٤٦	معيد في الجامعة	٢١	عمر صباغ	١٩٤٨	معلم ابتدائي في المعارف
٧	محمود معلم	١٩٤٧	معلم في المعارف	٢٢	خالد حبشية	١٩٤٩	معلم ابتدائي في المعارف
٨	تيسر إدلبي	١٩٤٧	ضابط في الجيش	٢٣	بدر الدين حيدر	١٩٤٩	ضابط في الجيش
٩	سعيد عبار	١٩٤٧	مدرس ثانوي في المعارف	٢٤	صهيب الصعب	١٩٤٩	معلم ابتدائي في المعارف
١٠	عبد الصمد اليوسف	١٩٤٧	إمام ومدرس بدمشق	٢٥	محمد عدنان سالم	١٩٤٩	مدير مدرسة خاصة
١١	عبد المجيد البردعي	١٩٤٧	مدرس ثانوي في لبنان	٢٦	شريف مهايني	١٩٤٩	معلم ابتدائي وفي الجامعة
١٢	أحمد الحمدات	١٩٤٧	مدرس في الكويت	٢٧	أحمد عبد الهادي	١٩٥٠	مدرس ثانوي في جبلة
١٣	عمر عبار	١٩٤٧	مدرس في الحجاز	٢٨	سالم عبد الله	١٩٥٠	ضابط في الجيش الأردني
١٤	حسن رئيس	١٩٤٨	مدرس ثانوي في المعارف	٢٩	عثمان محمود	١٩٥٠	معلم ابتدائي
١٥	عبد الحميد قادري	١٩٤٨	معلم ابتدائي في المعارف	٣٠	عبد الرؤوف جمعة	١٩٥٠	معلم ابتدائي

٣١	عبد السلام كيلاني	١٩٥٠	معلم ابتدائي وخطيب في الضمير	٤٩	محمد خير طبل	١٩٥٢	ضابط في الجيش
٣٢	سعيد حبائي	١٩٥٠	أمين صندوق أوقاف حلب	٥٠	محمود الأحمد	١٩٥٢	معلم ابتدائي
٣٣	علي خميس	١٩٥٠	معلم ابتدائي	٥١	أحمد أبو سعد	١٩٥٣	ضابط في الجيش
٣٤	أحمد جباوي	١٩٥٠	معلم ابتدائي وفي الجامعة	٥٢	بشير رحال	١٩٥٣	معلم ابتدائي وفي الجامعة
٣٥	طاهر صباغ	١٩٥٠	معلم ابتدائي وفي الجامعة	٥٣	عبد الله معلم	١٩٥٣	مدرس ثانوي
٣٦	عبد الحميد صباغ	١٩٥٠	معلم ابتدائي وخطيب بدمشق	٥٤	علي عز الدين	١٩٥٣	محام
٣٧	عبد العزيز رفاعي	١٩٥٠	مفتي تلكلخ	٥٥	عبد الغني مصري	١٩٥٣	في الجيش
٣٨	عبد القادر محمد	١٩٥١	معلم وفي الجامعة	٥٦	عبد المولى مبروكة	١٩٥٣	معلم ابتدائي
٣٩	حسين المصري	١٩٥١	معلم ابتدائي	٥٧	محمود الترك	١٩٥٣	كاتب في المحكمة الشرعية
٤٠	محمد علي المصري	١٩٥١	موظف في محاسبة الأركان	٥٨	محمد صالح يونس	١٩٥٣	معلم ابتدائي
٤١	علي اليوسف إبراهيم	١٩٥١	مدير ناحية	٥٩	أحمد مرعي	١٩٥٤	موظف في الجمارك
٤٢	أمين مامو	١٩٥١	مدرس ثانوي	٦٠	أحمد إبراهيم	١٩٥٤	ضابط في الجيش
٤٣	توفيق طبل	١٩٥٢	ضابط في الجيش	٦١	أحمد القادري	١٩٥٤	معلم
٤٤	خليل إبراهيم	١٩٥٢	معلم ابتدائي	٦٢	أحمد فرفاش	١٩٥٤	معلم ابتدائي
٤٥	صلاح جنيد	١٩٥٢	في الكلية الحربية	٦٣	أحمد نايف	١٩٥٤	إمام وخطيب
٤٦	عربي قباني	١٩٥٢	خطيب وإمام بدمشق	٦٤	حسن بحر	١٩٥٤	معلم وإمام في تركيا
٤٧	كاظم عبد الحليم	١٩٥٢	مدرس ثانوي	٦٥	صالح الشامي	١٩٥٤	مدرس ثانوي
٤٨	محمد حريري	١٩٥٢	ضابط في الجيش	٦٦	حسين شاهين	١٩٥٤	معلم في البقاع

٦٧	صلاح جنيد	١٩٥٤	في الكلية الحربية	٨٥	عبد الله حسين	١٩٥٥	في الجامعة
٦٨	عبد العزيز حمدان	١٩٥٤	في الجامعة كلية الشريعة	٨٦	يوسف جمعة	١٩٥٥	موظف في الجيش
٦٩	عبد الرحمن كرام	١٩٥٤	في الجامعة كلية الشريعة	٨٧	محمد الأسعد	١٩٥٥	تاجر
٧٠	محمد يحيى أمونة	١٩٥٤	في الجامعة كلية الشريعة	٨٨	عبد الرحمن عرار	١٩٥٥	موظف في الأوقاف
٧١	محمود يوسف	١٩٥٤	في الجامعة كلية الشريعة	٨٩	عمر حسن	١٩٥٥	في الجامعة
٧٢	محمد صبري جبري	١٩٥٤	في الجيش المحاسبة	٩٠	أحمد عرابي	١٩٥٦	في الجامعة
٧٣	محمود حسن إسماعيل	١٩٥٤	في الجيش الطيران	٩١	أحمد فرحات	١٩٥٦	في الجامعة
٧٤	أحمد نادر	١٩٥٥	في الجيش	٩٢	صالح عبد الكريم	١٩٥٦	في الجامعة
٧٥	محمد حسن عبد العال	١٩٥٥	في الجامعة	٩٣	عدنان زرزور	١٩٥٦	في الجامعة
٧٦	رمزي دبس	١٩٥٥	في الجامعة	٩٤	علي الشربجي	١٩٥٦	مدرس وخطيب دمشق
٧٧	محمد الخطيب	١٩٥٥	في الجامعة	٩٥	علي عويضة	١٩٥٦	خطيب وإمام بسيمة
٧٨	ممدوح رجب	١٩٥٥	ضابط في الاحتياط	٩٦	عمر غلاييني	١٩٥٦	في الجامعة
٧٩	مصطفى جنيد	١٩٥٥	في الجامعة	٩٧	عثمان زكي	١٩٥٦	في الجامعة
٨٠	محمد خير عيسى	١٩٥٥	في الجيش	٩٨	فاروق طباع	١٩٥٦	في الجامعة
٨١	ياسين الأحمد	١٩٥٥	في الجامعة	٩٩	منذر دقر	١٩٥٦	في الجامعة
٨٢	محمد الأخضر	١٩٥٥	في الجامعة	١٠٠	محمد عبد الرحيم	١٩٥٦	إمام وخطيب في البقاع
٨٣	أحمد الناطور	١٩٥٥	ضابط في الجيش	١٠١	محمد رياض حناوي	١٩٥٦	في الجامعة
٨٤	أحمد السيد	١٩٥٥	في الجامعة	١٠٢	محمد رضا قهوجي	١٩٥٦	في الجامعة

١٠٣	حسن فلاي	١٩٥٦	في الجامعة بالعراق	١١٩	محمد نور طاهر	١٩٥٧	إمام وخطيب في محافظة حمص
١٠٤	عبد الله محمود الطنطاوي	١٩٥٦	ضابط في الجيش	١٢٠	محمد كريم راجح	١٩٥٧	مدرس في بصرى وإمام وخطيب بدمشق
١٠٥	خليل جباوي	١٩٥٧	في الجيش	١٢١	محمد عوض	١٩٥٧	إمام وخطيب بدمشق ومدرس في الجامعة
١٠٦	درويش سرور	١٩٥٧	في الجامعة مدرس	١٢٢	زهيرنوفلية	١٩٥٨	إمام وخطيب بدمشق ومدرس في الجامعة
١٠٧	زكي الحجيري	١٩٥٧	معلم في البقاع	١٢٣	شوكت جبالي	١٩٥٨	خطيب بدمشق وفي الجامعة
١٠٨	عبد الوهاب خطاب	١٩٥٧	في الجامعة	١٢٤	عبد الرحمن أبو ذر	١٩٥٨	إمام بدمشق وتعاقد مع الكويت
١٠٩	علي السمره	١٩٥٧		١٢٥	بشير السيد	١٩٥٨	في الجامعة
١١٠	عدنان صلاحي	١٩٥٧	في الجامعة	١٢٦	حسن العمر	١٩٥٨	إمام وخطيب بقضاء حمص
١١١	فوزي عبد الحق	١٩٥٧	في الجامعة	١٢٧	محمد عطا الجيرودي	١٩٥٩	
١١٢	محمد أديب موصللي	١٩٥٧	في الجامعة وإمام وخطيب بدمشق	١٢٨	عبد الغني طبري	١٩٥٩	
١١٣	محمود حمدن	١٩٥٧	في الجامعة	١٢٩	محمد علي دوله	١٩٥٩	
١١٤	محمد أبو الفرح صلاحي	١٩٥٧	في الجامعة	١٣٠	محيي الدين مستو	١٩٥٩	
١١٥	مصطفى الخطيب	١٩٥٧	في الجامعة	١٣١	ممدوح حسن	١٩٥٩	
١١٦	محمد جميل الكسر	١٩٥٧	في الجامعة	١٣٢	زيدان الرقي	١٩٥٩	
١١٧	محمود الميره	١٩٥٧	في الجامعة	١٣٣	عبد اللطيف عقلة	١٩٥٩	
١١٨	ياسين سليم	تجار	١٩٥٧				

وبعد، فقد كان المعهد نموذجاً طيباً للتعليم الشرعي، حمل أمانة العلم على مدى سنوات متراخية، وهو تطوّر لحلقات الشيخ علي الدقر، وتنظيمٍ لها التنظيم المنهاجي الذي ارتضته الدولة، فاعترفت بالشهادة التي يمنحها لطلابه عند تخرجهم، تخولهم دخول كلية الشريعة التي أنشئت في جامعة دمشق عام ١٩٥٤م، ولكن بعد مقابلة شفوية وامتحان تحريري في الثقافة العامة.

الحالة الراهنة

في عام ١٩٩٥ حصلت الجمعية على الطابق الأرضي في جامع الشيخ علي الدقر بحي كفر سوسة، وجهزته، ونقلت إليه فرع الإناث من معهد العلوم الشرعية الذي افتتح في العام الدراسي ١٩٩٢/ ١٩٩٣ بدءاً بالصف الأول في المدرسة الإخنائية شمال الجامع الأموي، ثم انتقل فرع الإناث إلى الطابق الأرضي في جامع التقوى بضاحية دمر[1]. وانتقل الطلاب الذكور إلى الطابق الأرضي في جامع الشيخ علي الدقر عام ١٩٩٩، وإليه انتقل مقر الجمعية.

خلاصة ونتائج

وبعد

فمما سبق نستطيع أن نعدّ نهضة الشيخ علي الدقر محطة مهمة من المحطات الثقافية في جنوب سورية، بدأت من مطلع القرن العشرين. واستمرت على يد طلابه الخلّص وأبنائه.. وما تزال آثارها باقية حتى اليوم.

بدأت النهضة بحلقات علمية تقليدية، عقدها الشيخ في جامع

(١)في إحصائية عام ٢٠٠٧ بلغ عدد الطالبات ٧٠٠ طالبة.

السادات، وكانت أشبه بحلقات الجامع الأزهر، وكسائر حلقات أهل العلم في دمشق، عُنيت مع العلم بالجانب الروحي المثالي، الذي يربي الطالب على محبة الله والإيمان برسالة العلم، والاهتمام بالعربية، فيندفع نحوها بكل ما يملك من طاقة، ويعرف أن عليه مسؤولية، فيخلص لها، ويبلغها للناس، لا يريد عليها منهم جزاء ولا شكوراً، اعتماداً على ما عند الله من آجل ثوابه.. ويضحي لذلك من أجلها براحته، ويزهد في سبيلها بالدنيا، اقتداء بما فعله صاحب النهضة.

ولم يكتف الشيخ علي بمن يأتيه من طلاب العلم، وإنما وجّه دعوته نحو القرى من حوران، فأرسل كبار تلامذته إليها، يدعون إلى الله، ويعلمون الجاهلين، ويعظون الناس، وخصوصاً في رمضان، فتبعهم خلق من الأرياف، ورحل منها إلى دمشق يانعون وشباب حتى صارت مهوى أفئدة الحورانيين وأهل البلقاء وقرى أخرى عديدة في الغوطة الشرقية والغربية والبقاع، فتفقهوا بالشيخ وطلابه سنوات، ورجعوا إلى بلداتهم علماء يعلمون ويرشدون.

واهتم الشيخ بأمر الطلاب لما كثروا، وكان معظمهم من الفقراء، جمعوا إلى الفقر غربة عن الأهل، فهيأ لهم سكناً بالمجان، ثم أنشأ لهم الجمعية الغراء لتقوم بشؤونهم اليومية، وتُفرِّغهم لطلب العلم.. ودعمها التجار[1]، فنجحت بهم، وبإخلاص القائمين عليها.

ويمكن أن نحكم على نجاح النهضة بثمارها، فقد استطاع الشيخ خلال مدة وجيزة أن يخرّج علماء كان لهم شأنهم في البلد، ويحسب لهم حسابهم.. وصاروا المرجع في العلم والفتيا، وعليهم قام جانب كبير من الدعوة.

(١)وقد رأينا ما بذله آل الطباع خصوصاً وبقية التجار عموماً.

٦- جعل المسجد هو الركيزة الأولى.

٧- الأخذ بالكتاب والسنة.

٨- تعليم الطلاب الملتحقون بالجمعية تعليماً مجانياً، مع توفير حاجاتهم اليومية.

٩- كانت دعوة الشيخ حركة إصلاحية لم يسبق مثلها في دمشق بهذه الكيفية ظهر أثرها في العاصمة وما حولها وفي حوران الشمالية والجنوبية، وغيرت فيها عادات اجتماعية كثيرة، وخصوصاً ما يتعلق بالمرأة وحقوقها.

١٠- استهدفت النهضة تثقيف الناس عامة ونشر شريعة الإسلام وكان الشيخ يريد أن يفهم من حوله أن العلم واجب على كل مسلم.

١١- وقفت النهضة ضد ما ينافي الآداب العامة وأخلاق الدين أيام الاستعمار، وقامت مظاهرات من طلاب الشيخ في سبيل ذلك، وقد خرج في إحدى المرات أربع مئة عمامة، وسقط منهم بعض القتلى، واعتقل آخرون، فبات من آثار النهضة تحدي الاستعمار.

١٢- تميزت النهضة بالوعي والنشاط؛ إذ كان الطلاب الشباب يملكون روحاً قوية ينفخ فيها الشيخ من ضرامه نحو الحق والخير.

١٣- التزم طلاب الشيخ الذين أحبوه وأخلصوا له بالاستقامة والعلم الدائب والسعي لنشر العلم، فقامت لذلك نهضات على أثر تلك النهضة الأولى شيخة النهضات.

١٤- قدمت النهضة برنامجاً علمياً متكاملاً لطالب العلم الشرعي، يستطيع أن يتخرج به عالماً.

١٥- جسدت النهضة مفهوم الأخلاق، ونزلت بتطبيقها إلى

كما أن نهضة الشيخ رسّخت الفقه الشافعي وأحيته ونشرته مذهباً لأغلب الدمشقيين اليوم، فضلاً عن الحوارنيين وقرى الغوطتين.

وبهذا نقل الشيخ علوم الشريعة والعربية والتصوف من حيزه الضيق الذي اقتصر على فئة معينة من المجتمع إلى آفاق أرحب تعتمد الأرضية الشعبية.. مما أدى إلى تبسيط العلم وتحبيبه للناس.

ويمكن أن نسجل هنا أن الشيخ علي الدقر أول من سبق في دمشق إلى تنظيم التعليم في المساجد، وجعله في حلقات يرتقي فيها الطالب من الأدنى إلى الأعلى، وأول من استقدم الشباب من الآفاق وحثهم على طلب العلم وقدم لهم أسباب الإقامة للمتابعة كما مر معنا. ووقف حياته من أجلهم.

هذا ويمكن أن نسجل على نهضة الشيخ علي الدقر الإيجابيات الآتية التي اتصفت بها، بدءاً به وبكبار طلابه الذين حملوا عنه همّ الدعوة ونشر العلم.

١- تخريج عدد كبير من العلماء الذين آلت إليهم الزعامة الدينية والإرشاد والفتوى الموثوقة في حوران وغيرها من المناطق البعيدة فضلاً عن دمشق، فوفرت بذلك المرجعية الدينية.

٢- الاعتماد على التجار المخلصين الذين أمدوها بالدعم اللازم.

٣- نشر المذهب الشافعي وتمكينه على المستوى الشعبي، في حين كانت الدولة تأخذ بالمذهب الحنفي الذي هو مذهبها الرسمي في المحاكم.

٤- الاهتمام بتعليم المرأة وافتتاح المدارس للبنات.

٥- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومخاطبة القلوب وعدم إثارة الشحناء والبغضاء.

مستوى الحياة اليومية، وأكدت على طهارة القلب وصفاء النفس ونقاء العقيدة والسلوك الحسن والتقوى.

١٦- الاهتمام بعلوم العربية الاهتمام البالغ إلى جانب العلوم الشرعية.

١٧- البعد عن الخرافات والأوهام.

١٨- الإخلاص لله وطلب رضاه بعيداً عن الدنيا وخصوصاً عفة النفس والتقوى.

١٩- مزج العلم بالأخلاق والذكر والخشوع لله.

٢٠- لم يدَّعِ الشيخ ولا طلابه لأنفسهم مرتبة فوق الناس، وإنما عاشوا مع العامة والطلاب يعلمونهم ويرشدونهم. فاستطاع معهم أن يؤثر في نفوس المواطنين بإيمانهم بالله، ولذا اجتمع الناس حول دعوته.

٢١- وأخيراً ولعله المهم في نهضة الشيخ علي الدقر أنها تعدّ حركة في التجديد الديني، وإعطاء الدين في ذلك الوقت زخماً إيمانياً يقوم على العلم والعمل.. أعطى العاملين فيه دفعاً، ورؤية متجددة.

* * *

أما الخصوم الذين كانوا ينالون من النهضة فسجلوا عليها الملاحظات الآتية من وجهة نظرهم:

١- انفصلت النهضة عن مشايخ دمشق، وخصوصاً الشيخ هاشم الخطيب وعن رابطة العلماء بزعامة المجاهد الشيخ محمد كامل القصاب، ولم تنسق مع غير شيخها، وكان ذلك شقاً للصف العام.

٢- تمسكت بالمظهر الشكلي المتميز بالعمائم واللحى، وبالملاءات البيض للنساء[١].

٣- دعت الناس إلى إخراج أبنائهم من مدارس الدولة.. ولم تُوجِد لهم البديل الذي يسعهم.

٤- عزفت عن كتب العلوم غير الشرعية، وكتب العلوم العامة (إلا بأخرة)[٢].

٥- تمسكت في الكتب التي قررتها بحرفية النصّ والعبارة، ولم يخرج مدرسوها عنها، وبالرغم من الأسلوب الركيك في بعضها، ولم يجرب كبار علمائها تأليف الكتب المناسبة إلا قليلاً.

٦- عرّضت دمشق إلى فتنة التجانية التي كاد يتمخض عنها شر لولا لطف الله.

❋ ❋ ❋

---

(١)كانت عمائم الطلاب أول أمر صفراً (لفة لام ألف). ثم أمرهم الشيخ بلبس العمائم البيض لمظهرها المتميز.. وبقي هو على العمامة الصفراء. فلما كان زمن الشيشكلي (حكم سورية ١٩٥٣-١٩٥٤) منع لبس العمائم البيض إلا بترخيص من الحكومة لمن يستحق أن يكون عالماً وبعد امتحان، فكره كثير من العلماء الخضوع لأمر الدولة، فعاد بعضهم إلى العمائم الصفر.. ونزع فريق منهم العمامة كلها، ومنهم الشيخ علي الطنطاوي والشيخ مصطفى أحمد الزرقا والشيخ مصطفى السباعي والطبقة التي درست في الجامعات.

(٢)قيل إن الشيخ علي الدقر كان يكره لابنه الشيخ عبد الغني قراءة كتب مثل كتاب (الكامل في اللغة) للمبرد ومثل كتب مصطفى لطفي المنفلوطي المشهورة آنذاك كـ(العبرات والنظرات)، كما قيل إنه كان يشارك الشيخ عبد الكريم الرفاعي في قراءة كتب مثل (المحلّى) و(الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم الظاهري، وكل ذلك لا يرضاه الشيخ.

وعلى أي حال فقد أحدثت نهضة الشيخ علي الدقر وضعاً في دمشق جديداً فريداً لا يشبه ما صنعه العلماء من قبل، وفرضت حالة واقعة. ومهما قيل فيها من سلبيات أو ملاحظات فإنها كانت تجربة ناجحة جداً لجمع الشباب واستثمار أوقاتهم في تغيير واقع من الجهل، وإعمار الأوقات بالعلم وتخريج العلماء والدعاة، لم يستطع آخرون آنذاك أن يفعل مثل الشيخ.

ملاحق

١- فتاوى الشيخ بدر الدين في الشيخ علي الدقر.

٢- عريضة طلاب التجهيز الأولى إلى الشيخ علي عن أفكار مستجدة.

٣- رسالة الشيخ أحمد الدقر مدير الجمعية الغراء حول إغلاق المعهد.

٤- شكوى الجمعية أمر المعهد إلى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة.

٥- صورة قرار المحكمة بالحكم للجمعية الغراء ضد وزارة الأوقاف في إغلاق معهد العلوم الشرعية التابع لها.

٦- نموذج شهادة معهد العلوم الشرعية.

(١) نصوص فتاوى سماحة مولانا المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني في الشيخ علي الدقر والطريقة التجانية

أشاع الحساد وأصحاب الأغراض - أصلحهم الله وغفر ذنوبهم - المندفعون بإشارة جهة لم ترض عن أعمالها الأمة من قبل، ولن ترضى عنها أبداً عن لسان سماحة مولانا المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني أنه أنكر على الأستاذ الشيخ علي الدقر انتسابه إلى الطريقة التجانية، وبلغنا أخيراً أن أحدهم زور كتاباً عن لسان سيدنا المحدث الأكبر في ذلك وأرسله إلى شنقيطي في عمّان موقعاً باسم وكيل المحدث الأكبر.

وقد نسي أن سماحته - حفظه الله - لما بلغته الحركات في بادئ الأمر، كتب إلى أمير عمان وقاضي قضاتها يوصيهما بأحد تلاميذ الأستاذ علي أفندي الدقر هناك، وجواب مكاتيب المحدث الأكبر منهم محفوظ لدينا، ثم بعد هذه الإشاعة راحوا يحركون عاصفة ضد الأستاذ الدقر، فأثاروا الفتنة في دمشق ثمانية أشهر، كاد يحصل من جرائها معارك، ومهالك.

الفتوى الأولى

ولما اشتدت هذه الإشاعات انتدب أناس من أهل الغيرة فشكلوا وفداً مؤلفاً منه ثلاثين شخصاً نشرت أسماءهم جريدة القبس في ٢٨ آب عدد (٤٩)، وذهبوا لمقابلة مولانا سماحة المحدث الأكبر للاستفتاء عن هذه الإشاعة وعن الشيخ علي الدقر، وعن الخلاف الواقع بسبب الطريقة التجانية، فأجابهم بقوله: «**هل ألف الشيخ أحمد التجاني والشيخ علي الدقر كتاباً من الكتب؟ وهل سمعتم من الشيخ علي شيئاً**

يخالف الدين؟» فقالوا: «لا». فقال لهم: «أما الشيخ علي الدقر وتلاميذه فلو أنصف المسلمون لما تركوهم يمشون على الأرض، ولجعلوهم على رؤوسهم، ولأنفقوا عليهم قبل أن ينفقوا على عيالهم».

فتبين للرأي العام حقيقة الشيخ علي أفندي الدقر المشرِّفة بثناء علاَّمة الدنيا عليه. فلم يسرَّ ذلك أولئك الحسدة المدفوعين والعاملين على ضرب هذا المشروع الإسلامي العظيم الذي قام به فضيلة الأستاذ الدقر، فأحيا به شعائر الدين ونشر العلم، وقطع به أدعية المبشرين، فقاموا يكذِّبون خبر الوفد ويضللون الأفكار.

الفتوى الثانية

على أثر تكذيب هؤلاء الحسدة خبر الوفد الأول وإشاعته بين الناس تألف وفد كبير من وجهاء حي الميدان المذكورة أسماؤهم أدناه، يزيدون على أربعين شخصاً، فذهبوا لمقابلة سماحة مولانا المحدث الأكبر يستفتونه عن حقيقة رأيه في الشيخ علي، وعن الخلاف القائم بين العلماء في ذلك، وأي الفريقين أحق به؟ فأجابهم بقوله: «من أراد أن يأخذ دين الإسلام فليأخذه عن الشيخ علي الدقر، ومن له شك في ذلك فليراجعني».

هل بعد تصريح وشهادة علامة الدنيا أمام الجماهير مجال لمكذب ومقال لطاعن؟

الفتوى الثالثة

اتفق أن حضر عند سماحة مولانا المحدث الأكبر كل من الشيخ علي ظبيان والشيخ عبد القادر العاني يحملان نشرة مضمونها التبرئة من الطريقة التجانية، ويطلبان من سماحته أن يأمر الشيخ علي الدقر بتوقيعها، واتفق أنه حضر على أثرهما الأستاذ الشيخ علي أفندي الدقر

عند سماحته، فطلب منه أن يتبرأ من الطريقة بحضرة مولانا الشيخ الكبير وأن يوقع لهم النشرة بالبراءة، فأجابهم سماحة المحدث الأكبر بقوله: «**أما الطريقة وأورادها فليس لكم دخل ولا اعتراض عليها، وأما الكتب المنسوبة إلى الطريقة فأثبتوا أولاً الخطأ فيها، ثم أثبتوا النسبة إلى مؤلفها إثباتاً شرعياً، ثم أوجدوا المنفذ لأحكام الشريعة، ثم ارجعوا إلى المؤلف واسألوه عمّا أراد من هذه الأقوال**».

والتفت إلى الشيخ علي ظبيان وقال: «**لو اتفق أن كتبت شهادة بخطك ثم مضى عليها مدة نسيت فيها الشهادة، ورأيت خطك فيها، فهل يجوز لك أن تشهد، على خطك، وأنت ناسي الشهادة؟**». فأجابه: لا يجوز أن أشهد، ولكنا نريد أن نطفئ الفتنة ببراءة الشيخ علي من الطريقة. فقال له الشيخ حفظه الله: «إن الشيخ علياً غير مسؤول عن ذلك». فقال الشيخ علي الدقر: «**اللهم فاشهد، والملائكة تشهد بأن الشيخ لم يرضَ لي بالتبرئة من الطريقة، ولو كلفني الشيخ بتركها لتركتها. وكيف يأمر الشيخ بترك الطريقة وهي ذكر لا إله إلاّ الله، والاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ، وشرطها المهم فيها العمل بالشريعة علماً وعملاً واعتقاداً**».

أسماء الوفد من وجهاء حي الميدان

بدري مهايني	ممدوح مهايني	رشيد القدة	أديب قويدر	محمود شرقطلي
محمد رشيد شرقطلي	محمد شفيق عرار	يوسف القدة	الحاج أمين العسّه	بدوي الكوركلي
الحاج صادق	محمد آغا السودة	كامل المفلح	محمد	حكمت زمريق
عبد الله أبو شعر	أمين عرار	محمود شقير	محمد علي زلفت	قويدر سكرية
نعيم حتاحت	عمر سعد الله	مصطفى شقير	محمد خير الدواليبي	محمد الشليان
أحمد الحوري	حسن رحمون	محمد رحمون	رسلان القاوي	محمد القباني
عبده موسى	الشيخ عبد الله جميل	صلاح	الشيخ خير الفرا	فهمي شبيب المؤذن
الشيخ محمد العطار	الشيخ محمد العلاوي	محمد خير الدبس	حسن قويدر	

(٢) صورة العريضة التي قدمها طلاب التجهيز الأولى إلى الشيخ علي الدقر



لسماحة العالم العلامة ملاذ المسلمين الأستاذ الكبير الشيخ علي الدقر :

باسم طلاب المدرسة التجهيزية بدمشق الذين سمعوا خطاب الأستاذ ظليم الموصلي في الحفلة التي أقامتها المدرسة في ذكرى الهجرة نحتج على ما جاء في هذا الخطاب من هجوم على مبادئ الإسلام وإنكار صريح للوحي وادعاء بأن الإسلام خرج من رأس محمد وقلبه وأنه لم ينشأ إلا في صدور العرب وعقولهم وأن الذين يدعون بأن الإسلام جاء وحرباً على الجاهلية إنما هم جهلة مشعوذون ونحتج بشكل خاص على ما جاء في هذا الخطاب من إهانة للقائمين بالدعوة الدينية وتسميتهم بالمشعوذين والبسطاء والسذج واتهامهم بالعمل لحساب الأجنبي ونرجو رفع احتجاجنا إلى المراجع العليا ووضع حد لمدرسي التاريخ الذين يبثون في نفوس الطلاب مبادئ تنافي دين الأمة وعقائدها ونظمها الاجتماعية وتفضلوا بقبول احترامنا الفائق

١٩٤٠/٢/١٩

(٣)رسالة الشيخ أحمد الدقر من دمشق إلى الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق في مصر يلخص فيها كيفية إغلاق المعهد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
حضرة الأخ الشيخ عبد الرؤوف المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد:

فقد كنا بعد سفرك نرتقب أن يعود [الوزير عبد الحميد] السراج بغير العقلية التي سافر بها، نظراً لاعتقادنا بأن سيادة الرئيس فهم حقيقة الموضوع بالبرقية التي أرسلت لسيادته؛ ولعلها لم تصله، حيث عاد الوزير مساء الأربعاء، ولم يحرك ساكناً. حتى إذا جاء صباح يوم السبت حضر طلاب المعهد من كل الأقطار وبدأت الدراسة، وباشر المطعم بتهيئة الطعام للطلاب كالمعتاد، وإذا بعشرين من الشرطة وعشرة من موظفي الأوقاف وعدد كبير من العمال يدخلون بعد الدوام الرسمي إلى المعهد، وكأنهم يفتحون حيفا أو تل أبيب، فيبدؤون بنقل أدوات المطبخ والمطعم، ثم يصعدون إلى مهاجع النوم، فيكسرون الغالات، ويقذفون جميع ما فيها من سرر وفرش ولحف وحرامات وغيرها من الأمتعة من النوافذ العلوية، ثم ينقلونها إلى صالة المحاضرات التي تكدست فيها قبلاً جميع أثاث وأدوات الثانوية. ولم يتركوا في المعهد سوى مقاعد الدراسة وغرفها الست. وقالوا: بإمكانكم أن تداوموا على دراستكم بهذه الغرف التي لم نؤمر بإخلائها.

ثم في اليوم الذي يليه نقلوا مدرسة الأوقاف الشرعية بما فيها من مقاعد وسرر وفرش وأدوات للمطبخ والمطعم، وبقي طلابنا كلاجئي فلسطين لا طعام ولا مأوى، فأمرنا الطلاب أن يأخذوا بعض الفرش بعد أن رموها خارج باب المدرسة، ويجعلوا مكان نومهم هذه الليلة في الجامع، إلا أن الأوقاف أمرت صباح اليوم التالي بإلقاء الفرش والأمتعة من نوافذ الجامع العلوي حتى تكدست في باحة المعهد، ولا تزال على هذه الحالة إلى حين كتابة هذه الرسالة. فما كان منا إلا أن أمرناهم بالرجوع إلى بلادهم بينما تتخلص الأوقاف الإسلامية من العجرفة العسكرية التي يجب أن تستعمل في جهات القتال أمام الأعداء.

وبذلك تم تعطيل معهدين علميين مرخصين تقوم الجمعية على حمل أعبائهما منذ القديم.

وقد كان لكل معهد منهما منحة ومعونة من الأوقاف ووزارة التربية والتعليم وعدد من الأساتذة المنتدبين من وزارة التربية في الإقليم الشمالي ومثلها من الإقليم الجنوبي، بغض النظر عن ماضيهما الطويل الذي لم يستطع أحد من القائمين على شؤون الدولة قديماً أو حديثاً أن يجد ثغرة ينفذ منها إليهما أو إلى الجمعية القائمة عليهما طعناً أو تجريحاً، وكنا نتمنى أن يبني سيادة الوزير هذا التحدي على ذنب أو مخالفة أو سلوك لا يتناسب مع سياسة الدولة أو أي شيء نتعرف عليه لنتوب ونرجع، إلا أنه لم يكن من ذنب لنا إلا أن الجمعية شيدت مدرسة لم تقدر دوائر الأوقاف في الإقليم منذ خلقت أن تبني مثلها أو قريباً منها.

وأرجو أن يعلم المسؤولون في القاهرة أن معهد العلوم الشرعية

للجمعية الغراء كان سبباً لصد عدوان التبشير الاستعماري، بما كان له من متخرجين انتشروا في طول البلاد وعرضها لأداء هذا الواجب المقدس، فإذا كانت معاونة الدولة بما يعود على المجتمع بالخير ذنباً يعاقب عليه فيجب العمل على إصدار قانون يمنع تأسيس الجمعيات الخيرية والثقافية والتعاونية حتى ينصرف كل فرد إلى عمله الخاص غير مكترث بما يحل بغيره، وأرجو أن تعملوا على إرسال رسالة كل يوم عما يجري معكم، لنكون على صلة.

والسلام عليكم. **١٩٥٩/٩/٢١أحمد الدقر**

ملاحظة: نرفق لكم صورة عن استدعاء التظلم المرفوع من قبل الجمعية إلى كل من سيادة وزير الأوقاف ووزير الشؤون الاجتماعية والعمل للاطلاع.

القرار رقم ١٠٢

إن وزير الأوقاف

بناء على قرار رئيس الجمهورية المؤرخ في ٧ نيسان ١٩٥٨ رقم ١٩٢

بناء على قرار رئيس الجمهورية المؤرخ في ٥ نيسان ١٩٥٩ رقم ٥٧٥

بناء على أحكام المرسوم التشريعي المؤرخ في ٣٠ حزيران ١٩٤٧ رقم ٦٧

بناء على أحكام المادة الثانية من القانون المؤرخ في ٣٠ تموز ١٩٥٨ رقم ١٠٦

يقرر ما يلي:

المادة الأولى - يعتبر العقار الموصوف بالمحضر رقم ١/١٠٣٦ منطقة بحصة سنجقدار الجاري بوقف الواقف تنكز وباسم دائرة أوقاف دمشق من العقارات التي تقوم بخدمة، لها صفة النفع العام.

المادة الثانية - يبلغ هذا القرار من يلزم لتنفيذ أحكامه.

دمشق في ٢٧ صفر ١٣٧٩ وفق
١٩٥٩/٩/١

وزير الداخلية والأوقاف

عبد الحميد السراج

(٤) شكوى الجمعية الغراء أمر المعهد إلى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة بدمشق

سيادة نائب رئيس الجمهورية المشير عبد الحكيم عامر المعظم

كانت الجمعية الغراء بدمشق رفعت إلى سيادتكم شكوى سجلت في ديوان الشكاوى العائد لرئاسة الجمهورية تحت رقم ١٤/ ٢/ ٥٩/ ٢٨٦٩ بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٥٩. نرفق لكم صورة عنها، وأن الديوان المذكور لم يتكرم بإعطاء جواب عنها رغم المراجعات المتكررة.

وقد شفعت الجمعية شكواها تلك بدعوي، رفعتها على وزارة الأوقاف - التابعة وقتئذ لسيادة عبد الحميد السراج - في محكمة القضاء الإداري بدمشق، فجاء حكم هذه المحكمة بجانب الجمعية، وقررت إبطال القرارين اللذين استندت إليهما وزارة الأوقاف في أخذ مدرسة تنكز من الجمعية، وإخلائها بالقوة. وإنا لنرفق لسيادتكم صورة عن قراري المحكمة المذكورة ضد قراري الوزارة، بغية الاطلاع على حيثيات الحكم ونصه.

هذا وإن قراري المحكمة قد اكتسبا الدرجة القطعية وتبلغتهما وزارة الأوقاف رسمياً عن طريق المحكمة يوم السبت الواقع في ١/ ٤/ ١٩٦١م، وأن الوزارة لم تنفذ الحكمين حتى الآن، رغم أن سيادتكم قد أصدرتم قراراً طلعت علينا الصحف به منذ أكثر من سنة بعناوين ضخمة، يقضي بأن على كل وزارة أو مؤسسة تنفيذ الحكم الصادر ضدها لأي جهة كانت خلال خمسة عشر يوماً، إذا اكتسب الدرجة القطعية.

فإلى سيادتكم نكرر الشكوى، آملين أن يكون الجواب تنفيذ الحكم المذكور، لتبقى للقضاء حرمته وسلطته العليا التي هي الأمل الوحيد والأخير لكافة الشعب.

وتفضلوا بقبول الشكر والاحترام

رئيس الجمعية

أحمد الدقر

(٥) قرار المحكمة بالحكم للجمعية الغراء ضد وزارة الأوقاف في إغلاق معهد العلوم الشرعية

باسم الأمة

محكمة القضاء الإداري بدمشق

المنعقدة بجلسة علنية يوم الخميس في ٢٣/٦/ ١٩٦٠م بمقرها الرسمي بدمشق بالهيئة المشكلة من:

المستشار الأستاذ نبيه الغزي رئيساً

والمستشارين الأستاذ مصطفى درويش والدكتور عدنان الخطيب عضوين.

وبحضور الأستاذ عبد الإله الخاني مفوض الدولة.

والسيد عبد الهادي عبد الرحيم السعودي كاتب الجلسة.

أصدرت الحكم التالي:

في القضية رقم ١٦٩ لسنة ١٩٥٩ سنة /٢/ قضائية.

المقامة من:

السيد أحمد بن علي الدقر بوصفه رئيساً لمجلس إدارة الجمعية الغراء، مدع يمثله الأستاذان سامي شاتيلا وفؤاد دهمان.

ضد:

وزارة الأوقاف في الإقليم السوري مدعىً عليها.

الوقائع

بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٥٩ أودع المدعي ديوان هذه المحكمة عريضة دعواه المتضمنة طلب إلغاء القرار الصادر عن الجهة المدعى عليها في ١/ ٩/ ١٩٥٩ برقم ١٠٢، القاضي باعتبار العقار رقم ١٠٣٦/ ١ من منطقة بحصة سنجقدار الجاري بوقف تنكز من العقارات التي تقوم بخدمة لها صفة النفع العام مستنداً في طلب الإلغاء إلى أن القرار المطعون فيه مخالف للغاية التي أرادها المشرع من إصدار القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨ الذي صدر هذا القرار تطبيقاً له، والتي أفصح عنها في المذكرة الإيضاحية لهذا القانون. هذا بالإضافة إلى مخالفته للقانون وانطوائه على خطأ في تطبيقه وتأويله؛ لأن العقار الذي تشغله الجمعية وقفٌ قامت ببنائه على حسابها، ولا تشغله بموجب عقد استثماري، بل باعتبارها ممن تنطبق عليهم شروط الواقف، وتقوم بتحقيق الغرض الذي وقف العقار من أجله، وهو التدريس الديني وتخريج المثقفين بالثقافة الدينية الإسلامية. ولا تجني من ورائه ربحاً؛ إذ إن ذلك يتنافى مع غاياتها المحددة في نظامها الداخلي.

وأبلغت الجهة المدعى عليها صورة الدعوة، فطلبت الحكم برفضها، مؤسسةً دفاعها على أن الدعوى لا تستند إلى أسباب جدية. وأن نص المادة الأولى من القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨ جاء مطلقاً غير مقيد بأيّ تحديد لصفة النفع العام. وأن الأسباب الموجبة لهذا القانون والتي تتمسك بها الجمعية المدعية لبيان الغاية منه غير موجودة أصلاً. كما أن عدم وجود عقد بينهما لا يمنع من تطبيق أحكام القانون. وطلب رئيس هيئة مفوضي الدولة بتقريره، المؤرخ في ١٣/ ٣/ ١٩٦٠ الحكم بقبول الدعوى وإلغاء القرار المطعون فيه للأسباب

المبينة في تقريره وتبودلت القضية في الجلسات على الوجه المبين في المحضر، ثم حجزت للحكم في جلسة اليوم.

المحكمة:

بعد الاطلاع على الأوراق وسماع الإيضاحات وبعد المداولة،

من حيث إن الدعوى استوفت أوضاعها الشكلية.

ومن حيث إن المدعي أقام الدعوى بصحيفة مودعة يوم ٣١/ ١٠/ ١٩٥٩ طالباً الحكم بقبولها شكلاً وفي الموضوع بإلغاء قرار وزير الأوقاف التنفيذي رقم ١٠٢ الصادر في ١/٩/١٩٥٩ مع إلزام الجهة الإدارية بالمصروفات ومَقابل أتعاب المحاماة. وقال في شرح الدعوى إن القرار المطعون فيه قضى باعتبار العقار رقم ١٠٣٦/١ من منطقة بحصة سنجقدار الجاري بوقف تنكز من العقارات التي تقوم بخدمة لها صفة النفع العام. استناداً إلى حكم المادة ٢ من القانون رقم ١٠٦ الصادر في ٣٠/٧/١٩٥٨ وفي هذه مخالَفة للقانون؛ ذلك أن العقار ١٠٣٦/١ من أملاك وقف تنكز. وكان من قبل مسجداً ألحقت به عدة حجرات للتدريس ولسكنى الأساتذة والطلاب. ولكن السلطات العسكرية الفرنسية احتلته وحولته إلى مدرسة حربية. إلا أن الجمعية الغرّاء استطاعت أن تنجح في سعيهما إلى إخلاء العقار. وأن ترده إلى الغرض الذي وقف من أجله، فأنشأت به مدرستين دينيتين، واحدة ثانوية والثانية للعلوم الشرعية. ثم حدث في سنة ١٩٤٥ أن أحرق الجيش الفرنسي البناء كله بما فيه. فاضطرت الجمعية أن تقيم بناء جديداً بعد استئذان المديرية العامة للأوقاف، كلفها مئات الألوف من الليرات. وجعلته مدرسة مستوفية للشروط. ولكنه على الرغم من ذلك أصدرت جهة الإدارة القرار - المطعون. واستطرد المدعي يقول: إنه

يستخلص من مراجعة الأسباب الموجبة للقانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨ إنه إنما يتعلق بالمحلات العامة إلى إنشائها الدولة أو البلديات أو المؤسسات لتأمين الراحة والمتعة لمرتادي المناطق التي أنشئت فيها. يضاف إلى ذلك أن الغاية التي قصد إليها القانون إنما هي تصحيح الاتجاه القضائي فيما يتعلق بعقود استثمار المحلات العامة، بحيث لا تخضع لأحكام قانون الإيجار. ومن ثم فإنه يتعين أن يفهم أن حكم المادة /٢/ من القانون رقم ١٠٦ التي نصت على أن القرارات الصادرة بتقرير النفع العام لا تخضع لأي طريق من طرق المراجعة. يتعين أن يفهم أن هذا الحكم لا يكون إلا إذا كانت المحلات العامة معدة لتأمين الراحة والمتعة. فإذا كانت هذه المحلات معدة لغير هذا الغرض. فإن قرار الوزير الصادر بشأنها يخضع لرقابة القضاء الإداري. وخلصت الجمعية المدعية إلى أن القرار المطعون فيه مخالف للقانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨ من حيث أسبابه ومراميه، لأن المكان الذي تشغله بمدارسها ليس مكاناً للمتعة أو الراحة، وأنها لا تشغل العقار بعقد من عقود الإيجار أو الاستثمار، وإنما بوصفها ممن تنطبق عليهم شروط الواقف، وتقوم بالخدمة التي أعد لها العقار بغير أن تستهدف الربح من وراء ذلك.

ومن حيث إن الجهة الإدارية دفعت الدعوى بعدم سماعها عملاً بحكم المادة الثانية من القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨ ومع تمسكها بهذا الدفع ساقت دفاعها الموضوعي، فقالت: إن تسلم الجمعية العقار وتجديده أمر لا شأن له باعتبار هذا العقار من العقارات التي تقوم بخدمة لها صفة النفع العام. وقد جاء النص شاملاً غير مقيد بأيّ تحديد للنفع العام. ومن ثم فإن المدعية تقول شيئاً ليس في القانون. علاوة على ذلك فإن الغرض الذي قصده الواقف هو النفع العام. ولا

يشفع للجمعية المدعية أنها لا ترتبط من الجهة الإدارية بعقد، إذ الواقع أنها تستثمر العقار وطلبت الجهة الإدارية الحكم أصلياً بعدم سماع الدعوى، واحتياطياً الحكم برفض الدعوى موضوعاً، مع إلزام المدعية المصروفات ومقابل أتعاب المحاماة.

ومن حيث إنه عن الدفع المبرز من الجهة الإدارية بعدم سماع الدعوى عملاً بحكم المادة الثانية من القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨، فإنه يتعين بادئ ذي بدء استعراض أحكام هذا القانون، وتحديد نطاقه لتبيان اتصال القرار المطعون فيه بهذه الأحكام وجوداً وعدماً.

ومن حيث إن المادة الأولى من القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨ نصت على أن «تعتبر عقود استثمار العقارات المملوكة للدولة والبلديات والمؤسسات العامة، التي أنشئت بخدمة، لها صفة النفع العام تراخيص صادرة عن الجهات الإدارية ولا تخضع لأحكام قوانين الإيجار النافذة في كل ما يخالف الأحكام الواردة فيها». ونصت المادة الثانية على أن: «يحدد الوزير المختص العقارات التي تقوم بخدمة لها صفة النفع العام بقرار منه، لا يخضع لأي طريق من طرق المراجعة»، كما نصت المادة الثالثة من هذا القانون على أنه: «يجوز بقرار من الوزير المختص إخلاء العقارات المستثمرة التي تعتبر قائمة بخدمة، لها صفة النفع العام»..

ومن حيث إنه جاء في المذكرة الإيضاحية للقانون أن الدولة وبعض البلديات والمؤسسات أنشأت محلات عامة لتؤدي خدمة عامة كالفنادق والمتنزهات والمقاهي وغير ذلك من أجل تأمين الراحة والمتعة لمرتادي المناطق التي أنشئت فيها، دون أن يكون لهذه المؤسسات أي غرض تجاري. ولقد أعطيت هذه المحلات إلى مستثمرين

وفق عقود استثمار، اشترطت فيها شروط خاصة من جهة تأمين مستوى معين من الطعام والخدمة والأثاث، حتى يمكن أن تؤدي الغاية المرجوة دون النظر إلى مقدار الأجور التي كانت وسيلة مقابل هذه الخدمات. ولكن القضاء في الإقليم السوري اجتهد بعد صدور الأجور المختلفة بأن هذه المحلات لا تخضع لعقود الاستثمار، وأن تطبق بحقها أسوة بجميع العقارات أحكام قانون الإيجار، ولاسيما من حيث عدم إمكان إخلائها، فخالف غلوها عقود الاستثمار، وأهملوا الشروط المفروضة عليهم، فهبط مستواها هبوطاً كبيراً، وفقدت الصفة التي وجدت من أجلها، وأصبح الغرض منها ابتزاز أكبر كمية من الربح، مما جعل هذا الإهمال ينعكس على المنطقة بكاملها. ولما كانت الدولة والبلديات والمؤسسات حريصة على أن تؤدي هذه المحلات خدمتها العامة على أحسن وجه، ولا يمكن تأمين ذلك إلا بإخضاعها بعقود الاستثمار، وإخلائها فور التأمين لاستثمارها مجدداً بمستوى عالٍ، ولاسيما أن شاغليها الحاليين قد أثروا عن طريق وضع يدهم أكثر من خمس عشرة سنة يستغلونها للربح فقط دون التقيد بأيّ شرط فرض عليهم، محميين بالاجتهاد القضائي المنوه عنه. لذلك وضع مشروع القرار المرافق الذي ينهي الحالة التي أصبحت لها هذه المحلات العامة، ويعيدها إلى الوضع الذي تتأمن منه الخدمة العامة المرجوة.

ومن حيث إن المستفاد من النصوص سالفة الذكر ومن سياق المذكرة الإيضاحية أن العقار يجب أن يكون مملوكاً للدولة أو لإحدى البلديات أو المؤسسات العامة، وهو إما أن يكون قائماً بخدمة لها صفة النفع العام، أو أن تقرر للخدمة التي يؤديها هذه الصفة بقرار من الوزير المختص، وفي هذه الحالة يكون هذا القرار غير خاضع لأي

طريق من طرق المراجعة، وكذلك يكون قرار الإخلاء في الحالتين محصناً من المراجعة. هذا مع مراعاة مجال إنفاذ أحكام القانون على النحو الذي حددته المذكرة الإيضاحية.

ومن حيث إن الثابت من الأوراق أن العقار محل المنازعة قد وقف على جهة من جهات الخير، وأن الجهة الإدارية تتولى إدارته على مقتضى المرسوم التشريعي رقم ١٣٨ سنة ١٩٥٩ بشأن الوقف الخيري الإسلامي.

ومن حيث إن المرسوم التشريعي رقم ٦٩ لسنة ١٩٤٧ قد نص في مادته الأولى على أن الأوقاف الإسلاميّة في الجمهورية السورية هي ملك للطائفة الإسلامية دون سواها.

ومن حيث إنه، ترتيباً على ما تقدم، لا يعتبر العقار محل المنازعة ملكاً للدولة، أو لأية ولاية بلدية أو مؤسسة عامة على ما نصت عليه المادة الأولى من القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨م، ويتخلف هذا الشرط عن هذا العقار، لا يمكن قانوناً أن يكون محلاً للقرار المنصوص عليه في المادة الثانية من القانون.

ومن حيث إن القرار المطعون فيه إذ صدر بشأن عقار ليس من العقارات المبينة في القانون رقم ١٠٦ لسنة ١٩٥٨م، ومن ثم تنحسر عنه الحصانة المنصوص عليها في المادة الثانية من هذا القانون، وتمتد إليه ولاية القضاء الإداري ورقابته، وبالتالي يكون الدفع بعدم سماع الدعوى على غير أساس من الواقع والقانون متعين الرفض.

ومن حيث إنه عن الموضوع، فإنه، وقد ثبت أن العقار محل المنازعة، ليس ملكاً للدولة أو لأية بلدية أو مؤسسة عامة فضلاً عن كونه ليس من العقارات التي عناها المشرع في المذكرة الإيضاحية

للقانون، ومن ثم يكون القرار المطعون فيه وقد صدر في شأن هذا العقار مخالفاً للقانون متعين الإلغاء.

لذلك:

حكمت المحكمة:

أولاً - برفض الدفع بعدم سماع الدعوى وسماعها.

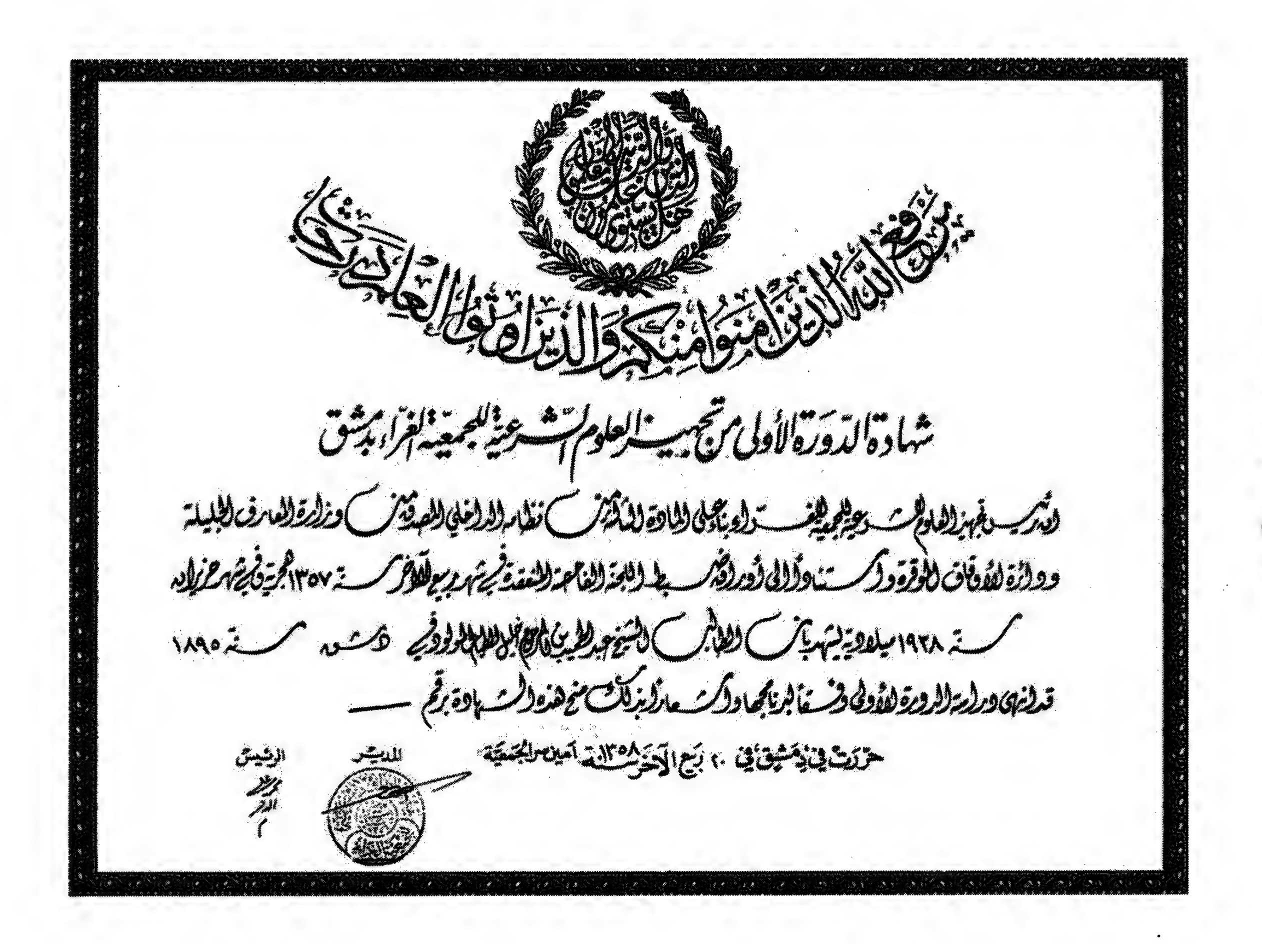
ثانياً - وبقبول الدعوى شكلاً.

ثالثاً - وبإلغاء القرار المطعون فيه، وإلزام وزارة الأوقاف بالمصروفات وخمسين ليرة سورية مقابل أتعاب المحاماة.

صدر وتلي علناً في ١٩٦٠/٩/٢٣

الرئيس

نموذج لشهادة المعهد



يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

شهادة الدورة الأولى من تجهيز العلوم الشرعية للجمعية الغراء بدمشق

أنه بعد تدريس تجهيز العلوم الشرعية للجمعية الغراء بناء على المادة الثالثة من نظام الداخلي المصدق من وزارة المعارف الجليلة

ودائرة الأوقاف الموقرة واستناداً إلى أوراق ضبط اللجنة الفاحصة المنعقدة في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ هجرية وفي شهر حزيران

سنة ١٩٢٨ ميلادية ثبت بأن الطالب الشيخ [illegible] المولود في دمشق سنة ١٨٩٥

قد أنهى دراسة الدورة الأولى وفقاً لبرنامجها واستحق بذلك منح هذه الشهادة برقم ——

حررت في دمشق في ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ أمين سر الجمعية

المدير

الرئيس



 **نهضات** 

من ثمرات النهضة الأولى

لقد أثمرت دعوة هذا الرجل ثماراً يانعات،
أحيا الله به قلوباً.
وبعث به رجالاً حملوا الرسالة،
وانتسب إليه علماء ملؤوا البلدات والقرى والمدن،
ونفع الله به ناساً كثيرين.

(علي الطنطاوي)

توطئة

يتناول البحث في هذا الباب امتداد نهضة الشيخ علي الدقر في طلابه الذين تابعوا مسيرته في الدعوة إلى الله والعلم؛ ففي الميدان الفوقاني قامت نهضة الشيخ عبد الرحمن الزعبي الطيبي، وفي باب السريجة قامت نهضة الشيخ عبد الكريم الرفاعي.. بالإضافة إلى نهضات على نحو معيّن قام بها طلاب الشيخ الأوائل، واستقلوا بها في عدد من مساجد دمشق. وهذا غير المرجعية العلمية التي أنشأها في القرى من تخرّج به من أهلها.

كيف استطاع هؤلاء الشيوخ استقطاب الطلاب من جديد؟

ما الظروف التي عاشوها؟

ما الطلاب الذين تخرجوا بهم؟

ماذا أضافوا على ما قدم شيخهم صاحب النهضة الأولى؟

إلام آلت هذه النهضات؟

هل كانت نهضات عارضة.. شبت كالنار في الهشيم، ثم انطفأت سريعاً؟

أم إنها زرعت بذوراً استمر فيها بقاء الشيخ علي الدقر؟

ماذا يمكن أن يستفاد مما قدّمت؟

أسئلة شتى، ربما يجيب عنها هذا البحث.. وعن غيرها كذلك.

الفصل الأول

نهضة الشيخ عبد الرحمن الزعبي الطيبي

١٣٢٠-١٣٨٩هـ

١٩٠٢ - ١٩٦٩م

سيرة حياة

ولد الشيخ عبد الرحمن الزعبي في قرية الطيبة بحوران، ونسب إليها، تعلّم في مكتب (كتّاب) القرية، ونشأ يتيم الأم، فقدها قبل سن التمييز، ولما كبر قليلاً عمل مع أهله بالفلاحة بما يقدر عليه، حتى بلغ سن الحلم.

عندئذ رحل به أبوه إلى دمشق، فالتحق بحلقات الشيخ علي الدقر، وأبدى تفوقاً سريعاً ونبوغاً.. ثم تردد على دروس الشيخ بدر الدين الحسني، فقرأ عليه أمهات الكتب في النحو والمنطق والتوحيد والحديث..

ولما استوثق شيخه من قدرته كلفه تعليم الطلاب الجدد الذين كانوا يفدون إليه من دمشق وما حولها من القرى، فقام على ذلك خير قيام.

ثم وجهه الشيخ إلى الدعوة في القرى والبلدات، فمضى يتولى مهمة الوعظ والإرشاد والتدريس.

على أن المفصل الهام في حياته كان عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م حين جاء إلى الشيخ علي الدقر وفد من أهل الميدان الفوقاني، وطلبوا منه أن يبعث إليهم بعالم يقوم بالشعائر الدينية، وينشر العلم الشرعي في جامع كريم الدين المعروف بجامع الدقاق[١]، فانتدبه إليهم، فمضى لهذه المهمة وبقي يدرّس ويُقرئ ويرشد حتى آخر حياته، وسكن في دار ملاصقة للجامع المذكور[٢].

وإلى جانب ذلك كان في عداد كبار المدرسين الذين أقرؤوا الطلاب في مدارس الجمعية الغراء، وخصوصاً في معهد العلوم الشرعية أكبر مؤسساتها التعليمية، وقد ناب مدة عن مدير المعهد الشيخ أحمد الدقر، لم ينقطع عنه وفاء لشيخه، وأداء لرسالته إلا نهاية العام الدراسي ١٩٥٨/ ١٩٥٩م حين استجدت أحوال غيرت من سيرة المعهد، كما مر معنا فتفرغ للتدريس والإرشاد في جامع كريم الدين..

أقبل الشباب في الميدان على الشيخ عبد الرحمن، فعقد لهم حلقات العلوم الشرعية والعربية في الأوقات المتاحة وعلى طريقة أستاذه، وكُتُب أستاذه كذلك.. فأقرأ التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث والمصطلح والنحو والصرف، وعني بالفقه الشافعي، وكان أحد الشيوخ المعتمد عليهم في الفتوى بمنطقته.

---

(١)جامع الدقاق شرق الطريق العام في محلة أبي حبل بالميدان الفوقاني، بناه القاضي كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله وكيل الخاص السلطاني ببلاد الشام. كان قبطياً فأسلم، فقربه الملك الناصر حتى أصبح الرجل الثالث في الدولة ببلاد الشام بعد السلطان ونائبه تنكز. انتهى من بناء المسجد سنة ٧٨١هـ واشترى له نهراً فأجراه إليه وعمل حوضاً كبيراً بجانب الجامع للشرب. تعرض المسجد للهدم أكثر من مرة ورمم، وكان فيه عشر غرف أرضية، جددته الأوقاف سنة ١٣٥٠هـ وبنت له دكاكين على الشارع العام (خطط دمشق، ٣٢٦).

(٢)وتوفي بهذه الدار.

دروسه

كانت دروس الشيخ عبد الرحمن غاية في اللطف مع الوضوح في إيصال الفكرة إلى الطالب.. وكانت له طريقة محببة في تحفيظ الشعر التعليمي للطلاب؛ ففي أول كل درس ينشدون جماعة وبصوت واحد أبيات المتن الذي يقوم عليه الدرس، لا يتوقفون من أول المتن حتى يصلوا إلى الأبيات التي سيشرحها الشيخ في الدرس الحالي.. ومع التكرار يجد الطالب نفسه عند انتهاء الكتاب قد حفظ المتن بسهولة عجيبة، وهكذا حفظوا مثل متن الجوهرة في التوحيد، وألفية ابن مالك، والبيقونية.. وغيرها.

وكانت طريقته في تقرير الدروس تعتمد التبسيط لعبارة الكتاب، يشرح غوامضه، ولا يدع مسألة في موضوع الدرس، ولا ينتقل إلى غيرها حتى يجلوها، ويستيقن أن طلابه فهموها تمام الفهم، ويفضِّل كعادة العلماء آنذاك أنَّ فهم الطالب صحيفة واحدة في الدرس يقطع فيها ساعة كاملة أو ساعتين خير له من المرور على العبارات دون فهم، فالعبرة ليست بعدد الصحائف بل بمقدار الفائدة.

وكانت دروس الشيخ مخلوطة بالتربية والتصوف وترقيق القلوب، لا يقدِّم المادة العلمية بجفافها، بل يجعل معها طرفة عارضة أو قصة مفيدة أو نكتة نادرة.. مع بشاشة مقبولة محبَّبه؛ فإذا جاء درس الفاعل في النحو مثلاً، ذكرّ الطلاب أن الفاعل الحقيقي هو الله، وهو الذي يخضع له الكون وحده، وهو الذي يحاسب الناس، وهو الذي يدبر أمورهم، وهو الذي يرزقهم ويعينهم.. وأن أفعال ما عداه من الفاعلين تبع لفعله عز وجل، وأن أحداً لن يستطيع أن يفعل شيئاً سواه تعالى. وإذا كان درس العقيدة وصفات الله بأنه الرازق، جاء

بقصص الصالحين واستشهد مثلاً بسيرة الشيخ عبد الحكيم الأفغاني وكيف كان يتقي الله في تحصيل الرزق، ويأبى أن يأكل الدنيا بالدين ولو لشربة ماء.. وهكذا في جميع الدروس.

وكان الشيخ يبدأ دروسه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي ﷺ، ويختمها بقوله: «الحمد لله رب العالمين» وعندئذ ترتفع أصوات الطلبة بقولهم: «جزى الله عنا سيدنا محمداً ﷺ ما هو أهله» ثلاث مرات ويقرؤون بعدها معاً سورة العصر، وفيها التواصي بالحق والصبر.. ثم يفترقون، بعد السلام على شيخهم.

وكان يوم الشيخ مملوءاً كله، ينصرف فيه إلى العلم أو إلى العبادة والذكر.

صفات الشيخ ومكانته

كان الشيخ عبد الرحمن الطيبي ربعة من الرجال، نيّر الوجه، يتخذ كشيخه عمامة الأغباني الصفراء المسماة «لفّة لام ألف»[1] يعقدها على طربوش أحمر، يكتسي جبَّةً كعلماء دمشق كلهم، وكان في سمته هذا يشبه هيئة شيخه.

أحب الشيخ عبد الرحمن النبيّ حباً خالصاً، واهتم بالسنة النبوية، وحرص على التمسك بها، وكان يقول لطلابه: «لا يتبادرن إلى أذهانكم أن صلاة السنة وتطبيق أفعال النبي ﷺ هي بعكس

(١) كان الشيخ عبد الرحمن رحمه الله يتخذ العمامة البيضاء، فتركها إلى العمامة الصفراء شعار التجار وبعض العامة، لئلا يخضع للامتحان الذي فرضه العقيد أديب الشيشكلي رئيس الجمهورية على كل من أراد الاعتمار بها كما مر معنا.. ولم تهمه المظاهر.

الفروض، إنها ليست بمنزلة الزيادة من العبادة، بل ينبغي المحافظة عليها كالحفاظ على الفروض».

وكان على غاية في اللطف مع أولاده وطلابه وجيرانه، يتفقدهم دائماً، ويسأل عنهم، ويعود مريضهم، ويستمع إليهم، ويهتم بما يقولون. قلما رآه أحد إلا مبسوط الأسارير، يقضي حاجات أهله بنفسه، ولو شاء لخدمه تلامذته.. وهم يودون أن يتفانوا في خدمته، ولكنه يرفض ذلك، حتى كان يكره أن يقبِّلوا يده، ولا يمكِّنهم منها، وقد خصص للقيام بشؤون بيته اليومية وحاجاته الشخصية سحابة الضحى من كل يوم، يخرج بنفسه لشراء لوازم البيت على مرأى من طلابه الذين نبَّه عليهم ألا يقتربوا منه إذا رأوه، وألا يعينوه بشيء مما يحمل.

وكان أعظم ما في تواضعه أنه يقدّر الناس عموماً والعلماء خصوصاً ويزورهم، ويأخذ عنهم، ويذكر أقوالهم، وفي آخر حياته لم يمنعه سنّه ومكانته أن يتردد على الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، فيقصده في بيته بحي العقيبة، ليُسمعه ما حفظ من القرآن على تقدمه في العمر، حتى عرض عليه القرآن حفظاً، وذلك قبل أن يتوفى بمدة يسيرة.

وكان مرشداً محبوباً، همّه أن يسلك بالشباب في طريق الخير، ينصح لمن يلتقي بهم في المجالس العامة والخاصة، فيقول للشاب الذي يلقاه أول مرة بعد أن يجد منه إقبالاً: «لا أريد منك أن تأتي إلينا، ولكنني أنصح لك أن تطلب العلم على شيخ عارف».

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أينما حلّ؛ وقد أوتي في النصح أسلوباً مقبولاً، وفي الحديث طريقة غاية في اللطف.

كان متواضعاً في دروسه، إذا جاءه طالب في الحلقة بوسادة ليجلس عليها امتنع، لا يريد أن يتميز من طلابه.. وربما ذكَّر الحاضرين بأن الدنيا دار لغير الراحة، وأن على طالب العلم أن يخشوشن ويبتعد عن الرفاهية.

وإن حضر إلى المسجد شخص غريب وجلس في الحلقة قدّره بحسب عمره، ورحب به وآنسه، وسأله عن نفسه وصحته، وبشّ له، فإن كان من أهل العلم قام له، وأنزله المكانة التي يستحق.

وكان يصحب طلابه إلى النزهات الصيفية القريبة والبعيدة، يعيش معهم همومهم، وربما قضى معهم نهاره، وربما يكون هذا في يوم جمعة، يحضُر معهم خطبتها في أقرب مسجد، فإذا خرجوا وانتظموا حوله بعد الطعام في جلسة ودّ ناقشهم في موضوع الخطبة، فإذا كان الخطيب قد قصّر أو سها عن بعض جوانب موضوعه أكمل لهم وشرح.

وكان يبين للطلاب كيف يجب أن ينتقدوا الخطبة بأدب جمّ، بعيداً عن الغيبة أو الانتقاص. لأنّ لكل امرئ مكانته وميزته..

ولا تخلو النزهة من دروس التصوف والتوجيه، وتكون فرصة لتعلّم آداب المعاملة اليومية الإسلامية، يطبقها الطلاب عملياً بعد أن يكونوا قد تلقوها نظرياً في الكتب.

وكان الشيخ هادئ الطبع، مالكاً لزمام نفسه، يزينه الجمال والجلال، ولم يعرف طلابه عنه أنه خرج مرة واحدة عن طوره أو تكلم بنزق أو غضب على أحد.. بل كان دائم الابتسام، ولكن ربما نقلوا عنه في أيامه بالمعهد أنه يخرج أحياناً عن هدوئه.

ولم يكن يتولى الشيخ في مسجده التدريس والصلاة والإرشاد فحسب، بل كان مقصوداً للفتيا على المذهب الشافعي، مرجعاً موثوقاً في الحي، بل في البلدة.

وكان إلى جانب ذلك يدخل في الصلح بين المتخاصمين، وحلّ الخلافات الزوجية والأسرية والاجتماعية، وربما لجأ إليه بعض التجار في المنازعات.

ولم يكن للشيخ شاغل سوى التعليم أو الذكر والعبادة، لا يطمع من الدنيا بأكثر من حياة كريمة، لا يهتم من ورائها بالعروض الزائلة، ولا يتحدث فيها، ولم نسمعه مرة ذكرها، أو أشار إلى متاعها.

وكان يحفظ لسانه فلم يتكلم بسوء عن أحد، ولم يغتب امرأً، وما عرّض برجل، ولا لام فلاناً، ولا استاء من علان.. حياة رضية ونفس مطمئنة.

ولذلك كان قدوة حسنة وأسوة مُنَزَّهة لطلابه، رباهم بحاله ومقاله فأجلّوه وأحبوه، وأقبلوا عليه. وكان يحذِّرهم من الكلام في غير فائدة وخصوصاً الخوض في الغيبة.

وكان مقبلاً على العبادة يصلي بخشوع وله أوراد يؤديها بسكينة وهدوء يقرأ متمهلاً متدبراً، يناجي ربه في أذكاره لليوم والليلة.

وكان يقول:

- ينبغي أن يكون حال العابد بعد انقضاء أي فريضة في العبادة أحسن شأناً منه قبلها؛ فإن كان ذلك منه دلّ على أن الله تقبلها منه، فإن لم تردعه عبادته، فإنه لم يجن من ورائها طائلاً.

- لا تنظروا إلى الفوائد الصحية للعبادة مع وجودها حتماً، ولكن

أدوها لدوافع الإيمان والطاعة لله عز وجل، فالصلاة وإن كانت رياضة للجسم فليس المقصود أن تقوم فيها من أجل الرياضة، بل للعبادة نفسها، والصوم وإن تضمن حفظ الصحة ودواء الجسم، فلا يجب فيه الالتفات إلا لأمر الله عز وجل.

طلابه

ربى الشيخ عبد الرحمن طلاباً كثيرين منذ وطئت أقدامه جامع كريم الدين (الدقاق) عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م إلى أن لحق بربه راضياً مرضياً عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، وتخرج به علماء خرَّجوا هم بدورهم طلاباً.

وقد سلك بطلابه مسلك شيخه الشيخ علي الدقر، فكان يرسل النابهين إلى القرى أيام الجُمَع لدعوة الناس وتعليمهم وإرشادهم والقيام بواجب المسؤولية، ورحل عنهم بعد أن قام بواجبه خير قيام.

فمن طلابه الأوائل؛ الشيخ عبد الرحمن المجذوب، والسيد حكمت الحكيم والشيخ حسين خطاب والشيخ مصطفى البغا في أول طلبهما العلم، والشيخ عبد الكريم شموط، والشيخ زهير نوفلية، وابنه الشيخ محمد الزعبي، وابنه الآخر الشيخ بشير الزعبي، وقرأ عليه وتخرج به الشيخ أديب اللحام، والشيخ صلاح سرور، والشيخ عبد الوهاب الكعكة، وممن قرأ عليه الشيخ عبد العزيز الرفاعي، والشيخ غالب الحرش، والشيخ سعيد مارديني، والشيخ إبراهيم نويدر وغيرهم.

وتوفي الشيخ رحمه الله وحوله ثلة من الشباب الجامعيين كانوا يقرؤون عليه فلم يمتد عمره معهم، وكان يعدّهم ليكونوا من العلماء الكبار بما كان فيهم من نباهة إلا أن الأقدار حالت دون ذلك، منهم محمد سميح الصغير، ومحمد علي المنجد، وأمين جمعة زبادنة، وعزت

هيكل، وأحمد ياغوب، ونزار أباظة.. وآخرون كثيرون. هؤلاء أقبلوا عليه بشغف وحزنوا عليه لما فاتهم أحسن الله إليه، فرحل قرير العين أدى أمانة العلم وواجب التربية. ولو أن بعضهم قرأ عليه قليلاً في الزمن، لكنهم نهلوا من معينه كثيراً من التربية.. وربما انتفع مريد من شيخه بكلمة واحدة صلحت حاله بها وفاز برضا الله. ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون.

اضطرابات في حياة الشيخ

لم تكن حياة الشيخ عبد الرحمن مستقرة في جامع كريم الدين (الدقاق) أول أمره، إذ إنه عانى بيئة مضطربة آنذاك بعصبياتها وانحيازاتها الأسرية، وكان في الحي الشيخ بهجة البيطار[1]، سليل أسرة عريقة فيه، فتعصب ناس له، وآخرون للشيخ عبد الرحمن.. والشيخان لا علاقة لهما بما يجري، ولا يلتفتان له، وإنما هو تنافس أسري.

وكانت المسألة تفور كل حين من وراء حجاب ثم تبرد.. وقد اشتدت يوماً فأدت إلى حادثة غريبة؛ فبينما كان الشيخ عبد الرحمن يصلي جماعة في الناس إذ علت ضجة لناس أخذوا يقعقون بالسلاح، فلم يأبه لما يحدث وأكمل صلاته، فلما انفتل منها لم يجد أحداً من المصلين الذين كانوا وراءه سوى تلميذه حكمت الحكيم.. كانت عملية تهديد إذن، لكنها انجلت دون نتائج تذكر، وصمد الشيخ.

---

(١)علامة لغوي بحاثة محقق، يرى رأي السلفية الصحيح لا المعوج، وتخرج بالشيخ جمال الدين القاسمي اتصل بالملك عبد العزيز آل سعود، وكانت له في السعودية جهود علمية، اشتغل بالتدريس واختير عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق، عرف بلطف شمائله، واستقامته وطهارته وتواضعه، توفي بدمشق ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م انظر علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري وفيات السنة المذكورة.

لكن حادثة أخرى حصلت أدت إلى فتنة في الجامع أكبر، كانت لها أبعادها، وزادها عنفاً وقوعها في أثناء صلاة العيد.

أهلّ العيد أحد المرات والشيخ عبد الرحمن مريض، حدثته نفسه ألا يخرج للصلاة لمرضه، ولكنه تحامل على نفسه وجاء المسجد، فصادف أن الشيخ بهجة البيطار تعرض في الخطبة لموضوع الصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان، وعرض المسألة بشيء من الحدّة والإنكار لمن يُتبعُ الأذان بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم.. ثم قال: «هؤلاء هم أهل العلم، فاسألوهم إن كان ذلك يصح» وأشار إلى الشيخ عبد الرحمن الذي وجد نفسه في حرج؛ فهو إن سكت خالف قناعته التي تخالف رأي الشيخ بهجة.. وإن تكلم أحرج الشيخ بهجة، وأدركته الجرأة في المسألة الحساسة، وقرر أن يعبر عن قناعاته. فقال: «الصلاة على النبي جهراً من المؤذن بعد الأذان جائز، فإن تركها المؤذن فلا إثم عليه.. والنبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة»[(١)]. فقال الشيخ بهجة: «ولكن هذا من السامعين، وليس من المؤذن» فقال الشيخ عبد الرحمن: «لم يعيّن الحديث ممن تكون الصلاة عليه ﷺ، وإنما أطلقها..».

كان هذا نقاشاً بين العالمين الفاضلين على غاية التهذيب، ولكل رأيه، لكن العامة ثاروا لأن الشيطان كان يضلُّهم، فهاجم بعضهم بعضاً، وعلا بعضهم على بعض، وقام بينهم شر عظيم وكلام فاجر، وأغلقوا أبواب المسجد، واستنصر كل فريق بجماعته التي أسرعت تقوم معه، وأدى الكلام إلى شجار وضرب.. ولم يستطيع الشيخان تهدئة الموقف إلا بكبير صعوبة.. وانصرفا إلى بيتيهما آسفين.

---

(١)رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي

ولم تكد تمضي ساعة من الزمان حتى جاء الشيخ بهجة البيطار فزار الشيخ عبد الرحمن وتصافيا، وجرى بينهما نقاش ودي.. وهدأت ساحة العامة التي تبحث دائماً ولأقل بادرة عن شر توقده، وكيد تؤججه بلا طائل.

ولما توفي الشيخ عبد الرحمن كانت أجمل كلمة قيلت في رثائه، من فم الشيخ بهجة البيطار رحمهما الله تعالى، كما سيأتي في وفاته.

هل ظهرت هنا فتنة التجانية على نحو آخر، أم هي ذيول لها؟ المشكلة كما رآها علي الطنطاوي حين تحدث عن تلك القضية بأنها المنهج المختلف للشيخ علي الدقر وطلابه عن منهج الفئة الأخرى من العلماء كالشيخ كامل القصاب ومن يرى رأيه[1].

وتعرض الشيخ عبد الرحمن لمحنة أخرى يوم ثار حي الميدان كله أيام حكم أمين الحافظ عام ١٩٦٣-١٩٦٦م ورفض أهل الحي الممارسات والتصرفات الاستفزازية آنذاك، واعتقل الشيخ عبد الرحمن ساعات، نجاه الله فيها من الإهانة وأفرج عنه سريعاً.

وفاته

كان الشيخ عبد الرحمن في سنوات عمره الأخيرة يعاني من مرض القلب، ويتخذ العلاج اللازم..

ومع هذا فإنه لم ينقطع عن الدرس البتة إلا في وقت حرج، وكان دائم التوكل على الله، لا ينزعج لمرضه، ولا يهتم له، مع معاناته منه.

(١)ومن قبل قام الصوفيون على الشيخ جمال الدين القاسمي لما زار الشام الشيخ محمد رشيد رضا الذي اضطر أن يغادرها درءاً للفتنة، كما اضطر القاسمي لزوم بيته أشهراً. انظر كتابنا جمال الدين القاسمي.

وفي أوج عطائه توفي فجأة وهو في استقبال ضيف له، وسكت القلب الكبير في عصر يوم الأحد ٢٣ ربيع الأول من سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

وخرجت جنازته في اليوم التالي حافلة من بيته المتواضع، وصلي عليه في الجامع الذي عمره بالعبادة والدرس نحواً من ست وثلاثين سنة، اضطلع فيها بأمر شيخه الذي زرعه في تلك البقعة من الميدان، فأثمر الثمرات اليانعات.

ودفن في مقبرة بوابة الله بعد أن خرج أهل العلم من العلماء والطلاب بنعشه محمولاً.. وأبنوه بكلام المحبين.

قال فيه العلامة الشيخ بهجة البيطار «رحمك الله يا شيخ عبد الرحمن ذا الخلق الكريم والطبع القويم والدرس المستديم، رحمك الله يا من جمعت بين العلم والعمل وتقوى الله عز وجل في السر والعلن، وكنت القدوة الصالحة لأبنائك وتلاميذك وإخوانك».

وقال الشيخ حسين خطاب نقلاً عن شيخه الشيخ حسن حبنكة: «يا شيخ عبد الرحمن إننا لم نعرف لك زلة مذ عرفناك».



الفصل الثاني

نهضة الشيخ عبد الكريم الرفاعي

١٣٢٢ - ١٣٩٣هـ

١٩٠٤هـ - ١٩٧٣م

كانت نهضة عظيمة يسَّرها الله على يديه في منطقة باب السريجة بدمشق وقبر السيدة عاتكة وبستان الحجر والحيواطية والفحامة، حيث يتوسط هذه المناطق المكتظة بالسكان من الطبقات المتوسطة والفقيرة جامعٌ صغير، لم يكن من مساجد دمشق المتميزة، لا في العمران، ولا في السعة، ولا فيمن يتردد عليه. ذلك هو جامع زيد بن ثابت الذي كانت العامة في الحي تُحَرِّفه جهلاً إلى جامع زين أبو تابت.

فمن هو الشيخ عبد الكريم الرفاعي؟

سيرة حياة

ولد الشيخ عبد الكريم في حي قبر عاتكة لأسرة فقيرة، اجتمع لها اليتم مع الفقر؛ فقد مات والده أحد مشايخ الطريقة القادرية قبل أن يكتمل وعيه على الدنيا، فقامت بشأنه أمه المرأة الصالحة، وسكبت عليه من حنانها الشيء الكثير؛ وقد زادها فجيعة بفقد والده نشوء هذا الطفل مريضاً لا يقدر على المشي، فتقطع قلب الأم المسكينة عليه، وتحمَّلت من أجله المشقات.. والتمست له العلاج من غير فائدة، حتى أيست منه لما بلغ السابعة من عمره.

ولم يكن أحد يدري آنذاك أن الأقدار لم تخبئ للطفل الحياة فحسب، بل ادخرت له معها أياماً تاريخية وعزاً إسلامياً، قلما يكون للأصحاء فضلاً عن المرضى من الكبار الذين لا يقاس بهم هذا الولد المسكين.

وتلقاء يأس الأم البائسة لمعت في ذهنها فكرة غريبة.. لماذا لا تسعى به إلى الشيخ علي. لعلها تجد عنده البركة؟.

حملته، تجر خطاها إلى حلقة الشيخ حزينة، يأكل الهم قلبها دون أن يأتي على إيمانها.. ووضعته بين يديه، وعيون الناس ترمقها باستغراب، جرّأها على ما تفعل الأيام القاسية، وقلب الأم المفتت على فلذة كبدها، وقالت له:

- يا أيها الشيخ الجليل! لقد عجز الأطباء عن مداواة ولدي هذا، وها هو ذا بين يديك، فضعه عندك حيث شئت، وعدّه ولداً من أولادك.

دعا له الشيخ علي، وأمرها أن تضجعه تحت طاولة درسه.. وصادفت دعوته أبواباً من السماء مفتّحة، وساعات رحمانية مباركة.. فأخذ الطفل يتماثل للشفاء، وسعت إليه العافية شيئاً فشيئاً، وتجاوز إلى الصحة التي استعملها في الانكباب على طلب العلم.

ولكن بقية من العلة ظلّت تصاحبه، تبدو على جسمه الهزيل وحركاته الضعيفة التي حركت قلوباً من الشباب، زرعت فيها قوة الإيمان ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٩٣/٦-٨].

شبّ الطفل بعد تلك الحادثة الغريبة.. وأقبل على حلقات العلم

عند طلاب الشيخ المتقدمين، ممن كانوا يُقرئون من بعدهم، ومازال يجدّ حتى صار من الطلبة المدرسين الذين أذن لهم الشيخ بحضور حلقاته الخاصة.. ونبغ في علوم عديدة.

ثم ما لبث أن أذن له شيخه بحضور الدروس عند محدّث الشام الشيخ بدر الدين الحسني ولما يبلغ الثامنة عشرة، فحضر عليه في علوم متخصصة كالفلسفة والأصول والتوحيد، واستمر عنده على ذلك أكثر من عشر سنين، وكان يُفرد له درساً خاصاً بين الظهر والعصر من كل يوم، لا يشاركه فيه غيره.. ودأب خلال ذلك على التحصيل في نَهَمٍ لا يعرف الشبع.

وسعى مع هذا إلى كبار العلماء في الشام، يحضر حلقاتهم، كالشيخ أمين سويد، والشيخ محمود العطار، والشيخ إبراهيم الغلاييني، فكانوا يخصُّونه بمزيد من العناية والاهتمام، لما يتفرسون فيه من الخير.

وكان الشيخ أمين سويد فيما بعد يحضر دروسه ليشجعه تشجيع الأستاذ للتلميذ، وليعلِّم الناس أن العالم مهما علت رتبته لا يمنعه احترام العلم أن يجلس في دروس تلميذه.

وكان الشيخ علي الدقر يكلف تلميذه عبد الكريم منذ استطاع أن ينخرط في صفوف الطلاب ويعلو شأنه، يكلفه بحلقات التعليم كما هي عادته.. كما كلفه بشكل خاص الإشراف على مدرسة روضة الحياء للبنات التي كانت تديرها الحاجة وهيبة البقاعي، فيتولى أمرها وشؤونها.. ويكون هو الصلة عند الضرورة بين هذه المدرسة وبين شيخه، فقام بذلك خير قيام.

في جامع زيد بن ثابت

كُلّف الشيخ عبد الكريم بشعائر الإسلام في جامع زيد بن ثابت[1].. ومنه كانت انطلاقته منذ عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م بعد وفاة الشيخ علي الدقر بقليل. وحين تسلّم المسجد لم يكن يصلي وراءه سوى عدد قليل.

كانت نفسه تقول له:

- أنت تحمل مسؤولية التبليغ والدعوة!

ولكن الناس حوله كانوا غافلين، مشغولين عنه بأمور حياتهم اليومية وهموم أنفسهم التي لا تنتهي.. بينما كان يتحرق هو إلى نشر العلم والهداية. ولم يكن الزمن يواتيه مع العامة بجهلهم وتصلب آرائهم وتعنت أفكارهم.. فوضع آماله في الشباب كما صنع شيخه الأول.

وتساءل: ما الذي يدفع الشباب إلى حضور المساجد والاستماع إلى العلم في الحلقات؟ والمساجد ليس فيها ما يُرَغِّب، خصوصاً يومذاك، حين كان المسجد للعجائز والضعاف.. وقلما كان يرتاده الأقوياء[2].

ورأى الشيخ بعض شباب من أساتذة المدارس، تفرس فيهم الذكاء والحصافة، فاستمالهم إليه، وأثر فيهم بصدقه، وسألهم:

---

(١) في منطقة باب السريجة والفحامة، لا يعرف تاريخ بنائه، قيل بني عام ٧١٠هـ، وجدد أواخر القرن الثامن الهجري ثم جدد عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م، ونقض بناؤه عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ثم أعيد. (خطط دمشق).

(٢) لم تكن المساجد آنذاك بالحالة التي هي عليها اليوم. لم تكن نظيفة كما ينبغي، وكانت باردة شديدة البرد في الشتاء، نورها ضعيف، وأثاثها مهترئ، سجادها رثّ خشن، وثرياتها وسخة متكسرة.. حتى مصاحفها فلم تكن جديدة، وكثيراً ما كان فيها مصاحف ممزقة الأوراق.

- هل تستطيعون أن تعيدوا دروس المدرسة على الطلاب في المسجد، ومن دون أجر؟

وافقوا، فطلب إليهم أن يُدخلوا في دروسهم شيئاً من التذكير بالله تعالى والأخلاق، أن يجعلوا وقت الصلاة خلال الدروس، فإذا حانت، قاموا إليها دون أن يأمروا أحداً بالقيام.

وخاطب الشيخ رؤساء الحلقات بقوله: إن قصدتم وجه الله في تعليمكم هذه المواد في المسجد من أجل جلب الشباب إلى بيت الله لحفظ كتابه، فإن هذا لا يقل أجراً عن تدريسي أنا للتفسير والحديث، بل سيجعل الله في صحائفكم من سيثبت في المسجد من تدرسونه لهذه المواد العلمية الكونية.

ونجحت الفكرة[1]، وأقبل الصغار على الحلقات التي امتلأ بها المسجد حتى ضاق عنها.. وتحققت له طريقة شيخه الأول في أسلوبه وفي نهضته، ولكن على نحو آخر.

وجاء دوره هو، فأشرف على الجميع، وجمعهم على محبته، ونثر عليهم لطفه وتوجيهه.. وصار الهدف هو دروس الشيخ، وغدت دروس المواد العلمية والمدرسية على هامش أوقاتهم..

وكان في ذهن الأهالي فكرة أن ينصرف الطالب إلى دروسه المدرسية لا يلتفت إلى غيرها لكي يتفوق.. وكثيراً ما كان الآباء ينهون أولادهم عن قراءة أي شيء سوى المنهاج المدرسي.. فإذا بهؤلاء الطلاب مع انشغالهم بحفظ القرآن وحضور دروس الشيخ يتفوقون في المدرسة على غيرهم من سائر الطلاب وينبغون.

---

(١) ولعل هذه الفكرة هي أساس المعاهد المسائية التي تعين الطلاب في استذكار دروسهم، وقد انتشرت في دمشق فيما بعد انتشاراً واسعاً، ولم تكن معروفة من قبل.

الحي، وأخذ يزورهم في بيوتهم، ويطلب أن يلتقي بأبنائهم، ويحفظ أسماءهم ليتحبب إليهم، فاستمالهم حين رأوا ما انقلب عليه حال أولادهم إلى صلاح واستقامة.. وكان إن توفي رجل من أهالي الحي صحب الشيخ طلابه لتشييعه، ووقف معهم على قبره، وعزُّوا أهله في بيته وقرؤوا له القرآن، ويمتنع هو وهم عن قبول أي طعام أو ضيافة مهما كانت، يفهمهم أنهم جاؤوا وفاءً للمتوفى.

وتفقد الشيخ أحوال بيوت الحي ممن كانوا بحاجة إلى معونة مالية، أو إلى بيت يسكنونه أو إلى حلّ مشكلة.. يقوم بكل هذا.. فاستمال قلوب من حوله جميعاً... وغدا جامع زيد قبلة الحي للأهالي كباراً وصغاراً، ونموذجاً للدعوة الإسلامية الرحيمة.

صفات الشيخ عبد الكريم

كان رجلاً مربوع القامة نحيل الجسم ضعيفه، خفيض الصوت.. وكان مع علمه متعبداً متواضعاً نقي القلب، يألف ويؤلف، سمح النفس، لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الدين.

ومن كريم أخلاقه وفاؤه العظيم لشيخه الشيخ علي الدقر، وإقراره بالعجز عن توفية إحسانه إليه بمثله. وكان يردد بين إخوانه وطلابه ما يراه له من الفضل عليه. ويذكر كلامه ومواعظه وعقيدته وسيرته، كما كان وفياً لأبناء شيخه، لا ينقطع عن زيارتهم.

وكانت أخلاقه الرفيعة من عوامل نجاح دعوته وإقبال الناس عليه.. كان مخلصاً في علمه وعمله، يقصد به وجه الله، ولا يبتغي أجراً ولا شكوراً من أحد، ولا يرمي إلى جاه أو منزلة.. بل يسعى لغرس هذه الصفة في نفوس طلابه ورواد المسجد، فما كان يرضى أن يأكل أحد

وانتشرت فكرة الدروس الخاصة للمسجد في المدارس، فصار الطلاب يجلب بعضهم بعضاً.

وتعلق الشباب بشيخهم الكبير... فوصلهم بالله والعمل الصالح والمثل العليا. ووضع لهم برامج يتلقونها في العلم من خلال حلقات كانت كخلايا النحل العاملة الدؤوب التي تصنع العسل وفيه شفاء. وقرؤوا فيها علوم الشريعة.. وتسابقوا إلى حفظ كتاب الله. ونبغوا، فكان منهم علماء وخطباء وفقهاء ملؤوا البلد وما حوله، ونوّروا مساجد دمشق، ولفتوا نظر الناس. وغدوا كلهم دعاة مخلصين عاملين.. وصاروا حديث الناس.. وقامت منهم نهضة مباركة.

وجمعوا إلى تعلم العلوم الشرعية علومهم في مدارسهم وجامعاتهم على مختلف تخصصاتهم، كان منهم الطبيب والمهندس والمحامي والتاجر والموظف والمدرس.. وتحلوا كلهم بالإخلاص وهذا سر نجاح حركة الشيخ علي الدقر وطلابه من بعده.. وهذا ما كان يريده الشيخ ويقصد إليه.. يريد جمع علوم الدين إلى علوم الدنيا والهدف الدعوة إلى الله.

تعامُل الشيخ الاجتماعي

وتحوّل المسجد إلى مؤسسة علمية تقام فيها الحلقات، أحدث الشيخ فيه حياة تضجُّ بالشباب وروح الحركة التي أزعجت كبار السن من أهل الحي، الذين أقاموا من أنفسهم أوصياء عليه، كانوا معتادين على الجلوس فيه ما بين الصلوات، يتحدثون في توافه الأمور، فصاروا ينفعلون ويضجون لأقل تصرف لا يعجبهم من الشباب، وربما ضايق الطلاب قَيِّمُ المسجد..

وصبر الشيخ، فأكرم القيّم بالمال، ووثّق صلته بكبار السن وأهل

دنيا بدين فلا يخطب أو يؤم أو يدرّس إلا لله، ويتكسب مع هذا من عمله الدنيوي في حرفته أو وظيفته ليبقى عمله الديني كله خالصاً من الشوائب.. ولذلك كان يرى أن كلمة من صاحب الحرفة الذي يعمل في الدين لله أعظم أثراً من مئة خطبة بليغة.. ولم يعتقد أن صفة الوعظ والدعوة تقتصر فقط على من تخصص في الشريعة.

وكان ينكر ذاته، ولا يرى لنفسه فضلاً، فإذا تحقق على يديه عمل ما ولفت نظر الناس قال: «إخواني فعلوا كذا.. وإخواني تعبوا من أجل ذلك». ولم ينسب العمل لشخصه، مع أنه هو المشرف الموجه.

وهذا الخلق بسبب تواضعه البعيد عن مظاهر الخيلاء، تواضع في اللباس، وفي الكلام، وفي المجلس، وفي المأكل، وفي البيت.. يقعدُ إلى المسكين والقاصر والمعتوه، ويجيب دعوة الفقير مثلما يجيب دعوة الغني.. وكثيراً ما كان يجلس إلى الصغار فيحادثهم ويباسطهم ويدنو منهم، فتعلقوا به وأحبوه.

وكان لتواضعه قريباً من قلوب الناس كلهم، فقد كان يطّلع على مشكلاتهم وهمومهم، ويشاركهم آلامهم، ويحزن لهم، ويفرح لآمالهم، ويدعو لهم.. ولذلك كانت دروسه تعج بالناس على اختلاف طبقاتهم.

ومن مميزات أخلاقه الحبُّ الذي ملأ قلبه، حب ينبع من إيمان بالله ويشيع على من حوله.. ولا تكاد تخلو دروسه ولا مجالسه من معاني الحب كلاماً أو تطبيقاً، يقدمها بأساليب مختلفة.. والحب في الحقيقة هو الذي جمع الطلاب إليه، ولولاه لما قامت دعوة، ولما آتت ثمارها.

وكان حبه لمن حوله صادقاً، يعدّ تلاميذه أبناءه، يحزن إذا مرض أحدهم، ويبكي لأجله ويدعو له.. ويطلب من إخوانه أن يدعوا له كذلك، وأن يتصدقوا لأجله. ولم تكن صلته بعلماء البلد إلا صلة محبة على اختلاف وجهات نظرهم؛ فما نافس أحداً، ولا تكلم في غيبة أحد، ولهذا كان موضع تجلة كل أحد.

ومن ثمرات المحبة أن كان واسع الصدر، لا يتعصب لرأي من آرائه ولا لموقف من مواقفه، يأخذ خط الاعتدال، ويُشيع روح الإسلام السمح.

لم يزاحم أحداً على منصب، ولم يداهن أو ينافق للتقرب من حاكم.. كما أنه ما جابه شخصاً أو جهة بعنف، ولا دعا إلى تمرد، حفاظاً منه على وحدة الجماعة الإسلامية؛ مما أكسبه احتراماً عند الجهات المسؤولة وعموم الناس. وخصوصاً أنداده من العلماء فلم يذكره أحد إلا بخير. حوّل المسجد من مجتمع كبار السن وشبه العاجزين إلى مؤسسة علمية تمور بالحياة، وتشع بالعلم وحفظ القرآن، فأنقذ شباباً من وهدة الضياع والفراغ الروحي، وصنع منهم دعاة إلى الله على بصيرة وهدى.

دروسه

كانت دروس الشيخ منوعة في تخصصات الشريعة الإسلامية والعربية، وورث طريقة أستاذه في التدريس، وعناوين كتبه.

ولكن سرّ النجاح في تلك الدروس أنها جاءت مغلّفة بالإخلاص فآتت ثمارها، واستثمر الشيخ ميول طلابه الشباب، وعرف كيف يخاطبهم، ونجح في ذلك، فاستطاع أن يجمعهم حوله، وأن يعطيهم

من قلبه وعقله وعواطفه قبل أن يقدم لهم من علمه، فكانت دروساً حيَّة تهمه فيها إلى جانب المسائل العلمية الجافة قضايا العقيدة الصحيحة والتربية النافعة لبناء حياة إسلامية عالية.

كان وقته كله للعلم والتعليم والتوجيه، للدراسة والحلقات، يعقدها منذ الصباح الباكر، حتى المساء المتأخر.

اضطر في مرة من المرات إلى أن ينشئ درساً قبل صلاة الفجر بأكثر من ساعة، ولم يكن المسجد متاحاً له في مثل هذا الوقت من الليل.. ولما رأى رغبة الذين خصص لهم هذا الوقت قرر أن يكون الدرس في بيته. ولم يكن البيت سوى غرفة أو اثنتين ضيقتين وكان أطفاله الصغار جداً يشغلون إحداهما، وليست الأخرى معدّة لاستقبال أحد.. فكانت زوجته تحملهم وهم نيام من غرفتهم إلى المطبخ إذا حان موعد الدرس ليستقبل الشيخ طلابه فيها، ويعقد الحلقة هناك حتى مطلع الفجر، فيقوم إلى المسجد.

وشجع على حفظ القرآن، وجعل للشباب حوافز، فشرح الله صدروهم المؤمنة وعقولهم الغضة، فكان لهم فيه جولات.

ولم ينقطع الشيخ عبد الكريم عن القراءة والمراجعة والمطالعة على كل حال.. ومنذ حياة شيخه. ومن الغرائب التي ذكرت له أن اتفق مع الشيخ عبد الغني الدقر على قراءة الفقه الظاهري.. فكان يجمعهما مجلس خاص لا يعرفه إلا من ندر يقرآن فيه كتابي ابن حزم (المحلى في الفقه)، و(أصول الأحكام) وهذا أول ما قرئ فيه فقه الظاهرية بدمشق ولم يكن معروفاً كما أشرنا إليه. وله رسالة (المعرفة) في العقيدة، ورسالة في (الأذكار).

امتداد النهضة

ترك الشيخ عبد الكريم الرفاعي عدداً من كبار طلابه الذين رعوا النهضة العلمية في البلد، بجهود تابعوا فيها خطة شيخهم.

فمن أوائل طلابه الشيخ أبو الحسن محيي الدين الكردي[١] المقرئ الجامع الذي رعى القراءة في الجامع وتخريج الطلاب، أخذ عنه العشرات من الشباب وحفظوا عليه الحفظ المتقن، وأسند إليه شيخه كذلك الإمامة والخطابة.. وما زال كذلك حتى توفي الشيخ، وهو اليوم أحد قراء دمشق المشار إليهم بالبنان.

ومنهم الشيخ محمد عوض[٢] كانت له حلقات في الجامع، واشتهرت خطابته في جامع الفردوس وجامع الإيمان[٣] ودروسه، وأقبل الناس عليه إقبالاً عظيماً، وعرف بجرأته وقوة عارضته.

ومنهم الشيخ جمال السيروان خطيب جامع القصور، والشيخ نور الدين قره علي خطيب جامع بدر، والشيخ شوكت الجبالي[٤] خطيب جامع عبد الرحمن بن عوف[٥]..

ومن الأوائل في الطلب على الشيخ كذلك، الصيدلي عبد الرحمن عناية، والمهندس موفق كلاس، وياسين ربابه، ومحيي الدين الجراح وعبد الفتاح السيد وعدنان الصعب.

---

(١)توفي عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٢)محمد عوض من أوائل تلاميذ الشيخ عبد الكريم، توفي في المدينة المنورة في جمادى الثانية ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

(٣)بني جامع الفردوس في ساحة التحرير آخر شارع بغداد عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، وبني جامع الإيمان في المزرعة شرق ساحة السبع بحرات عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٤)شوكت الجبالي عالم فاضل توفي بدمشق عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٥)جامع عبد الرحمن بن عوف في شارع خالد بن الوليد جنوب جامع زيد بن ثابت بني عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

هؤلاء وأمثالهم كانوا الطبقة الأولى في أخذهم عن الشيخ عبد الكريم، وقيامهم على حلقات التدريس، والإشراف على الطلاب الجدد الذين كان يمتلئ بهم المسجد طوال اليوم من الفجر حتى ما بعد العشاء في حلقات متنوعة لا تفتر.

ونشأ بين يدي الشيخ ولداه أسامة وسارية، نهلا العلم منه صغيرين مع لبان الأم، ونهضا بالحلقات والإشراف عليها وقاما بشؤون الخطابة والتدريس. وهما اليوم يتابعان مسيرة أبيهما؛ فتولى الشيخ أسامة الجامع الذي حمل اسم أبيه جامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي[1] على دوار كفر سوسة وعليه خطابته وتدبير أمر الحلقات والدروس وتحفيظ القرآن فيه، وترتيب صلوات التهجد وقيام الليل. وقد استقطب المسجد شباباً انكبوا على تعلم مختلف العلوم الشرعية والعربية.

وبقي الشيخ سارية في مكان والده بجامع زيد بن ثابت، ينظم الدروس ويعقد الحلقات ويقوم بالدعوة في صفوف الشباب.. وقد أسس إلى ذلك (جمعية حفظ النعمة) الأولى من نوعها في البلاد الإسلامية على المظنون، استطاعت أن تجمع التالف من الأثاث والألبسة تبرعاً، ثم تصلحها وتوزعها على المحتاجين.. وتأخذ الزائد من طعام الحفلات والموائد الكبرى وتعيد تشكيلها والإضافة إليها لتعود بها على الفقراء المحتاجين، كما جعلت تنسق الأدوية المستعمل بعضها والصالحة، وتضم إليها أدوية من التبرعات لتقوم بحاجة المرضى المحتاجين.. وهكذا حتى غدت الجمعية حديث البلد بما أدهشت من أفعالها.

---

(١) أنشئ عام ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، (خطط دمشق)، وقد سعى بإنشائه طلاب الشيخ ومحبّوه وعلى رأسهم الشيخ محمد عوض.

واستفاد من الشيخ عبد الكريم بعد هذه الطبقة الأولى طبقة أخرى كان لها شأنها في المجتمع، ومن هؤلاء الشيخ نعيم عرقسوسي، المقرئ المحدّث خطيب جامع الإيمان، خلفاً للشيخ محمد عوض، وصار الجامع بخطبته مقصوداً وكذلك لدروسه، وجعل يقرأ في كتب الحديث يستعرضها كلها، فأقبل عليه الطلاب للحصول على إجازة القراءة فيها بادئاً بالبخاري.

ومن هذه الطبقة الثانية الأساتذة نذير المكتبي، وفايز عجلوني، وعبد الرزاق الشرفا، وموسى العربي.. واشتهر هؤلاء كلهم بالدعوة والقيام بمهام التربية والتعليم.

اضطرابات في جامع زيد

عصفت بجامع زيد رياح هبت عليه من الفتنة المؤلمة التي اجتاحت البلاد في ثمانينات القرن الماضي.. ولم يكن طلاب الشيخ الكبار ولا الذين ربوا تماماً على يديه على علاقة بما كان يجري في دمشق وغيرها من الممارسات التي أدت إلى قيام أعمال عنف، خاف بسببها عدد من أهل العلم أن تأخذهم أضرارها، كما يؤخذ البريء عادة على هامش عدوان الواغل في العدوان، فرحل عدد من طلاب الشيخ إلى بعض البلاد الشقيقة، وتركوا قلوبهم في بلدهم. وتوقف العمل في الجامع الذي نهض النهضة الرائعة. وافتقدت دمشق أياماً غراً، قام بها الشيخ عبد الكريم، لا ينبغي أن تقف عند هذا الحدّ ولا على هذا الشكل المفاجئ.

حتى إذا كان أوائل التسعينات وانجلت الغمة، وتجاوزت البلاد المحنة عادوا إلى مزاولة الدعوة والقيام بها كما ينبغي، بل على امتدادٍ،

فهمه من حولهم من الناس جميعاً، فدعوة الشيخ المربي رحمه الله كان يريد للجميع الأخذ بالإسلام القائم على الوسطية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. ولم يكن طلاب الشيخ يوماً إلا على هذه السبيل.

وعاد النشاط الدعوي كأحسن ما يكون، واستأنف خلفاء الشيخ طريقته في الدعوة والتربية والتعليم.



الفصل الثالث

أضواء أخرى متفرقة بدمشق وما حولها

تمهيد

أشرنا في الفصلين السابقين إلى نهضتي الشيخ عبد الرحمن الزعبي في الميدان الفوقاني والشيخ عبد الكريم الرفاعي في منطقة باب السريجة وما حولها[1].

وقام إلى جانب هذه النهضات علماء أشاعوا علوماً، وقاموا بواجب الدعوة، ولكن لم يجتمع حولهم ناس كثير، وإنما التزموا حلقات استمروا عليها ما وسعهم ذلك، لم ينقطعوا عنها إلا لسفر طارئ أو مرض مقعد، أو حاجة لازمة لا تؤخر.

وقدّم هؤلاء ومن لفّ لفهم من سائر العلماء ممن تخرجوا على آخرين، قدموا للعامة والخاصة علوماً شتى، وتولوا كذلك مهمة الوعظ والإرشاد والخطابة، ولزموا المساجد، يخاطبون الناس على قدر عقولهم، لا يطلبون على ما يقومون به أجراً أو مثوبة إلا من الله.

---

(١)وكان ربما ينبغي عقد فصل خاص بنهضة الشيخ حسن حبنكة في الميدان الوسطاني، وهي إحدى النهضات المهمة، وقد أتى عليها الشيخ عبد الرحمن حبنكة رحمه الله في كتابه (الشيخ حسن حبنكة الميداني).

وكانوا في عيون الناس أمثلة للنزاهة والعفة والتقوى، وبقوا أمثولة تعتز بها دمشق وأسوة لما تحلوا به من نقاء السريرة، وحسن السيرة.. فكانت أقوالهم الكلمة الفصل والدستور غير المكتوب.. فتمكن حبهم في قلوب العامّة، وعقول الخاصة.

لم يغشوا أبواب الأغنياء ولا الحكام، وابتعدوا عن الشبهات.. حتى كانوا هم الأغنياء بين الناس، وهم الحكام الحقيقيين عليهم.

وفي الصفحات الآتية نماذج منهم.



الشيخ نايف العباس

١٣٣٥ - ١٤٠٧هـ = ١٩١٦ - ١٩٨٧م

من كبار العلماء الذين تخرجوا بمدرسة الشيخ علي الدقر، ومهروا في العلوم حتى أشير إليهم بالبنان.

ولد الشيخ نايف في قرية انخل[1] بحوران، ونشأ بها، وتعلم في كتَّابها ومدرستها حتى الصف الثالث، وهو الأخير فيها، إذ لم يكن آنذاك صف فوقه.

فلما بلغ اثنتي عشرة سنة أرسله أهله إلى دمشق ليلازم حلقات الشيخ علي الدقر، فأقبل عليها حتى تمكن في علوم الشريعة والعربية، وكان من الطلاب الذين ارتضاهم الشيخ، فأسند إليه تدريس بعض الحلقات على عادته.

(١)انخل بلدة تبعد عن دمشق بأكثر من ستين كيلومتر إلى الجنوب.

ثم إنه قام مع زملاء الطلب في التعليم بمدارس الجمعية الغرّاء، كما علّم في معهد العلوم الشرعية.. كغيره من كبار طلاب الشيخ. ومضى عليه زمنٌ بعد وفاة شيخه، فسئم التعليم المدرسي، وفضلّ عليه الحلقات، وكانت له غرفة في جامع باب المصلى بجانب غرفة ابن بلده وزميله الشيخ خالد الجباوي يتردد إليه فيها الطلاب، يتوفر على إقرائهم فيها وفي منزله وفي المسجد، وتخرج به كثيرون.

وعكف الشيخ نايف على العلم والتعليم وانقطع إليه، وعرف باهتمامه بكتب التاريخ.. وكان مغرماً بالقراءة على ضعف بصره في أواخر حياته، لا يُرى إلا وفي يده كتاب.

توفي بحادث سيارة صدمته في شارع الثورة بدمشق، فحمل إلى مسقط رأسه ودفن هناك.

الشيخ بركات الضمّاد

٠٠٠ - ١٤٠٨هـ تقريباً = ٠٠٠ - ١٩٨٧م

أحد العلماء الذين تخرجوا بالشيخ علي الدقر، ومن مشاهير طلابه.. ولد في محافظة درعا، وتولى إفتاءها حتى وفاته، فقام بوظيفتها خير قيام، وحمدت سيرته.. واختير عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى.. وكان ذا هيئة حسنة، ومرجع الناس في حوران.

ولما توفي خلف على منصبه الشيخ عبد العزيز أبا زيد[1].

---

(١)علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري، نزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

اشتهر بالخطابة، واعتلى منابر الجامع الأموي، وجامع الشمسية[١] مدة طويلة وجامع السباهية[٢] وجامع العثمان[٣]، وفيه كانت آخر خطبه ومنه استقال من وظائفه الدينية بوزارة الأوقاف.

كان خطيباً مفوهاً، يرتجل الكلام على نحو رائع فلا يمسك ورقة، بل يتكلم عن سليقة تواتيه كل حين، ويمضي في موضوع الخطبة المحدد حين يشرع فيها، حتى يفي على ما يريد من غير خروج عن الموضوع ولا تقصير فيه.. يجذب السامع ويشدّه إليه، فلا يملّ، وإنما يصغي لأسلوبه الطلي فيعود من الخطبة بتعريف الموضوع الذي يبحثه بما فيه من آيات لازمه وأحاديث تتصل به وأبيات شعرية ونكت بلاغية وأدبية وبيانية، حتى لكأن الخطبة بستان يتنزه الحاضرون فيه.

وكانت له إلى جانب ذلك أحاديث صباحية في إذاعة دمشق، أشبه بالخطبة، تجمع الوعظ المقبول إلى الإرشاد المستحسن.

أحب الأدب والأخبار، وحفظ شعراً كثيراً، ونظم قصائد لم ينشرها.

ألف كتباً لقيت رواجاً، مع أنّ كثيراً من زملائه في الطلب لم يصنف كتاباً ولا حتى رسالة[٤] منها (الأمانة والأمناء) و(الحب بين العبد والرب)، و(من وحي المنبر) و(قبسات هادفات)، و(من روائع الأدب العربي).

---

(١)جامع الشمسية بناه في حي المهاجرين السلطان عبد الحميد عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م في الجادة التي تحمل اسمه.

(٢)جنوب جامع الدرويشية في محلة باب الجابية.

(٣)بناه عبد اللطيف العثمان من محسني الكويت عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، واشتهر باسم جامع الكويتي، وهو في منطقة الميسات غرب المزرعة.

(٤)غلب على مشايخ القرون الماضية بدمشق زهدهم في التأليف مع سعة علوم كثير منهم، وهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة.

الشيخ أحمد نصيب المحاميد

١٣٣١- ١٤٢١هـ = ١٩١٢ - ٢٠٠٠م

ولد في قرية نصيب[١] بحوران وتعلم فيها وفي درعا، ولما ظهرت نباهته أرسله أبوه إلى حلقات الشيخ علي الدقر، فانقطع إليه.

حفظ القرآن الكريم، وقرأ على طلاب الشيخ أولاً، ثم عليه وعلى كبار المنتسبين إليه. ثم استأذنه في القراءة على الشيخ بدر الدين الحسني فأذن له، فقرأ عنده مهمات الكتب وأجازه.

ومنذ تمكن في العلم تولى التدريس والدعوة والخطابة.. فأقرأ في مدارس الجمعية الغراء، وفي جمعية الزهراء، ثم الثانوية الشرعية بدمشق، وفي المساجد، ثم انقطع في آخر حياته إلى جامع التوبة[٢] بحي العقيبة وفيه كانت حلقاته العامة والخاصة، وقدّم أحاديث إذاعية صباحية.

---

(١)كان من عادة القائمين على حلقات الشيخ أن يلحقوا باسم الطالب اسم البلدة التي جاء منها، فيغلب عليه اسمها مع لقب أسرته، وربما نسي اسم أسرته، واشتهر باسم بلدته وغلب عليه، فقيل محمد علي جباب (من قرية جباب)، وعبد الرحمن الصريح (من قرية الصريح)، ويحيى زاكية (من قرية زاكية)، و عبد الرحمن الطيبي (من الطيبة) وربما نسب إلى أمه مثل محمد فهده، ونصيب قرية على حدود سورية مع الأردن.

(٢)جامع التوبة: من مساجد دمشق الأيوبية، يقع في حي العقيبة جنوب مقبرة الفراديس (الدحداح)، وكان خاناً يسمى خان الزنجاني، تقوم فيه المنكرات، فأمر الملك الأشرف الأيوبي بتحويله إلى مسجد سنة ٦٣٢هـ، وأوقف عليه ١٤ دكاناً، واحترق سنة ٦٩٩ في فتنة غازان ملك التتار، ثم خربه تيمورلتك سنة ٨٠٣هـ فجدد، ثم جددته الأوقاف سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، وتعرض لقنابل الفرنسيين عام ١٩٤٥ فجدد (خطط دمشق).

هذه سيرة الشيخ أحمد العلمية، وأما أخلاقه فلا حاجة إلى أن نقول إنها الأخلاق النبوية، وقد شهد له كل من عرفه بالاستقامة المطلقة والمزاج الرضي، كان هادئاً شديد الهدوء، ساكناً في رضا وتأمل. لا يفوه بكلام إلا بالعلم وما أدى إليه. جاداً في حياته، لم يعرف عنه المزاح ولا الهزل.. ولكن جده لم يكن مخلوطاً بجفاء أبداً، إنما فطر على جِبلَّةٍ مؤنسة مع مهابة وإجلال. يحرص على السنة في جميع أحواله، ويأخذ نفسه بعفة اليد وطهارة اللسان. التزم بحلقات دروسه للعامة والخاصة، لم ينقطع عن موعد واعدَه الطلاب إلا في يوم عيد، يلزم بيته لاستقبال الزوار أيامه، أو لرحلة حج، أو لمرض شديد مقعد.. فكان يأتي إلى دروسه التي يعقدها في جامع التوبة أو غيره بين المغرب والعشاء غالباً، يكون قبل موعد الصلاة، فيصليها إماماً، ثم ينفتل إلى الحلقة، لا ينتهي إلا مع أذان العشاء.

أقام الشيخ إذن مجال دعوته ودروسه في جامع التوبة بحي العقيبة، فلم يتخلف عنها، وواظب عليها مع وظيفته بالإمامة فيه. وكان أقرأ في مدارس الجمعية الغراء وفي معهد العلوم الشرعية التابع لها، وفي جمعية الزهراء والثانوية الشرعية بدمشق، وفي المساجد.

ولا ينتهي الشيخ من تقرير كتاب إلا ويقرأ كتاباً غيره، أو يعيده مرة أخرى لآخرين، لا يمل ولا يكل..

لم يكن يعيقه عن ذلك بردٌ قارس ولا حرٌّ لافح، يصبر على كليهما.. ولم تكن المساجد كحالها اليوم معتنى بها في التكييف والتدفئة.

ولقد شهدت أنا كاتب هذه السطور دروسه على مدى سنوات قرأت عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.. كنا في حلقته

الخاصة خمسة أو ستة لا يكاد يتخلف منا أحد.. وكم ذا قدم الحلقة ناس جدد، حضروا درساً أو بضعة دروس، ثم لم يصبروا على المتابعة، ذلك لأن العلم يحتاج إلى دأب يفتقده الكثيرون.. وانتهت شروح الألفية على الذين بدؤوها معه رحمه الله وتقبل عمله، وما انقطع عنهم.

محنة الشيخ

كان الشيخ أحمد المحاميد يسكن في دار عربية (شعبية) قرب جامع التوبة، وامتحنه الله بمحنة نزلت به فجأة، ليس له فيها يد من قريب أو بعيد، في قصة غريبة؛ ذلك أنه خرج ذات يوم صائف شديد الحر من بيته، عند الهجير، يقصد المسجد لصلاة العصر، وكان الناس يلتزمون بيوتهم لشدة الحرارة ليس في الطرقات إلا من ندر، وفجأة طلعت عليه من أحد البيوت امرأة في ثيابها الداخلية الفاضحة تستغيث، يركض وراءها رجل بيده عصا، قد تلبسه الغضب وخرج عن طوره، فلما رأى الشيخ خاطبه قائلاً: اشهد يا أيها الشيخ أني طلقت امرأتي هذه طلاقاً باتّاً..

فلما مضى الشيخ في طريقه صحا الرجل وكان خبازاً في الحارة معروفاً بشراسته، أدركته النخوة، وقال في نفسه: لقد رأى الشيخ امرأتي عريانة، فهتك عرضي، وفضحني الله أمامه.. وكبر عليه الأمر، فكان كلما رآه في الطريق، غلى الدم في عروقه.. وجعل يؤذي الشيخ بشتى المؤذيات، ويضايقه بما لا يحتمل، وأخذ يتعرض له ويهدده..

ولم يعد الشيخ يطيق البقاء في الجوار، وخرج فسكن في شقة صغيرة ملحقة بإحدى العمارات في الشارع الموازي لشارع بغداد،

يشتد البرد فيها شتاءً، وتغلي من الحر صيفاً. وصبر الشيخ عليها حتى توفي بعد أن طعن في السن، وهو في هذه الشقة عاكفاً على كتبه العزيزة إلى قلبه على قلتها.

أما ابتلاؤه الآخر فقد أتي من قبل وظيفته الدينية حين كان خطيباً بجامع العثمان، وطُلب منه أن يعدّل شيئاً في الخطبة لأن رئيس الجمهورية سيحضر، فأصرّ على أن يخطب كما يخطب عادة، من غير تغيير ولا دعاء لأحد.. ولما أحرجته وزارة الأوقاف قدّم استقالته.

وانصرف إلى بيته فلزمه حتى أخريات عمره، وكان جسمه قد ضعف.. لكنه بقي ممتعاً برهافة السمع وقوة الإبصار وتوقد الذهن حتى يومه الأخير.. وكان يردد البيت المشهور:

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فيستبدل بكلمة (قد) كلمة (ما).

ولم ينقطع عن استقبال الناس والترحيب بهم حتى وافاه أجله رحمه الله تعالى.

الشيخ عبد العزيز أبا زيد

١٣٢٨ - ١٤٢٣هـ = ١٩١٠ - ٢٠٠١م

أحد من قاموا بواجب الدعوة في حوران من طلاب الشيخ علي الدقر..

ولد في مدينة درعا، وتعلم بمدرستها «أنموذج درعا» ولما بلغ ثماني عشرة سنة قصد دمشق ولزم حلقات الشيخ علي حتى نبغ ونهل العلم

من شيخها ومن حلقات الشيخ بدر الدين الحسني مما رفع قدره ودلّ على طول باعه.

كان نشاطه واسعاً في بلدته، وقد عرف أنّ واجبه فيها، فأخذ يعلم أبناءها، ويدعو إلى الله حتى لقي القبول واشتهر وعرف في الناس، فرغبوا فيه، فكان مرجع الفتوى وموضع حل الخلافات..

بعد وفاة الشيخ علي عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م استقر الشيخ في بلدته، وانخرط في التعليم الثانوي منذ عام ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م واستمر أكثر من خمس وعشرين سنة إلى جانب مهمة الخطابة فيها والتدريس الديني حتى آخر عمره، ولم يتوقف نشاطه إلا لعارض صحي.

ولما خلا منصب الفتوى بمحافظة درعا عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م بوفاة الشيخ بركات الضمّاد مفتيها، أسند إليه فقام به إلى وفاته.

واشتهر الشيخ عبد العزيز في الناس وكان شخصية مرموقة ليس في بلده فحسب بل على مستوى كثير من الدول، فكان يُدعى إلى المؤتمرات والندوات الإسلامية، فحضر مؤتمر وزراء الأوقاف للعالم الإسلامي في مكة المكرمة وإندونيسية، وشارك في ملتقى الحوار بين الحضارات في القاهرة والمؤتمر الإسلامي في مدينة باكو بأذربيجان.

أما في بلدته فقد أسهم بتأسيس جمعية البر والخدمات الاجتماعية، وترأس مجلس إدارتها، وأشرف عليها إلى أن قضى أجله.. وأسس الثانوية الشرعية بدرعا بفرعيها للذكور والإناث.

كان الشيخ مُجمعاً عليه، محبوباً لأخلاقه ولطفه وقيامه بخدمة الفقراء وسعايته في عمل الخير ودعمه للناس، وحثهم على البر والصلاح.. كما سعى في بناء المساجد.

الشيخ خالد الجباوي

١٣٣١ - ١٤٢٣هـ = ١٩١٢ - ٢٠٠٣م

ولد الشيخ خالد بن نمر بن موسى الجباوي في قرية النخل بحوران، ثم أضيفت إلى اسمه فاشتهر بالشيخ خالد النخل[١]. وقد نشأ بها في أسرة ينتهي نسبها إلى الشيخ سعد الدين الجباوي الصوفي المعروف، المدفون بقرية جبا قرب القنيطرة.

رحل إلى دمشق عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م فالتحق بحلقات الشيخ علي الدقر، وسكن غرفة بجامع العدّاس[٢]، ليقرأ على الطلاب الكبار أولاً، وليحفظ المتون وليتقدم بسرعة يوماً بعد يوم.. فلما ارتقى وتجاوز مبادئ العلوم قرأ على الشيخ نفسه، ثم استأذنه فحضر دروس محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني.

تضلع الشيخ خالد من علوم النحو واللغة والبلاغة والعقيدة، إلى جانب العلوم الشرعية، وكان له حظ وافر من سائر العلوم، ونال شهادة معهد العلوم الشرعية للجمعية الغرّاء، وتميّز من الطلاب بإتقانه مسائل كتاب مغني اللبيب لابن هشام، وكتاب الكامل في اللغة للمبرد.

ثم إنه شارك زملاء الطلب في التجوال بالقرى والبلدات في سورية والأردن وفلسطين داعياً إلى الله خطيباً.

---

(١) انظر الحاشية الأولى في ترجمة الشيخ أحمد المحاميد السابقة.

(٢) جامع العداس: مدرسة قديمة كانت في حي القنوات بزقاق العدّاس إلى الجهة الجنوبية من القصر العدلي اليوم، قامت من طابقين، واحتوت على غرف كثيرة، اتصل بها جامع من الجهة الجنوبية.

عقد الحلقات العلمية، واشتهر أستاذاً في مدارس الجمعية، وأفاد أجيالاً من الطلاب، كما أقرأ في الثانوية الشرعية بمدرسة تنكز ما يزيد على ثلاثين سنة، وقصده الطلاب في حلقاته بجامع باب المصلى، وجامع عصفور، وجامع عبد الرحمن وكلها بالميدان.. كما قصدوه للقراءة عليه في منزله المتواضع بحي الزاهرة.

وكان في دروسه ينطلق عن تمكن، لا يتلجلج ولا يضطرب، يقرر موضوع الدرس الذي هو بصدده، فيلخصه أولاً، ويوضح أفكاره الكبرى، ويتعرض لمعضلاته عن ظهر قلب، ثم يكل إلى أحد الطلاب قراءة عبارات الكتاب بتأن، فيقف عند الجمل المشكلة، أو عندما يقفه أحد الطلاب. وغلف دروسه بالتربية والإرشاد والنصح.

وكان يؤكد على طلابه ضرورة الأخذ بالتفكير السليم البعيد عن الخرافات والشطحات، ولا يرضى إلا بحقائق العلم، يريد أن ينشأ طلابه على السلوك الحسن، لذا كان يوجههم بحاله ومقاله، وينبههم إلى دقائق أمورهم في حياتهم، ولم يكن يطعم درسه بفكاهة أبداً، والتزم طريق الجد بسبب طبعه الجاد المنصرف إلى حقائق العلم وحدها.

وكان يستمر في حلقاته وإن حضر طالب واحد، يقرر الدرس وكأن به جملة طلاب.. وربما كان إذا أراد أن يقرأ كتاباً ما فإنه يقترحه على التلاميذ، فإذا رغبوا قرأه معهم. ولقد أحب أن أقرأ معه مرة كتاب «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار، فقرأت عليه جزءاً صالحاً منه، وكان كتاباً عسيراً إلي في تلك السن التي كنت فيها مشغولاً بمقررات الجامعة - وقامت الحلقة مدة لم يقطعها - وكنت فيها وحدي - إلا سفري للتعليم في محافظات الشمال.

كان مع الطلاب حلو الشمائل يسألهم عن حالهم، ويتبسط معهم في الحديث بعد الفراغ من الدرس، يزرع في نفوسهم مع المهابة محبة وتقديراً.. ولا يمكن أحداً من تقبيل يده، ويرى في ذلك غضاضة على طالب يريد أن يكون عزيزاً[١]..

وفي مسيرته العلمية تولى الخطابة في عدد من المساجد، وخصوصاً خطابته في مسجد بلدته انخل، وأُسندت إليه وظيفة إفتاء منطقة الصنمين مدة.

كان الشيخ خالد مربوع القامة أسمر اللون مملوء الجسم مشذب اللحية، يعتم بعمة بيضاء على طربوش أحمر..

أما صفاته النفسية فعنوانها الزهد واليقين بالله، لا يحب الظهور ولا يماري أحداً، ولا يتقرب من أصحاب الجاه، ولا يتملق من يخشى منهم على دينه، قال لي مرة وقد ضايقوه في الثانوية الشرعية، فخفضوا من ساعات تدريسه التي كانت تسدّ جانباً من معاشه: «لا ينبغي للعالم أن يتسكع» أي لا يذل للحصول على الدنيا.

مات أحد أبنائه شاباً، وامتحن بسجن آخر في الاضطرابات السياسية التي مرت على البلاد في ثمانينات القرن العشرين، فصبر واحتسب.

وكان يؤمن أن طالب العلم مسؤول عن علمه، يجب أن يعطي وينشر ما يعرف، ولذلك قال لي مرة: «يجب أن تعقد حلقة علم يا بني تعلّم فيها» وكنت وقتذاك في بدايات حياتي العلمية، فرسم لي الطريق.

---

(١)وكذلك كان يفعل شيوخي الذين قرأت عليهم..

ويتحين الشيخ الفرص فيذكِّر طالب العلم الشاب بما يمكن أن يكون غفل عنه من أمور دقيقة في الطهارة والعبادة لتصح أعماله وتبنى على فقه.

مرض سنوات في آخر عمره.. ثم فقد النطق قبل وفاته بشهور، فلما قضى أجله حمل جثمانه الطاهر من دمشق، فدفن في بلدته انخل.



خاتمة

وبعد فهذه نماذج من ثمار نهضة الشيخ علي الدقر وليست كلها، فهناك علماء أشرنا إلى أسمائهم خلال هذا الكتاب قاموا بواجب الدعوة والتدريس والخطابة والإرشاد، وكان لهم أتباعهم ومريدوهم وحلقات علمهم وأثرهم فيمن حولهم، يمكن معرفة ما قاموا به في الاستقصاء[١] والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً..

والحمد لله رب العالمين وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.



(١) يحسن لذلك الرجوع في معرفة تراجم هؤلاء الأعلام الذين أشرنا إليهم خلال البحث إلى كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري لمؤلفيه محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، وإلى كتاب علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري لنزار أباظة.

ثبت المصادر والمراجع

الكتب

١- موسوعة الأسر الدمشقية: تاريخها، أنسابها، أعلامها، ٣ج، محمد شريف الصواف، دمشق، بيت الحكمة، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢- الأعلام خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ج٨، ط٩، ١٩٩٠،

٣- جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، نزار أباظة، دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤- حاضر اللغة العربية في بلاد الشام، سعيد الأفغاني.

٥- الخانقاه السميساطية بدمشق، دار أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، محمد مطيع الحافظ، دمشق، دار البيروتي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٦- خطط دمشق، أكرم العلبي، دمشق، دار الطباع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٧- ذكريات، ٨ج، علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٨- عبد الغني الدقر، إياد الطباع، دمشق، دار القلم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون).

٩- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، دمشق، دار الفكر ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٠- علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري، نزار أباظة، دمشق، دار الفكر ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١١- علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري، محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، دمشق، دار الفكر ١٤٠٦/ ١٩٨٦، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٢- قصة الليرة السورية، عبد الرحمن عطار، د.ن، د.ت.
١٣- مذكرات خالد العظم.
١٤- مصطفى سعيد الخن، العالم المربي وشيخ أصول الفقه، محيي الدين مستو، دمشق، دار القلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون).
١٥- من هم في العالم العربي، جورج فارس، دمشق، مكتب الدراسات السورية والعربية، ١٩٥٧.
١٦- منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب تقي الدين الحصني، دمشق، د.ت.

الدوريات والمواقع

- مجلة الرابطة، السنة الثالثة، العدد السابع.
- مجلة حضارة الإسلام، ربيع الثاني ١٣٨٩، ع٢، (دمشق).
- النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق.
- موقع صدى زيد الإلكتروني.

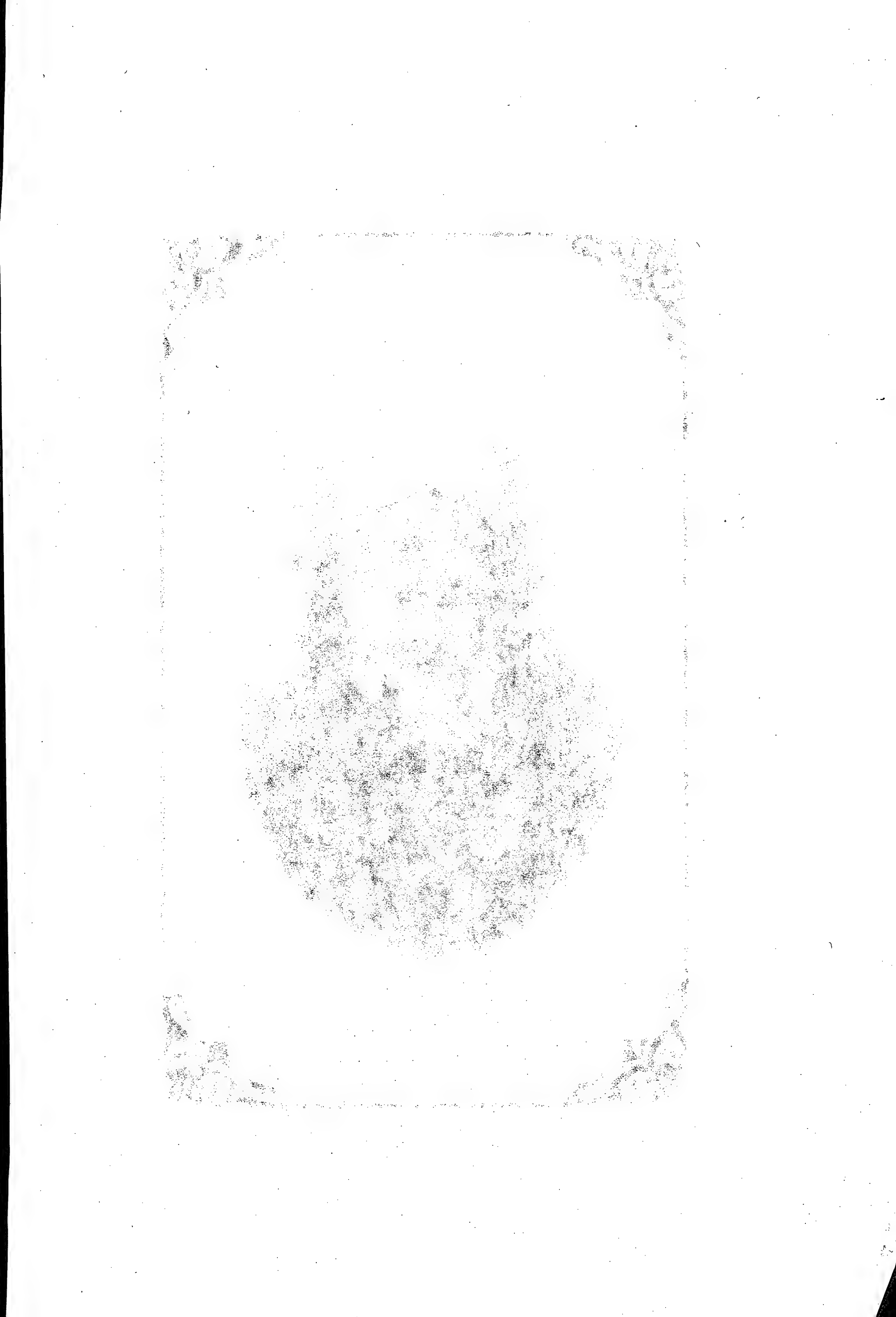
المشافهات (مرتبة على حروف المعجم)

الأستاذ أحمد الزعبي
الأستاذ فاروق الطباع
الدكتور فايز عوض
الأستاذ محمد الزعبي
الأستاذ محمد عدنان سالم
الأستاذ محمد مهجة
الأستاذ منذر الدقر
السيد نصوح الدقر

مذكرات المؤلف

ملحق الصور







الشيخ علي الدقر في أواخر حياته



الشيخ عبد الحميد الطباع



بعض مدرسي معهد العلوم الشرعية للجمعية الغراء أصحاب العمائم من اليسار الشيخ عبد الغني الدقر، فالشيخ أحمد الدقر، فالشيخ عبد الحميد الطباع، فالشيخ خالد الجباوي



الشيخ حسن حبنكة الميداني



الشيخ أحمد الدقر



الشيخ عيد السفرجلاني



الأستاذ فاروق الطباع



في الوسط الشيخ عبد الغني الدقر صاحب العمة (لام ألف) وإلى يساره الاستاذ فاروق الطباع
وإلى يمينه الشيخ عبد السلام الخطيب فالشيخ عبد الرحمن الشاغوري



الشيخ عبد الرحمن الزعبي



الشيخ أحمد نصيب المحاميد



الشيخ عبد الرزاق جوانية الحمصي



الأستاذ منذر الدقر



مجلس درس الشيخ عبد الكريم الرفاعي في جامع زيد بن ثابت.



المجلس الإسلامي الأعلى في سورية أواسط الخمسينات للقرن العشرين

الجالسون من اليمين من أصحاب العمائم: أحمد القاسمي مدير الأوقاف، سعيد النعسان مفتي حماة، توفيق الأتاسي مفتي حمص ورئيس المجلس، سعيد العربي مفتي دير الزور.

الواقفون من اليمين من أصحاب العمائم: عبد الستار السيد مفتي طرطوس، بركات الضماد مفتي درعا، محمد الحكيم مفتي حلب، صبحي الصباغ قاضي دمشق الممتاز، أحمد الدقر ممثل علماء دمشق.



الشيخ هاشم الخطيب



الشيخ خالد الجباوي



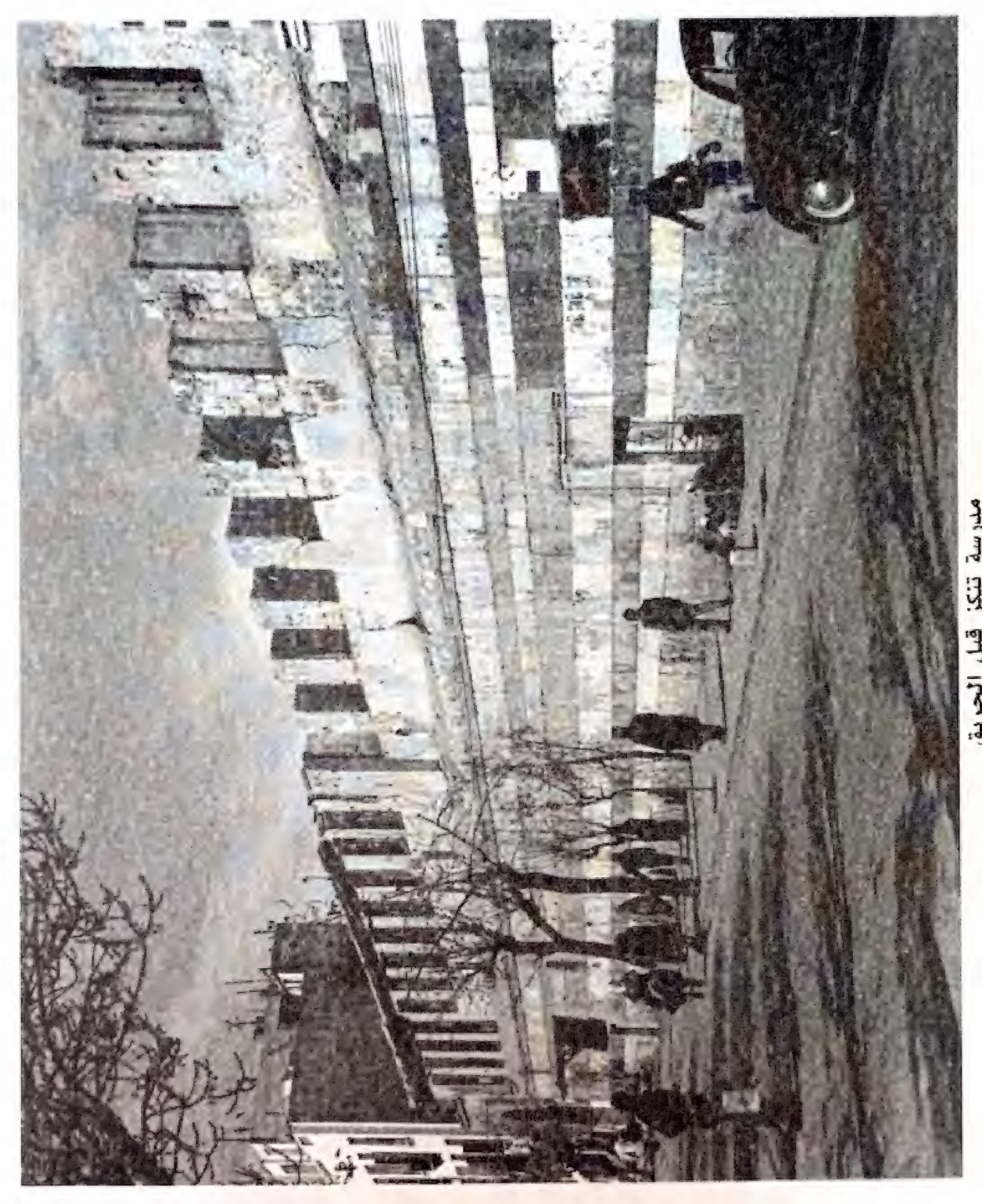
الدكتور فتحي النحلاوي



الأستاذ محمد عدنان سالم



مئذنة مدرسة تنكز



مدرسة تنكز قبل الحريق



باحة مدرسة تنكز يمر بها أحد فروع نهر بردى



مدرسة تنكز ويبدو بابها الرئيسي وقبتها

للتعرف على البنك، ولتسجيل البطاقة

- بعد التطور المذهل في وسائل الاتصال والمعلوماتية أصبح من الضروري التواصل مع القراء الأعزاء عبر شبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني نظراً لسرعته وفعاليته وقلة كلفته.
- لهذا استبدلت الدار بقسيمة القارئ النهم الورقية رقماً تدخله من خلال موقع الدار، فتنفتح لك بطاقة تسجل عليها المعلومات، ويصبح لك رصيدك من النقاط، وتتسلّم نشرة عن إصدارات الدار ونشاطاتها الثقافية، و تستفيد من حسومات خاصة على الكتب.
- هذه اللصاقة نافذتك للاشتراك في بنك القارئ النهم.

بتواصلك معنا، نرتقي بصناعة النشر

اطلب أيقونة بنك القارئ النهم في موقع دار الفكر وأدخل رقم الكتاب الآتي على الموقع.

140 2957095 9915
الشيخ علي الدقر ..رجل أحيا الله به أمة

e-mail:fikr@fikr.net

www.fikr.com

W W W . F U R A T . C O M
موقع عربي رائد لتجارة الكتب والبرامج العربية

SHEIKH ALI DAQR

A Man with Whom God Revived a Nation

Al-Shaykh ʻAlī al-Daqr

Rajul Aḥyā Allāh bihi Ummah

Dr. Nizār Abāẓah

- يعيش كثير من صلحاء الناس حياته، لا يفيض من صلاحه إلا على أهله ومن يحيط به من الأصدقاء.

- ومن الناس ناس نشروا الدعوة في الآفاق من دون قصد لذلك، سوى أنهم قدّموا في حياتهم وتعاملهم نموذجاً يدفع الآخرين للاقتداء بهم.

- أما الشيخ علي الدقر فقد أصّل لوضع أسس لمذهب في الحياة، لا يقوم على الأخذ بالعلم فحسب، ولا على العناية بالعربية أيضاً.. وإنما خرّج أعلاماً أضافوا إلى ما عند العلماء حُرقة تنبع من القلب، جعلتهم دعاة حالٍ ومقال، نذروا أنفسهم لهداية الناس، فكانوا من الفئة التي حازت قصب السبق من المصطفين الأخيار.

- خرّج الشيخ علي الدقر جيلاً متشبعاً بروح الإخلاص، متمثلاً برسالة يحملها، يبذل من نفسه للآخرين، لا يطلب منهم جزاء ولا شكوراً.

- ولذلك أحيا الله به وبأمثاله من العلماء الأعلام أمماً أنقذوا الناس من الضلال.

ISBN 978-9933-10-145-9



Design Behzad Ali Issa